مجلة الدراسات الإنسانية
تصدرها كلية الآداب والدراسات الإنسانية – كريمة – جامعة دنقلا
مجلة نصف سنوية – محكمة- العدد الرابع عشر يونيو 2015م

المشرف العام
د. عبد الحكيم حسن إبراهيم

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير:
أ. د. محمد مهدي إدريس

رئيس التحرير:
د. محمد عز الدين علي

سكرتارية التحرير :
د. السيد بخت أحمد
د. محمد الطيب الفكي
د. مجدي سليمان حمزة
د. أميرة علاء الدين صالح

مستشارو التحرير
أ. د. عباس سيد أحمد زروق
أ. د. حسن علي الساعوري
أ. د. عبد القادر محمود عبد الله
أ.د. على عثمان محمد صالح
أ. د. محمد المهدي بشرى
أ. د. كباشي حسين قسيمة
أ. د. نصر الدين سليمان علي

قواعد النشر

تُعنى المجلة بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وتهتم – على نحو خاص – بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها.

قواعد النشر بالمجلة:

* يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق A 4 ومرفقاً معه قرص مدمج 3.5 فيما لا يزيد عن (7500) كلمة (25 صفحة) سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.
* ألاَّ يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى، كما لا يجوز إعادة نشره - كاملاً أو جزئياً - في وعاء آخر، إلاَّ بأذن خطي من المجلة.
* توضع إحالات المراجع في داخل النص وفق طريقة جامعة هارفارد (الطريقة الأمريكي) للتوثيق، وهي كما يلي: (الإسم الثالث سنة النشر، ص). هذا في حال أسماء الكتاب الأجانب ومؤلفي المصادر العربية **كالطبري**. أما أسماء مؤلفي المراجع العربية، فتكتب ثلاثية مثل (أميرة علاء الدين صالح 2008م، ص109).
* أما ترتيب المراجع في القائمة المراجع فيرد وفقاً لما يلي: في حال المراجع الأجنبية والمصادر العربية: اسم العائلة /اسم الشهرة، الاسمين الأولين سنة النشر، عنوان الكتاب/المقال، دار النشر، مكان النشر، (تضاف صفحات المقال في حال الدوريات)؛ بينما تكتب أسماء مؤلفي المراجع العربية ثلاثية في هيئتها العادية، وتليها بقية البيانات.
* تعرض المقالات والبحوث على محكّمين مختصين في مجالات المجلة لإجازتها وتقوم المجلة بإخطار أصحاب المقال بقرار المحكمين، ولها حق إجراء أي تعديلات شكلية جزئيه قبل نشر المادة دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.
* تقبل البحوث من كافة الباحثين من داخل وخارج السودان.

* الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.
* تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوي على مقاله.
* أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.
* تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.
* ❖ ترسل البحوث باسم السيد / **رئيس هيئة التحرير** ـ كريمة ص. ب 58 أو على البريد الإلكتروني على عنوان المجلة magazinearts@yahoo.com أو بالفاكس 0024923122954 تلفون 00249231820098

كلمة العدد

تختلط المشاعر ازاء حدث على قدر كبير من الأهمية لكل من له صلة بهذه الإصدارة، ألا وهو بلوغ كلية الآداب والدراسات الإنسانية عامها الخامس والعشرين! ويحق لنا في أسرة التحرير أن نُعبِّر عن سعادتنا وفخرنا بالإسهام في تحقيق أهداف هذه المؤسسة عبر رفد المهتمين بهذه المجلة، التي نكابد لحد الرهق من أجل أن توالي المسير، في ظل ظروف ضاغطة !! آملين ألاَّ تسوخ أقدامنا وكواهلنا تنوء بهذا الحمل!

يحل علينا اليوبيل الفضي لهذه الكلية - ولجامعة دنقلا عامة - ونحن ندفع بالعدد الرابع عشر من مجلة الدراسات الانسانية علَّه يجد الاحتفاء من ذوي الاهتمام، على ألاّ يُغيِّب نظرتهم النقدية لما حوت. وسيظل ديدننا في معرفة رأي الكثير المؤثر منهم دفعهم بدراساتهم ومقالاتهم كي تنشر ههنا! وحُقَّ لنا أن نفخر بهذا الفيض الدافق من المقالات والدراسات التي ما زالت تردنا تباعاً دون انقطاع!

إن النجاحات التي حققتها هذه المجلة ينبغي ألا تعمينا عن النظر إلى جوانب القصور فيها، فهَمُّ التطوير والتجويد يظل هاجساً يقُضُّ مضاجعنا، آملين أن يسهم الجميع معنا في تحقيق ذلك عبر الاقتراحات العملية والكتابات الأصيلة التي تخدم القضايا المعاصرة في حقل الدراسات الانسانية. وعلينا أن نشير هنا إلى توقنا لتوفُّر قدرٍ عالٍ من المقاربات الفكرية والنظرية العميقة والأصيلة فيما يردنا من دراسات تهدف لمعالجة قضايا وطننا في حقل الثقافة ومجالات المعرفة ذات الصلة بالسلم والتطور، وهذا يقتضي طرح مواضيع رئيسة تمس جوانب عديدة من واقعنا بعد الاستقلال!

تعاني مجلتنا أيضاً - مثل العديد من رصيفاتها في السودان - من مشكلة التوزيع، وقد درجنا على النهوض بعبء توزيعها على بعض المؤسسات والأفراد ذوي الاهتمام، داخل وخارج الوطن، ولمَّا كنَّا نتوق لطرحها على المهتمين في أوسع نطاق، نرجو من الزملاء أن يسهموا معنا في تذليل هذه المعضلة حتى تصبح في متناول يد المستهدفين، وهم كثر!

لن تشغلنا تلكم النواقص والهواجس - ونحن في رحاب هذه الذكرى العطرة - من أن نذكر بالخير كل من أسهم في أن ترى مجلة الدراسات الانسانية النور أو نحت على الصخر لتظل شمعتها متقدة، فللجميع الود والتقدير وصادق الأمنيات الطيبة وصالح الدعاء للقابضين على الجمر لكي يتواصل المسير ولمن تَرَجَّل أو التحق بموقع عمل آخر أو رحل عن عالمنا إلى رحاب الله.

محتويات العدد

1- 4

1. كلمة العدد.....4

2. تجربة التعليم المفتوح فى الجامعات والمؤسسات السودانية.....

د.بلة أحمد بلال.....6

3. معايير الجودة وعناصر التقييم الذاتي فى التعليم العالى: دراسة حالة جامعة النيلين.....

د.عارف الحاج عيدروس.....27

4. الحاجات النفسية وعلاقتها باساليب التنشئة الاسرية لدى المراهقات

د. ام كلثوم احمد محمد.....61

5. **أثر مصادر التمويل في دعم العمل الخيري.....**

د. سلطان بن عمر الحصين.....**93**

6.الثروة اللّفظية في اللُّغة العربية.....

د. إقبال عبد العزيز منوفلي حمد.....**107**

7. **دور الموسيقى في تنمية المجتمع.....**

د.محمد سيف الدين علي التجاني.....131

8. المؤسسات العلمية- الجامعية ودورها في ادارة المصادر الآثارية في السودان

د.حنان هجو الشيخ عبدالرحمن.....**153**

9. **تأمين الآثار والمتاحف السودانية ومصادر الوعي بأهميتها**

د. الرشيد محمد إبراهيم..... **171**

10. **اثوار كيولوجيا الفخار التقليدي في شمالي ووسط السودان.....**

د. أحمد أبوالقاسم الحسن.....183

11. تأثير ظاهرة غسيل الأموال على اقتصاديات الدول.....

د. محمد العطا محمد.....215

الطاقة المتجددة (مزاياها ،اهميتها ،استخداماتها ومعوقاتها)

جيهان عبد القادر محمد الهلالي.....245

The Rock Art of Wadi al-Jifr in Eastern Oman
Nasser Said Al-Jahwari & Ali Tigani ElMahi.....273

تجربة التعليم المفتوح فى الجامعات والمؤسسات السودانية

د.بله أحمد بلال
جامعة السودان المفتوحه

مستخلص:

الغرض من هذه الدراسة هو الوقوف على تجربة التعليم المفتوح فى الجامعات والمؤسسات التعليمية السودانية من زاوية القبول والبرامج وإعداد المادة التعليمية وطرق التوصيل والتقويم الاكاديمى والمؤسسى بالاضافة الى تقييم التجربة من منظور الادبيات المنشورة بشقيها الورقى واللاورقى.

مقدمة:

يعد التعليم المفتوح من أبرز مظاهر التطور والتجديد التربوي الذي بدأت ملامحه تتبلور في العديد من الدول المتقدمة بل اصبح يفرض وجوده في الاوساط التربوية كأحد الأنظمة التعليمية الفاعلة والقادرة على توفير المزيد من الفرص التعليمية لقطاعات كبيرة لم تحظى لسبب أو آخر من الفرص التعليمية المتاحة في المؤسسات التعليمية المقيمة. وبالتالي اصبحت الدراسة الجامعية وما بعد الجامعية، لها أهمية خاصة في عصرنا الحاضر، لما لها من تأثير كبير على مستقبل الفرد من ناحية إعداده إعداداً علمياً سليماً، يحقق له طموحاته ومآربه الشخصية من ناحية، ويكسبه موقعاً مناسباً في المجتمع.

من المتعارف عليه، أنه إذا رغب شخص في الحصول على شهادة الماجستير في أحد الفروع العلمية، فعليه الإقامة في منزل قريب من الحرم الجامعي، وفق جدول زمني محكم، ولكن العديد من الجامعات توفر اليوم مجموعة من التخصصات العلمية ضمن الدراسات الجامعية دون الحاجة إلى ان يكون الطالب موجوداً في الحرم الجامعي. حيث توفر شبكة الإنترنت الدخول إلى العديد من الجامعات المفتوحة كشكل من أشكال الدراسة عن بعد، ضمن إعادة هيكلية تنظيم للعملية التعليمية، وهو ما يطلق عليه "التوجه التعليمي الجديد" ضمن إطار فلسفة "تعليم غير محدود بالزمان والمكان"، والمحرك الأساسي لكل ذلك هو تقنيات المعلومات، فالدارس

باستخدام التقنيات الحديثة، وخاصة الإنترنت، بدأت تنمو وتتسع لتأخذ مساحتها التي تستحقها في فضاء الشبكة العنكبوتية.(جيتس، 1998).

والشاهد فى ذلك التجارب العالمية حيث أنها تمكنت من تقديم نمط التعليم المفتوح في التعليم العالي كبديلاً متميزا يحقق ديمقراطية التعليم ليس من خلال توفير المزيد من الفرص التعليمية لمن توقف عن الدراسة، بل من خلال قدرة هذا النمط على اعادة وسياقة التعليم الجامعي بصورة حديثة، والدليل على ذلك اصبح لجامعات التعليم المفتوح وجود متميز في الساحة العالمية على سبيل المثال لاالحصر(بريطانيا ،اليابان، الولايات المتحدة، جنوب إقريقيا)، فضلاً عن انها ترفد منتسبيها بكل المهارات المعرفية والمعلوماتية المتاحة في شتى انحاء العالم. أما التجارب العربية بصفة عامة مازالت محدودة ولم تصل لمرحلة الإرساء، ومن الملاحظات انها محاولات تبنتها مؤسسات التعليم الجامعي المقيم وقد وجهت عدة إنتقادات لهذا النظام مثل ضعف مستوى البرامج المقدمة وتدني معايير النجاح. ورغم هذه الملاحظات السلبية بدأ الاهتمام بالتعليم المفتوح والاستفادة من تقنية المعلومات في تطويره في الآونة الاخيرة.(بلال، 2012).

و السودان كدولة عربية إفريقية من حيث العرق والجغرافيا، والإسلام من حيث العقيدة والحضارة والتراث. وهو أيضاً جزء مهم في العالم الثالث يتأثر بكل ما يواجه العالم من تحديات اقتصادية وسياسية وثقافية جراء التحولات التي افرزها النظام العالمي الجديد ثم العولمة كواحدة من أبرز ظواهر هذا النظام. ومن التحديات التى تشغل العالم اليوم ظهور الحاجة الماسة إلى نظام جديد للتعليم يستطيع مقابلة الاحتياجات الجديدة الناشئة عن زيادة عدد السكان وارتفاع تكلفة التعليم العالي وعدم قدرة الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في العالم على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب والتي بلغت أكثر من مليون طالب في المراحل الثانوية في عام 1999م، (القرابي، 2004) ينشد أغلبهم الانخراط في الجامعات والكليات والمرافق الأخرى للتعليم العالي. لقد بدأ المهتمون بقضايا التعليم يتحدثون بصوت عال وبشكل مطرد عن التعليم المفتوح باعتباره العلاج الناجع لهذه المشكلة والحل الوحيد لما يمكن

أن ينشأ من تعقيدات في المستقبل خاصة وأن ازدياد سكان العالم- بالرغم من محاولات ضبطه وتنظيمه- يسير على النهج السابق بوتيرة منتظمة عجزت كل المحاولات السابقة التي بذلت لجعل تطوير التعليم مناسباً لنسبة النمو السكاني. (شمو 2004م)

وكذلك فإن التعليم المفتوح هو تعليم عن بعد وليس تعليماً فورياً وآنياً كما هو الحال في التعليم أو التعلم التقليديان حيث الطرفان تحت سقف واحد وفي إطار جغرافي محدود. ومع دخول القرن العشرين بدأ العالم يشهد كثيراً من التطورات والتحسينات في تقنية وسائل الاتصال (communication media) وتنظيمها وجعلها متاحة للاستخدام بواسطة الجمهور كالتلفون أو بواسطة المؤسسات والإدارات كالراديو والتلغراف. ويرى الباحث بان ممارسات التعليم المفتوح بدأت مبكراً فى السودان لذلك تهدف هذه الدراسة الى التعريف بتجربة التعليم المفتوح فى الجامعات والمؤسسات التعليمية وتناولت هذه الدراسة التجربة إبتداءً من سياسة القبول والبرامج الاكاديمية وإعداد المادة والوسائل المستخدمة فى توصيلها والتقويم واعتمدت هذه الدراسة على ادبيات موضوع التعليم المفتوح فى السودان والبحوث التى اجريت فى هذا المضمار بالاضافة الى تجربة الباحث فى التعليم المفتوح من خلال عمله فى جامعة السودان المفتوحة .

تجربة جامعات سودانية في التعليم المفتوح:

تجربة التعليم الجامعي المفتوح غير معروفة فى السُّودان ومحدودة فى العالم العربي والإفريقى. ففي العالم العربي أربع جامعات مفتوحة أقدمها جامعة القدس المفتوحة ثم الجامعة الليبية المفتوحة ثم الجامعة العربية المفتوحة ثم جامعة السُّودان المفتوحة.ورغم أن هناك تجارب عدة للتعليم بالمراسلة أو الإنتساب الذي كان متّبعاً فى جامعة القاهرة فرع الخرطوم أو جامعة بيروت العربية وغيرها أو كما هو متّبع فى بعض الجامعات السُّودانية حالياً وذلك للنظرة السائدة حول هذا التعليم باعتباره تعليماً من الدرجة الثانية وقليلون من يُدركون الفرق بين التعليم المفتوح والتعليم بالمراسلة أو الإنتساب إلا

ان استخدام التعليم التقليدي في توفير التعليم لفئات وشرائح عمرية معينة ومحدودة لم يعد كافياً لتغطية متطلبات العمل أو الانفجار السكاني الهائل أو الانفجار المعرفي المتسارع في جميع المجالات زائداً على الطموحات والتطلعات الاجتماعية التي أصبحت تشكل وسيلة ضاغطة في شتى مستويات التعليم.(شمو، 2004).

نتيجة لهذا الكم المعرفي فقد تسارع المخططون في السودان من علماء التربية لمواكبة الأحداث الجارية في العالم من حولهم فبدأت النظر بالعين الفاحصة السليمة بربط التعليم بضرورات التنمية وتلبية حاجات المجتمع فاتجه المخططون إلى نظام التعليم المفتوح كمصدر من مصادر التعليم التي يمكن أن تفي بالغرض .

شرعت العديد من الجامعات السودانية بتطبيق نظام التعليم عن بعد منها بجانب تعليمها النظامي مثل جامعة الزعيم الأزهري وجامعة النيلين وجامعة جوبا و جامعة السُّودان للعلوم والتكنولوجيا بينما انتهجت جامعة الخرطوم نظام التعليم بالمراسلة وهو أحد أنماط التعليم المفتوح وهو من التجارب السودانية في هذا المجال والذي لا زال يعمل، بغرض إتاحة فرصة التعليم الجامعي للذين لاتمكنهم ظروفهم من التفرغ للدراسة داخل وخارج السُّودان، وتحقيق عائد مادي يسهم في علاج بعض مشاكل الجامعة. و يمكن إعتبار هذه التجارب النواة المبكرة للتعليم عن بعد في السودان. و قد استفادت جامعة الشودان المفتوحة من الملاحظات التي صاحبت هذه النجارب (يوسف، 2004).

تجربة التأهيل التربوي:

نشأ تدريب المعلمين في السودان في مطلع القرن العشرين في مدرسة العرفاء بكلية غردون التذكارية وذلك بناءً على توصية اللجنة التي كونها حاكم السودان العام آنذاك برئاسة (المسترونتر) ومدير مصلحة المعارف آنذاك (مستركريفث) مقرراً وأنشئ أول معهد ريفي متخصص لإعداد معلمي المرحلة الأولية في السودان في عام 1934م في قرية بخت الرضا وكانت مهام المعهد هي تقديم تعليم فوق الابتدائي لمدة خمسة أعوام لمعلمي المدرسة الابتدائية ، ومدة الدراسة فيه أربع سنوات أما السنة الخامسة فتكرس

للتدريب العملي على تدريس اللغة الانجليزية والعمل اليدوي ، وكان مستر قريفث هو أول عميد للمعهد وعمل به حتى تقاعد في 1950م .

ومنذ ذلك الحين صار معهد التربية ببخت الرضا هو المكان الرئيس لإعداد المعلمين في السودان ، مع استمرار كلية المعلمات في أم درمان والتي تم إنشاؤها في 1921م وظل معهد التربية ببخت الرضا هو المسئول والمشرف على معاهد إعداد معاهد إعداد المعلمين للمرحلة الأولية وقد انضمت إليها معاهد تدريب معلمي المرحلة الموسطة والتي بلغت (17) معهداً في السودان .

حتى العام 1969م كان السلم التعليمي في السودان 4- 4- 4 وعندما انعقد المؤتمر الأول للتعليم في 1969م أحدث تغييراً جذرياً في بنية التعليم ، إذ أقر المؤتمر تطبيق سلم جديد (6، 3، 3) بدلاً عن السلم التعليمي (4 ، 4 ، 4) هذا التغيير في السلم التعليمي أدى إلى زيادة قاعدة التعليم إيماناً بأن التعليم الجيد هو الدعامة الأساسية التي يقوم عليها تطور المجتمع وتقدمه ورقيه ، وكان من نتائج هذا التوسع أن تضاعف عدد الطلاب مما أدَّى إلى زيادة عدد المعلمين بالتعيين من حملة الشهادة الثانوية ، وكانت المشكلة هي الطريقة المثلى التي يتم بها تدريب هذه الأعداد المتزايدة دون انتزاعهم من مدارسهم ، فوجدوا أن التأهيل التربوي أثناء الخدمة هو أفضل الطرق لتدريب المعلمين لمرونة مناهجه ومسلكه وكان أن وُلد معهد التأهيل في مايو 1971م بمساعدة من منظمة اليونسيف ومنذ ذلك الحين ظل التأهيل التربوي يثري الساحة التربوية في السودان ويساهم في رفعتها مستفيداً من تجربة وكالة غوث اللاجئين (الأنروا) وهيئة اليونسكو (بيروت).

عليه فقد تم إنشاء معهد التأهيل التربوي في عام 1971م بدعم من منظمة اليونسيف.

وقد ذكر الأستاذ حسن الشيخ:

كان الغرض من التأهيل التربوي تدريب المعلمين أثناء الخدمة بأهداف أساسية هي:

1. توجيه المتدرب أكاديمياً ومسلكياً ليؤدي وظيفته كمدرب مبلغ ورائد اجتماعي وباحث علمي على الوجه المطلوب.
2. الارتقاء بنوعية التدريب ليواكب أرقى وأحدث ما وصل إليه العالم من تطور في هذا المجال باستخدام الأساليب الحديثة في تقنيات التعليم.
3. تعليم المتدرب على كيفية التعلم باستمرار لمواكبة التطور والتقدم العلمي (الشيخ ، 2004م).

تطور معهد التأهيل التربوي:

كان الظن بأن تبنى معهد التأهيل التربوي للتدريب هو تبنى مؤقت يزول بزوال العلة والتي تكمن في الانتهاء من الأعداد المتراكمة والمتزايدة من المعلمين غير المدربين ولكن معاهد التأهيل التربوي بنجاحها ومزاياها ازداد عددها وبدأت مرحلة أخرى لهذه المعاهد في عام 1976م عندما تم تكليفها بتعميم دورة تدريبية لمعلمي ومعلمات المرحلة المتوسطة غير الحائزين على مؤهل تربوي ومن بعد قامت هذه المعاهد (في 1978م) بعقد دورات تدريبية للموجهين الفنيين والمشرفين التربويين بالمرحلة الابتدائية ولمدة عام كامل وذلك بغرض تطوير التوجيه الفني وتطوير مفاهيمه ووسائله وفي 1979م صممت دورة لمديري المدارس – كان من نتائج هذه الدورات أن تغيرت النظرة للتأهيل التربوي فتم تصميم الدورات التجديدية والدورات التخصصية القصيرة (ورش العمل) التي تتراوح مدتها بين (14- 21يوماً) في العام 1990م انعقد المؤتمر القومي الأول حول سياسات التربية والتعليم والذي قسم التعليم العام إلى مرحلتين :-

أ. مرحلة التعليم الأساسي من (6- 13 سنة).

المرحلة الثانوية (متعددة المجالات موحدة الشهادة : أكاديمي ، فني ، ديني) – 3 سنوات ومن تغيير المناهج أوصى المؤتمر برفع كفاءة معلمي الأساس بأن يكونوا من حملة البكلاريوس في التربية وأسند تدريب المعلمين وتأهيلهم إلى كليات التربية بالجامعات السودانية وبرز دور جديد للتأهيل التربوي حدده القرار الوزاري رقم (38) بتاريخ 28/محرم/1415هـ الموافق:7 /أغسطس/1994.

وقد نشط دور التأهيل التربوي وتطور فعقدت دورات تدريبيه قصيرة وطويلة لمعلمي المرحلة المتوسطة الحائزين على مؤهل تربوي وكذلك الموجهين الفنيين والمشرفين التربويين.

بعد تغيير السلم التعليمي إلى (8 – 3) وتغيير المناهج اسند دور التدريب لكليات التربية إلا أن معاهد التأهيل التربوي كان لها دور يتمثل في:

إبراز دور جديد للتأهيل التربوي حدده القرار الوزاري رقم (38) بتأريخ 28/محرم/1415هـ الموافق 7/أغسطس/ 1994م والذي أوصى بأن يحتفظ بالمعاهد كمراكز للتدريب وأن تتعاون رئاسة معاهد التأهيل التربوي مع الجامعات في إعداد مناهج الدورات والتعيينات الدراسية وإدارة ورش العمل والتجديدات التربوية وصقل مهارات التوجيه والتدريب المقترحة من الولايات (الشيخ 2004م).

لقد ساهم التأهيل التربوي في تدريب أعداد كبيرة من المعلمين في شتى المجالات أثناء الخدمة وذلك من غير أن ينقطع المعلمون عن مدارسهم. وبذلك لبى احتياجات المدارس من المعلمين المدربين، وما تميزت به الدورات التدريبية عن غيرها قلة كلفتها وإثبات فعاليتها إذ أن الفرصة متاحة للمعلم المتدرب عملياً في قاعة الدرس مع التفاعل التام أثناء أدائه ويرسخ أسلوب الدراسة الذاتية في المتدرب فيزيد من معرفته وتجويده لعمله.

وبعد نجاح التجربة تم إنشاء فروع للتأهيل التربوي في مناطق متعددة من السودان من غير أن يكلف المتدرب بالتنقل وتكبد مشاق السفر لمواقع التدريب مما أدى إلى تقليل أوجه الصرف والنفقات واستمرار العملية التعليمية بوجود المعلم أثناء التدريب كما أسلفنا.

أسلوب التأهيل التربوي:

إن الأسلوب الذي انتهجه التأهيل التربوي في تدريب المعلمين هو أسلوب المنحى التكاملي متعدد الوسائط فهو يجمع ما بين نمط الدراسة بالمراسلة ونمط اللقاءات كتدريب مباشر. فالمادة الدراسية تكون عبر التقنيات كطريقة نظرية أما الفهم

والاستيعاب فيكون أثناء اللقاءات والمناقشات والعملي يتم عن طريق الزيارات الميدانية أو أثناء الدورات الصيفية التي يقيمها التأهيل التربوي.

وفي مجال الطرق غير المباشرة في عملية التدريب يستخدم التأهيل التربوي الطرق الآتية كوسيلة للقاء المشرف أو المختص مع الدارسين:

1. التعيين الدراسي: عن طريق المراسلة وهو أساس الدراسة الذاتية
2. أجهزة تكنولوجيا التعليم: مثل التلفاز مغلق الدائرة وأجهزة صوتية وعارضات أفلام وشرائح.
3. المكتبات: تساعد المتدرب في زيادة معرفته وهي تعتبر سنداً للتعيين الدراسي.

تقويم تجربة التأهيل التربوي:

لابد لأي مؤسسة تربوية من تقويم تجاربها المختلفة لمعرفة مدى ما تم تحقيقه من أهداف وذلك عن طريق الرجع الميداني ولقد سعى التأهيل التربوي إلى تقويم برامجه باستمرار مستهدفاً بحث شئون التدريب بغرض التحسين والترشيد عن طريق ورش العمل والمؤتمرات والاجتماعات التقويمية . أول لجنة تقويمية كانت لجنة خارجية (خبراء أجانب) في الفترة من 75- 1978م ومن بعد دراسات عميقة ومتأنية ذكرت هذه اللجنة أن التأهيل التربوي جدير بأن يحتل موقعاً هاماً في تدريب المعلمين للصفات التي يتسم بها مثل المرونة والمعاصرة والفاعلية والانتقال إلى الدارس في مكانه ، سرعة وفاعلية التغذية الراجعة .

تميز خريج التأهيل التربوي بميول إيجابية نحو الدراسة الذاتية وشعور بالمسئولية وتلعب البحوث الإجرائية ومشاريع تحسين البيئة دوراً كبيراً في توجيه هؤلاء المعلمين نحو التجريب والاستكشاف في عملهم وكذلك كان هناك تقويم ذاتي يشارك فيه العاملون بالإدارة وتقويم ذاتي عن طريق لجنة مشتركة من داخل معهد التأهيل التربوي وخارجه .

تجربة جامعة السودان المفتوحة :

بعكس الجامعات المذكوره سابقاً إنتهجت جامعة السودان المفتوخة نظام التعليم المفتوح، إذ تم إنشاءها بموجب قرار مجلس الوزراء رقم "164" بتاريخ 14 أبريل

2002م الموافق 2 صفر 1423هـ كجامعة حكومية تتبنى نظام التعليم المفتوح لتقديم رسالتها.

أما قانون الجامعة فقد أجازه المجلس الوطنى فى جلسته رقم "11" بتاريخ 9 ربيع الأول 1425هـ الموافق 28 أبريل 2004م وهذا هو القانون الذي يحدد شخصية الجامعة ويوضح أهدافها وهياكلها التنفيذية والواجبات والصلاحيات التى كفلت للجامعة بموجب هذا القانون وقد قبلت الجامعة أول دفعة بها في شهر أغسطس من العام2003م والدفعة الثانية لها فى شهر سبتمبر من العام 2004م وقد انقضت الفترة مابين إعلان الإنشاء إلى استيعاب الدفعة الأولى فى تحضير المادة التعليمية ووضع الخطة التنفيذية لاستيعاب الدفعة الأولى.(قانون الجامعة لعام 2002م) .

ثانياً: الأهداف:

تعمل الجامعة في إطار السياسة العامة للدولة والبرامج التى يضعها المجلس القومى للتعليم العالى والبحث العلمى على تحصيله وتدريسه كمؤسسة تربوية تعليمية أكاديمية تعتمد نظام التعليم المفتوح وتهدف إلى تيسير التعليم العالى والبحث العلمى وتشجيعه وإشاعته فى مختلف مجالات المعرفة النظرية منها والتطبيقية تكاملاً مع مؤسسات التعليم العالى والبحث العلمى القائمة محليةً كانت أم عالمية، الحكومية منها والأهلية، خدمة لأهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد ودفعاً لمسيرة النهضة التنموية فيها رقياً بالمجتمع ونهوضاً به نحو التنمية الشاملة والمستدامة مع التركيز على التخصصات النادرة لسد الثغرات ومواكبة التطور(إستراتيجية الجامعة).

ثالثاً: إقتصاديات التعليم المفتوح:

تماشياً مع رؤية الجامعة المفتوحة (التعليم للجميع) و مساهمةً منها لتوفير قرص للتعليم العالي أتاحت الجامعة التعليم لمختلف شرائج المجمتع حسب تنوعه و إختلاف فئاته، و أهم ما راعته الجامعة النواحي المالية و الإقتصادية، في مثلاً أتاخت مجانية التعليم لكل من الأرامل و الإيتام و المطلَّقات و ذوي الإحتياجات الخاصة، و خفضَّت

الرسوم الدَّراسية لذوي الدخل المحدود، و قد يصل التخفيض لمرحلة الرسوم الرمزية أو الإعفاء، و إنتهجت مبدأ تأجيل الرسوم الدراسية إلى ما بعد التَّخرُّج و تعتبر الجامعة المفتوحة هي الوحيدة التي توفِّر هذه الخدمة، علاوة و الجدير بالذكر إن الرسوم الدراسية لبرامج جامعة السودان المفتوحة تعتبر الأقل مقارنة مع كل المؤسسات التعليمة الرَّديفة بل أقل من الرسوم الدراسية لمرحلتي الأساس و الثانوي بالتعليم العام حتى رياض الأطفال إذ نجد أن رسوم الجامعة تتراوح بين (400) إلى (950) جنيهاً سودانياً في العام إي ما يعادل 75 إلى 175 دولاراً في العام.

و لكي تقلل الجامعة من تكلفة التعليم، فقد لجأت لأستخدام إسلوب فن تعظيم إستقلال الممكن من الموارد المتاحة، فهي قد استفادت من الأساتذة و المعامل و القاعات و كل ما يمكن استخدامة من الجامعات المقيمة في حالات عدم إستخدامة، عليه يمكن إجمال القول إن جامعة السودان المفتوحة هي الخيار الأساسي و الوحيد لذوي الدخل المحدود و كل من يريد مواصلة التعليم و كانت الظروف المادية المحد من ذلك.

اختيار البرامج التعليمية:

أنتهجت الجامعة نهجاً أساسياً فى مواجهة القضايا التعليمية الملحة في السودان بعد أن أتضح أن أول قضية من هذه القضايا التدني الملحوظ فى المستوى التعليمي العام. بعد استشارة أُولي العلم فى هذا المجال ظهر جلياً أن أسباب هذا التدني تكمُن فى ضعف إعداد المعلمين في هذه المرحلة.

كما هو معلوم أن نظام التعليم العام فى السُّودان يتكون من مرحلتين:المرحلة الأولى هى مرحلة الأساس وفترتها ثمان سنوات ينضم إليها التلاميذ من سن السادسة وحتى الرابعة عشر.والمرحلة الثانية هى المرحلة الثانوية وفترتها ثلاث سنوات ينضم إليها التلاميذ مابين سن الرابعة عشر إلى السابعة عشر.

أصدرت الدولة ومنذ بداية التسعينات قراراً يقضي بألا يُعيّن لمهنة التدريس إلاّ حملة درجة البكالريوس على أن تعمل الجامعات السُّودانية على تأهيل المعلمين في الخدمة لدرجة البكالريوس في التربية.

عـدد المعلمـين فـى مرحلـة الأسـاس والثـانوى حـوالى 130,000 معلمـاً.تمكّـن 8,000 منهم من الاستفادة من سماح الدولة للمعلمين بالانخراط فى الجامعات من الحصول على درجة البكالريوس في التربية في فترة الأربعة عشر عاماً الماضية وبقي أكثر من 120,000 دون الحصول على المؤهل العلمى المطلوب. وبالرغم من محاولات الوزارة الجادة في إعداد المعلمين إلاّ أن تلك المحاولات لم تُوفق للإيفاء بالغرض وذلك بسبب الظروف الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والتدريسية فضلا عن قضية نشر الوعي في مجال تعليم الحاسوب ونظم المعلومات لإدراك الجامعة حيوية هذا المجال وأهميته وأنه لامجال لنهضة كبرى فى المجتمع المعاصر دون نشر الوعي فى هذا المجال وإدراكها بحاجة المجتمع العالمى بأسره للعاملين في هذا المجال .

اختارت الجامعة أن تبدأ بهذه البرامج الثلاثة التربية ، الحاسوب ، العلوم الإدارية لأهميتها القصوى للمجتمع السوداني وطموحاته التنموية. (الطيب ، 2003م).

رابعاً: الخطة العامة:

بدأ تطبيق البرامج الأكاديمية في مراحل وذلك بغرض، التعلّم من كل مرحلة لتجويد الأداء فى المرحلة التالية فكان أن بدأت المرحلة الأولى في العام 2003م والتى أُعتبرت مرحلة تجريبية بثلاثة برامج فقط كما ورد ذكرها سابقاً وفى ست ولايات من ولايات السُّودان الست والعشرون وفى وسط السُّودان دون غيره من الأطراف لكى يسهل الاتصال وتلافي الأخطاء وهى ولايات الخرطوم، والجزيرة، والقضارف، ونهر النيل، والنيل الأبيض، وشمال كردفان وكان عدد الطلاب لم يتجاوز 7,000 دارس.

أما فى المرحلة الثانية 2004م فقد أُبقى على البرامج الثلاث كما هى وتم التوسع الجغرافى ليشمل ثلاث ولايات أخرى من أطراف السُّودان البعيدة وهى جنوب دارفور غرباً، وبحر الجبل جنوباً، والبحر الأحمر شرقاً وزاد عدد الدارسين فى هذه المرحلة ليصل إلى 17,000 دارس.أما المرحلة الثالثة 2005م فالمخطط أن تعم خدمة الجامعة جميع ولايات السُّودان الست والعشرين وأن يصل عدد الدارسين إلى 50,000 دارس إضافة للعدد المقبول فى المرحلتين الأولى والثانية لكى يصل مجموع الدارسين بالجامعة عندها إلى حوالى 75,000 دارس،ومن المقرر أن ينضم برنامج اللغات (اللغة

الإنجليزية واللغة العربية والترجمة واللغة العربية للناطقين بغيرها) فى المرحلة الثالثة و الذي تمَّ بحمد الله كما مخطط له.(تقاريرإدارة البرامج الأكاديمية ، 2008).

خامساً :إعداد المادة التعليمية:

أرادت الجامعة أن تستفيد من الخبرات التراكمية للجامعات السُّودانية فى مجال إعداد المناهج التعليمية فكانت أن اختارت الصفوة المتميزة فى كل مجال من مجالات الجامعة من الجامعات السُّودانية، لوضع مناهج الجامعة المفتوحة وقد كانت هذه فرصة لهؤلاء العلماء لتلاقح الأفكار وتطوير المناهج التقليدية إلى مناهج حازت رضا هذه الصفوة من علماء السُّودان ورضا الجامعة المفتوحة ولطبيعة التعليم المفتوح الذي يرتكز على التعلّم الذاتي فإن كل مادة تعليمية تخضع إلى تصميم تعليمي خاص، وقد دربت الجامعة أكثر من 500 مصمم تعليمي للقيام بهذا الدور ثمَّ أخضعت الجامعة هذا التصميم إلى مراجعات ومراجعات بواسطة المصممين فيما بينهم لضمان جودة التصميم.

تقوم الجامعة بجمع المادة التعليمية إلكترونياً وتخضعها إلى تدقيق لُغوى وتصميم فنى لإخراج المادة المطبوعة فى صورة تليق بنظام الجامعة وتلبى طموحات الدارس بها. ثم بعد ذلك كله تُرسل المادة التعليمية لطباعتها النهائية ومثل هذا التجويد ينطبق على المادة المسموعة والمرئية.

سادساً: طريقة التعليم و التعلّم:

انتهجت الجامعة نظام التعليم المرن المتعدد الوسائط لتقديم مادتها التعليمية وهذا ما يميزها عن التعليم بالمراسلة أو الإنتساب فاعتمدت المطبوعة المعدة بالصورة المذكورة آنفاً كمحور أساسي للتعليم ثم أردفت ذلك بمادة مسموعة مبثوثة من خلال الإذاعة القومية والإذاعات الولائية وتقديم نفس المادة المسجلة على أشرطة كاسيت تُوزّع على الدارسين وذلك لأهمية السمع فى العملية التعليمية حيث لايمكن تصوّر تعليم اللّغة مثلاً دون إشراك السمع فى العملية التعليمية وقد اختارات الجامعة أسلوب البث الإذاعى لإمكانية تغطية السُّودان هذا البلد القارة،ولإمكانية توفّر الراديو لذوي الدخل المحدود من طلاب الجامعة وأضافت الجامعة لذلك البث التلفزيونى من خلال

محطات البث الولائية وذلك لأهمية البصر فى العملية التعليمية ولإدراك الجامعة تعذّر وجود أجهزة التلفزيون لدى كل الدارسين فقد حرصت الجامعة على توفير أجهزة تلفزيون فى مراكزها المختلفة بالولايات وكذلك أجهزة فيديو لمشاهدة المادة المسجلة على أشرطة الفيديو.

لم تكتف الجامعة بكل هذه الوسائط لإدراكها أهمية اللقاء المباشر بين الأستاذ والدارس وذلك لحل مشاكل الدارسين التعليمية وتذليل الصعاب لهم ومنحهم الثقة فى هذا المنحى التعليمي وإثراء الدافعية لديهم وتعزيز الحميمية بين الدارسين ومؤسستهم التعليمية،لذا فقد قامت الجامعة بتجميع كل خمسين دارس فى مجموعة وتحديد مركز تعليمى فى أقرب منطقة منهم "مدرسة الحي مثلاً" وتحديد أستاذ متخصص فى المادة التعليمية من إحدى الجامعات السُّودانية لمقابلة هؤلاء الدارسين وفق جدول زمنى محدد سلفاً ومعروف لدى الدارسين والأساتذة والجامعة.

بهذه الوسائط والوسائل المتعددة والمتكاملة فيما بينها تقدم الجامعة خدمتها التعليمية لكل دارسيها بصورة مرنة تراعى حاجة كل مادة من هذه الوسائط بما يحقق جودة العملية التعليمية.والجامعة تسعى الآن لتطوير نظامها للتعليم الإلكتروني لأهميته رغم عدم ملاءمته حالياً لقطاع كبير من السُّودانيين ولكنها تفعل ذلك استعداداً للتطور الهائل المتوقع فى هذا الجانب.(تقارير إدارة المراكز والإسناد والتعليمي – قسم الإسناد).

سابعاً: التقويم:

التقويم عملية أساسية لتأكيد الجودة والتطور فى العملية التعليمية وذلك على مستوى الدارسين ومؤسستهم التعليمية، و للجامعة عدة أنواع من التقويم منها:

أ.تقويم الدارسين

تنتهج الجامعة نظام التقويم المستمر بصورته التقليدية مع إضافات طفيفة وذلك حتى تكسب الدارسين والمجتمع من حولهم الثقة الكافية فى هذا النمط من التعليم بالطريقة التى اعتادوها، فالجامعة تعتمد النظام الفصلي المبني على الساعات المعتمدة كوحدة لأوزان المادة التعليمية،والفصل الدراسي بالجامعة عادة ستة عشر أسبوعاً يقدم

الطالب خلاله تعيين "Assignment" وامتحان نصف فصلي وامتحان نهاية الفصل بالإضافة إلى أسئلة التقويم الذاتى الموجودة داخل المادة التعليمية أو داخل المرشد التعليمي للدارس. كما تتيح لوائح الجامعة للطالب أن يضيف مقررات من الفصول الدراسية اللاحقة للتحكم في زمن التخرَّج للطالب و في نفس الوقت يمكن أن يقلل مطلوباته في الفصل الدرسي حسب ظروفه الخاصة، و تقوم بعمليات مقاصة للطلاب المتخولين من الجامعات الأخري أو حملة الدبلوم الوسيط (دليل الجامعة ،2011م).

ب. تقويم الجامعة:

تعمل الجامعة وبكل جد لإخضاع نفسها لمؤسسات التقويم والإعتماد الداخلية والخارجية متبنية أسس التقويم والجودة المطلوبة عالمياً فى نظام التعليم المفتوح،وبما أن الجامعة ما زالت فى عامها الأول فقد استدعت خبراء من المؤسسات التالية للنظر فى تجربتها وتقويم ما اعوجّ فيها منذ البداية قبل فوات الأوان واستعجال الأمر (منشورات الجامعة) .

والمؤسسات التى زارت الجامعة لهذا الغرض هى:

1. جامعة جنوب إفريقيا "المفتوحة" UNISA.
2. جامعة كمبردج.
3. خبير التعليم المفتوح بالمجلس البريطانى "بريطانيا".
4. مجلس المدرسين البريطانى "CFBT"

وقد كانت جميع تقاريرهم إيجابية للغاية وقد أفادت الجامعة من تقاريرهم أيُّما فائدة.

و بذلك تُعتبر جامعة السُّودان المفتوحة مُكملة لنظام التعليم العالي فى السُّودان فهى ليست بديلة أو منافسة للجامعات التقليدية، وقد أفادت من هذه الجامعات في مجال إعداد المناهج والمواد التعليمية والتدريس المباشر وكذلك إستفادت من قاعات ومعامل ومكتبات هذه الجامعات مما جعلها تُقدّم خدمة تعليمية متميّزة وبتكلفة محدودة وفى زمن قياسي، وقد دشنت الجامعة قناتها الجامعية على القمر عرب سات بدر 5 بالتردد 10810.

نخلص من خلال تجارب بعض الجامعات والمؤسسات السودانية في التعليم المفتوح قد اسهم الى حد كبير في تطوير التعليم بالاضافة الى انها حققت الاستذادة بالمعلومات والمعارف المعلوماتية بل عملت على التنمية البشرية فضلاً عن انها قامت بإعداد المعلمين وتدريبهم وكان من اهم عوامل النجاح لتجربة جامعة السودان المفتوحة التي بدأت من حيث انتهى الآخرون. من خلال التجارب التى تم عرضها يرى الباحث بان ممارسات التعليم المفتوح والتعليم المفتوح بدات مبكراً فى مجال تدريب المعلمين فى مرحلتى الاساس والثانوى إلا ان الممارسة على المستوى الجامعى لم تظهر إلا فى اوائل التسعينات وتمثلت فى الجامعات المزدوجة (تعليم نظامى + تعليم عن بعد) واعتمد هذا النمط على مذكرات وكتب التعليم النظامى وهى ممارسة اشبه بالانتساب عن التعليم المفتوح وهذا يوافق راى (الصديق ، 2005م) لذلك يرى الباحث بناءً على تجارب التعليم المفتوح على المستوى العربى والغربى بان التعليم المفتوح فى السودان يتمثل فى تجربة جامعة السودان المفتوحة التى بدأت من حيث انتهى اللآخرون.

الخلاصة:

5. نخلص من هذه الدراسة إلى أن حداثة تجربة التعليم عن بعد في الجامعات السودانية المزدوجة (نظامى +انتساب) ، تحتاج إلى الوقوف على تجارب الدول المتقدمة ،بغية مواكبة التطورالذى طرأ على التعلبم المفتوح فى هذا العصر.
6. وقد لاحظنا في هذه الدراسة قصوراً في ضعف ثقافة التعليم المفتوح فى السودان بل فى متطلبات العملية التعليمية من إعداد المادة التعليمية وطرق التعلم وأساليب التقويم.
7. تعد تجربة جامعة السودان المفتوحة بداية التعليم المفتوح فى السودان رغم عمرها القصير الا انها تمكنت من تحقيق نجاحات في معظم اهدافها وذلك من خلال الاستفادة من التجارب الاجنبية والعربية والملاحظات التى صاحبت التجارب المحلية بالاضافة الى توطيف تقنية العلومات فى العملية التعليمية مما مكنها من ترسيخ وتوطين تجربة متميزة للتعليم العالي المفتوح في السودان.

التوصيات:

1. تثقيف الكادر العامل بهذه الجامعات المختلفة في مجال التعليم المفتوح،حتى يتيسر لهذه الجامعات فرصة القيام بخدمة تعليمية ممتازة للطلاب، تتصف بجودة عالية للمخرجات التعليمية.
2. تدريب القائمين على أمر التعليم المفتوح في هذه الجامعات من إداريين ومعدّي كتب ومصممين،على إدارة هذا النمط من التعليم، وكيفية إعداد مقرراته وتصميمها تصميماً تعليمياً يناسب طالب التعليم المفتوح. والعمل على نشر الوعي بأهمية هذا النمط من التعليم حتى تنتفى الاتجاهات السالبة نحوه.
3. توفير التجهيزات بمواصفات تطابق هذا متطلبات التعليم المفتوح.
4. الاستفادة من الكادر المؤهل الذي أسهمت جامعة السُّودان المفتوحة بتدريبه،وهو كادر يعمل بهذه الجامعات المختلفة،وذلك بغرض تدريب الآخرين،والمساهمة في تغيير شكل كتيبات هذه الجامعات، وتصميمها التصميم التعليمي الذي يتناسب مع التعليم المفتوح.
5. العمل على توسيع فرص القبول بتخفيف القيود الموضوعة على شروط القبول،وذلك بالتشاور مع مكتب القبول بالتعليم العالي،حتى يتحقّق مفهوم ديمقراطية التعلُّم.
6. العمل على قيام مراكز الإسناد التعليمي، الذي تتوفّر فيه الفرصة للدارسين للالتقاء بمشرفيهم.
7. أن تخضع هذه المراكز والكليات لإشراف التعليم العالي عليها، حتى يتم الاستيثاق من ضبط جودة المخرجات التعليمية التي تقوم بإنتاجها هذه الجامعات.
8. الاستفادة من التقنيات العصرية من أجهزة سمعية وبصرية وحاسوب وانترنت في تطوير خدمة التعليم المفتوح.
9. إدخال الدراسات العلمية والتطبيقية التي نحن بحاجة إليها في برامجنا التنموية، بدلاً من التركيز على الدراسات الإنسانية وحدها.

الخاتمة:

أسهمت تقنية المعلومات إلى حد كبير في تنويع الطرق والاساليب التعليمية وتخفيف العبء عن المعلم فضلاً عن أنها شجعت الاتصال بين الدارسين من جهة وبين المعلم والمتعلم من جهة اخرى وبين المتعليمين مع بعضهم البعض . ويعتبر التعليم المفتوح المدعوم بتقنية المعلومات الاكثر نموا في المجالات التربوية، وذلك لتمكنه من تقديم عملية تعليمية بأساليب ووسائط مختلفة و متنوعة، ولذلك ظلت جامعة السودان المفتوحة تعمل على تطوير العملية التعليمية من خلال اساليب ووسائل تعليمية تقوم على فلسفة واستراتيجية التعليم المفتوح التي تستخدم عدة وسائط واساليب ومكونات التعليم والتعلم التي تمكن الطلاب على اختلاف ميولهم وقدراتهم فرصا مرنة ومناسبة مع متطلبات الدراسة بالجامعة، فالمواد المطبوعة المصممة تصميما خاصا للتعلم المفتوح الذاتي والمواد المساندة الى تتمثل في وسائط متعددة (الهاتف ، الحاسوب ، الانترنت ، الاذاعة) واللقاءات التعليمية المباشر وغير المباشر عبر الانترنت (تجربة التعليم الالكتروني في منطقة الشرق وشمال كردفان) واساليب التقويم المتبعة في الواجبات الدراسية كل هذه الاساليب والوسائط مكنت الجامعة من توفير عملية تعليمية متميزة تناسب الدارس الذي يلتحق باحد برامجها وبما يمكنه من تعليم ذاتي دون التقيد بالزمان أو المكان وهذه المزاوجه التي استخدمتها الجامعة ما بين اساليب التعليم التقليدي والمفتوح اثبتت كفاءتها في المخرجات بل اصبحت تجربة غير مسبوقة في التعليم العالي المفتوح في السودان.

لذلك تعد تجربة جامعة السودان المفتوحة بداية التعليم المفتوح فى السودان رغم عمرها القصير الا انها تمكنت من تحقيق نجاحات في معظم اهدافها وذلك من خلال توظيف اجهزتها الادارية والاكاديمية والفنية في هذا الاتجاه وكذلك من خلال انشطتها وعمليتها التعليمية المتعددة الوسائط والأساليب التعليمية مكنتها من ترسيخ وتوطين تجربة متميزة للتعليم العالي المفتوح في السودان فضلا من انها اسهمت في زيادة فرص التعليم العالي لعدد كبير من المحرومين منه بسبب ظروفهم العملية او الجغرافية او الاسرية بل اتاحته للجميع ايماناً بتعاليم ديننا الاسلامي الذي يدعو الى عمل مستمر

ومستقبل أفضل والشاهد في الأمر تجربتها في إعداد وتدريب المعلمين والاجهزة الأمنية والعاملين في دواوين الحكومة اي غيرت مفهوم التعليم في السودان بدلاً من ان يقطع الدارس الاميال للتعليم اصبحت جامعة السودان المفتوحة تذهب للدارس ليتعلم بالاضافة الى انها اثرت المكتبة السودانية بعدد من المصادر المعلوماتية التي تتضمن قواعد البيانات التي تقتنيها المكتبة الالكترونية لدعم التعليم المفتوح والمقررات المتاحة على موقع الجامعة والبرامج الاذاعية التعليمية والثقافية والتلفزيونية عبر القناه الفضائية التعليمية التي تعد الاولى من نوعها في السودان. و قد قام تقويم المواقع الإلكترونية لمؤسسات التعليم العالي و الجامعات Webometrics بوضع الجامعة الأولى في العالم العربي من حيث الجامعات المفتوحة متفوقًّة على الجامعات التي إعتمدت على تجاربها و قد ظهرت الثانية في إفريقيا بعد جامعة UNISA.

وبهذا يكون التعليم المفتوح فى السودان يستشرف المستقبل ارتكازاً على بنية تحتية قوية علماً بأن المستقبل من الامور المغيبة عن البشر وعلمه عند الله وحده لقوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** لقمان 34.

إلا ان البشر مع توكلهم وتسليمهم لله مامورين بالاجتهاد والتخطيط للمستقبل وهذا ما يدعو إليه ديننا الحنيف الوارد في قوله تعالى **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) الأحزاب:21** وقد خطط رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناء دولة اسلامية واعد العدة لها وسار على نهجه خلفاؤه من السلف الصالح.

وبناءاً على هذه الموجهات التي يدعو بها ديننا الحنيف يتجه السودان بكل امكانياته التعليمية (بيئة تعليمية مفتوحة على شبكات المعرفة، والتعليم الذاتي والشخصي، وابتكار المعرفة، والتعليم لعالم متغير، ومشاركة مجتمعية فاعلة) نحو اقتصاديات المعرفة برؤية مستقبلية متميزة وواعية للمتغيرات العالمية مستفيد من الخبرات العالمية واتساق الخطة مع الموارد المالية وهذه مؤشرات لنجاح الرؤية المستقبلية

والشاهد في ذلك انها انطلقت من حيث انتهى الآخرون، وبذلك يكون التعليم المفتوح هو تعليم المستقبل فى السودان التي تشير الدلائل اليه من خلال توظيف تقنية المعلومات في تقديم افضل خدمة معرفية معلوماتية للمجتمع عبر وسائل الاتصال القليلة التكلفة وسماواته المفتوحة للبث المرئي والسمعي في جميع انحاء السودان بصفة خاصة وإفريقيا والعالم العربي بصفة عامة، وما يعزز تحقيق هذه الرؤية المستقبلية ان تطوير التعليم في السودان اصبح قضية كل فرد في المجتمع ومن اولويات التنمية المستدامة فضلاً عن انه يحتل حيزاً كبيراً في الخطاب الرسمي والسياسي في برامج النظام الحاكم وبرامج انشطة المجتمع المدني والمنظمات الغير حكومية، والشاهد في ذلك هنالك اجماع تام على ان التعليم هو الوسيلة الاساسية لاستثمار الموارد البشرية التي تمثل العمود الفقري للتقدم الاقتصادي والمعرفي والمعلوماتي والعنصر الفاعل في التحول الى مجتمع المعرفة المعلوماتية والدليل على ذلك قيام المؤتمر العام للتعليم في السودان في يوم 2012/2/19م في نفس تاريخ تدشين قناة جامعة السودان المفتوحة.

المصادروالمراجع:

أولاً: **المصادر**

1. سورة لقمان – الاية 34 (القرآن الكريم)
2. سورة الاحزاب – الاية 21(القرآن الكريم)
3. اللائحة الأكاديمية جامعة السودان المفتوحة ، 2008 .
4. لائحة الامتحانات جامعة السودان المفتوحة .
5. لائحة التدريب جامعة السودان المفتوحة .
6. منشورات جامعة السودان المفتوحة .
7. استراتيجية جامعة السودان المفتوحة 2007- 2030م .
8. تقارير الإدارات والأمانات جامعة السودان المفتوحة .للعام 2004.
9. قانون جامعة السودان المفتوحة .

ثانياً:المراجع العربية:ـ

1. بله احمد بلال . تقنية المعلومات فى دعم التعليم المفتوح فى السودان تأليف بله احمد بلال وعمر العماس .- ط1 .- الخرطوم : دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة والنشر ، 2012م .- ص 91- 97 .
2. جيتس، المعلوماتية عبر الإنترنت (طريق المستقبل)، تأليف بل جيتس، ترجمة عبد السلام رضوان .- مجلة عالم المعرفة ، ع 271، (مارس 1998) .- ص21- 37.
3. حسن الشيخ محمد خير، تجربة التأهيل التربوي كنموذج للتعليم عن بعد، ورقة عمل، 2004م.
4. زين العابدين حسن واخرون . تقويم تجربة برامج التعليم المفتوح بجامعة جوبا من وجهة المستفيدين تأليف زين العابدين حسن وحياة عبد الله وعثمان محمد عثمان، ورقة عمل قدمت ضمن فعاليات مؤتمر التعليم المفتوح فى السودان ، 2005م .
5. على محمد شمو . التعليم المفتوح : الماضى ، الحاضر ، المستقبل .- الخرطوم : دار السداد للطباعة ، 2004م .- ص (29) .
6. عاصم عبد الوهاب عبد ربه.تجربة سوداتل في مجال التعليم المفتوح،ورقة عمل، 2004م.
7. عمر محمد العماس، التعليم المفتوح والتعليم التقليدي في الميزان، الخرطوم، دار مطبعة جامعة إفريقيا العالمية، الطبعة الأولى 2009م.
8. عمر محمد العماس، التعليم المفتوح في تنمية تفكير المتعلمين، الخرطوم، مطبعة دار جامعة السودان المفتوحة، الطبعة الأولى 2010م.
9. معتصم يوسف،تجربة الجامعات السودانية في التعليم المفتوح،جامعة الزعيم الأزهري، ورقة عمل، 2004م.
10. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الإدارة العامة للتعليم عن بعد،لجنة التعليم المفتوح،مذكرة أهداف ومبرراتقيام فرع الجامعة العربية المفتوحة في السودان 2002م.

مواقع الإنترنت :ـ

1/ http: **www.ous.edu.sd**

معايير الجودة وعناصر التقييم الذاتي فى التعليم العالى: دراسة حالة جامعة النيلين

د.عارف الحاج عيدروس

أ.مساعد. التجارة والدراسات الاقتصادية والاجتماع. جامعة النيلين

المستخلص

شهدت مؤسسات التعليم العالي في العصر الحالي العديد من التغيرات المتلاحقة، أعادت صياغة بعض المفاهيم الحاكمة ومن المفاهيم التي أصبحت أكثر قبولاً وإنتشاراً هو مفهوم الجودة في التعليم العالي. يشير المفهوم وبشكل مجمل إلى مجموعة من المعايير والإجراءات التي يهدف تبنيها وتنفيذها من خلال عملية التقييم الذاتي ومن ثم التقويم كمرحلة أولى التحسين المستمر في الاداء والمنتج. وبالتالي تحقيق التطور والتحديث لتجويد العملية التعليمية في مراحل أخرى. ومن أجل عمل مؤسسي منظم يعتمد الجودة هدفا ونظاماً مستمراً لابد ان يكون هنالك تقييم ذاتي ومراجعة مستمرة للسياسات والخطط والاساليب والأدوات التي تعمل بها مؤسسات التعليم العالي.

المقدمة

نعيش اليوم عصراً تتسارع أحداثة ويتسم بالانفجار والتراكم المعرفي وبدرجة عالية من التنافس بين المؤسسات الخدمية المختلفة وذلك من أجل تحقيق مستويات أفضل سواء على مستوى الإنتاج أو على مستوى الخدمات. لذلك اتجهت العديد من مؤسسات التعليم العالي بالدولة إلى تبنى الجودة كمنهج للعمل تسعى من خلاله تحقيق أعلى درجات التميز من خلال تقديم خدمات أكاديمية وإدارية ذات مستوى عال من الجودة. تهدف هذه الورقة إلى التعريف بإدارة الجودة بجامعة النيلين، رؤيتها، أهدافها والهيكل الادارى. بالإضافة إلى الوقوف على معايير التقييم الذاتي التي تبنتها إدارة الجودة. والمعوقات التي تحول دون تحقيق الأهداف والمقترحات التي تسهم في الارتقاء بالخدمات الأكاديمية والإدارية بجامعة النيلين.

الجودة في التعليم العالي: تجربة جامعة النيلين :

انطلاقا من تركيز الدولة في الآونة الأخيرة ممثلة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي على تقديم خدمة تعليم عالي ذات معايير وجودة عالية، تم تأسيس الهيئة العليا للتقويم والاعتماد لتكون الجهاز العلمي والفني الذي يعمل على ضمان جودة التعليم العالي، وتساند مؤسسات التعليم العالي على تبنى نظم التقويم الذاتي، وتشجع مبدأ الجودة والتميز وتعزز المبادرات الإيجابية وتعممها وتحفزها، وتحدد مواطن القصور وتعمل على معالجتها، وتنشر ثقافة الجودة ليحدث التطور النوعي الكفيل بتطور أداء مؤسسات التعليم العالي بالسودان.

لذلك تدرك إدارة جامعه النيلين أن نظم وإستراتيجيات وتقنيات الجودة تعتبر أحد أهم الآليات التي تتبعها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كما في معظم دول العالم لتتغلب على التحديات التي تواجهها في هذا العصر لاسيما التغيرات المعرفية والمعلوماتية والتغير الاقتصادي والمسالة الاجتماعية الجادة عن جدوى برامج التعليم العالي ودورها في تحقيق التنمية وقدرتها على تزويد المجتمع بالكفاءات المؤهلة والمدربة والتي ينبغي أن تجد لها موقع في هيكلية سوق العمل.

إذا الجودة في التعليم العالي تعنى التطوير المستمر والأداء الكفء لمؤسسات التعليم العالي لكسب ثقة المجتمع في خريجيها على أساس آلية تقييم معترف بها عالميا. وتتضمن هذه العملية تطبيق مجموعة من المواصفات والمعايير التى يهدف تنفيذها الى التحسين المستمر في مدخلات ومخرجات العملية التعليمية.

إنطلاقا من هذا الوعي وتنفيذا لموجهات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ممثلة في الهيئة العليا للتقويم والاعتماد تم إنشاء إدارة الجودة بجامعه النيلين بموجب القرار الإداري رقم 72 لسنة 2011م وإجازة لائحة جامعة النيلين لادارة الجودة لسنة 2012م بواسطة مجلس الأساتذة رقم 77 بتاريخ 10 سبتمبر 2012م لتكون النواة الأولى لجدية الجامعة واهتمامها بالجودة وتحقيقها في كافة الكليات والأقسام الأكاديمية والإدارية والتأكد أن جميع البرامج والأنشطة والأعمال الأكاديمية والإدارية تسير بشكل صحيح وسليم وفى الاتجاه المخطط لها.

الرؤية:

نحو أداء مؤسسي للجامعة يمكنها من أداء مهامها.

الرسالة:

التحسين المستمر لأداء الجامعة في جميع وحداتها.

الأهداف:

1. وضع السياسات العامة للجودة الشاملة والتطوير بالجامعة.
2. وضع الخطط الاستراتيجية لضبط الجودة في الجامعة.
3. نشر ثقافة الجودة بين منسوبي الجامعة.
4. تطبيق معايير ومؤشرات الاداء الاكاديمى والادارى بالجامعة.
5. تبسيط الإجراءات فى المجالات الادارية والاكاديمية فى الجامعة.
6. تقييم وتقويم الاداء لضمان الجودة في الجامعة.
7. إقامة علاقات علمية ومهنية بين الجامعة والمؤسسات النظيرة المحلية والاقليمية المتميزة فى تطبيق الجودة والاعتماد الاكاديمى.
8. تعزيز الجهود لرفع تصنيف الجامعة الاكاديمى والمهني داخليا وخارجيا.

المهام والاختصاصات:

1. تأسيس نظام لضمان وضبط الجودة بالجامعة.
2. القيام بالدراسات وعقد المؤتمرات والندوات واللقاءات وورش العمل فى مجالات الجودة والاعتماد الاكاديمى.
3. إقرار ومتابعة تطبيق معايير ومؤشرات الأداء الأكاديمي والإداري في الجامعة.
4. تطوير دليل يبسط إجراءات العمل الإدارية والأكاديمية بما يحقق الجودة والإتقان.
5. الإشراف على إجراءات التقويم الذاتي الدوري لكافة الوحدات الإدارية والأكاديمية، أو المستخدمة للتقويم الخارجي.

6. حفظ تقارير الأداء الأكاديمي والإداري بصورة منظمة (نظام معلومات محوسب) لكافة وحدات الجامعة تتضمن بيانات عن مؤشرات الأداء المرجعية التي تبين اتجاهات الأداء المرصود ومستوى التغيير في البيئة الداخلية للجامعة.
7. التعرف على مستويات الأداء وقياس التغيرات في أداء وحدات الجامعة المختلفة.
8. تقديم المقترحات والتوصيات الكفيلة برفع مستوى الأداء الأكاديمي والمهني إلى إدارة الجامعة.
9. التعرف على توقعات ومتطلبات ومستوى رضاء شركاء الجامعة، وإبلاغها لكافة الجهات ذات العلاقة.
10. المساهمة الفعالة في تعزيز الجهود لرفع تصنيف الجامعة الأكاديمي والمهني من خلال المساهمة في تطوير خطط وبرامج ومناهج الكليات والأقسام المختلفة (بالتنسيق مع أمانة الشؤون العلمية والجهات ذات الصلة) بالجامعة بما يحقق المستوى التعليمي المطلوب.
11. القيام بكل ما يحقق الجودة في الجامعة.

الهيكل الإداري والتنظيمي لإدارة الجودة جامعة النيلين:

من منطلق المهام و الاختصاصات تم هيكلة إدارة الجودة بالجامعة علي النحو التالي:

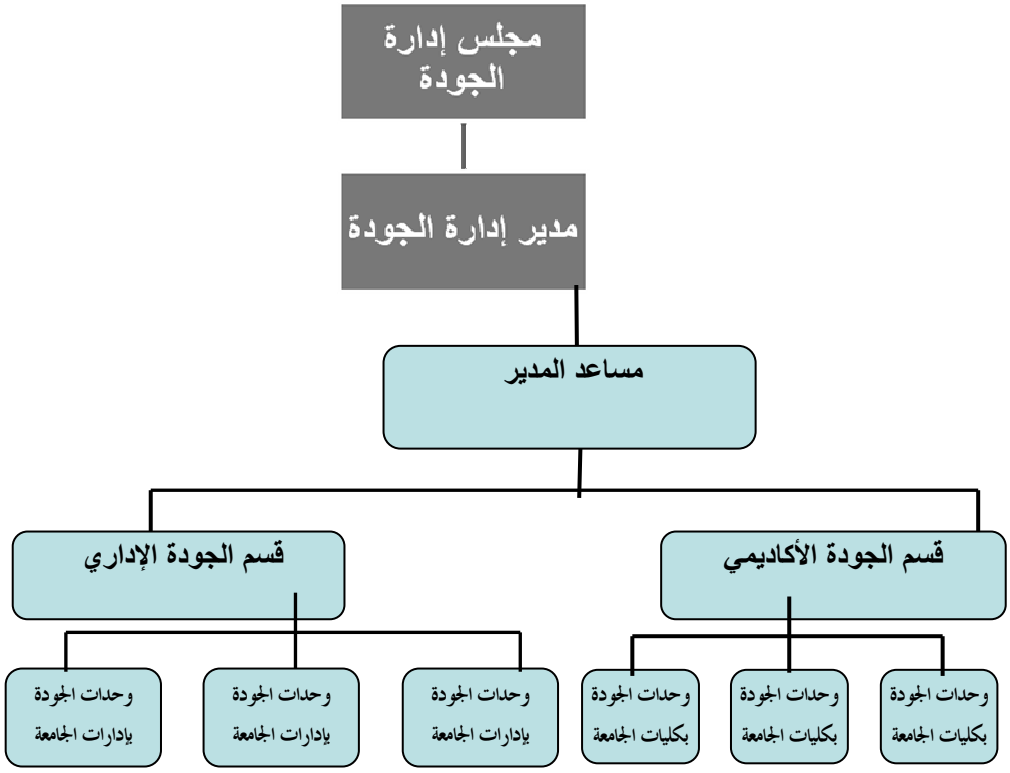

يتكون الهيكل الإداري لادارة الجودة بجامعة النيلين من مجلس إدارة الجودة والذي يتكون من رؤساء وحدات الجودة بالكليات ومنسقي الإدارات بالجامعة، من مهام المجلس التي تم إجازتها في لائحة ادارة الجودة اقتراح السياسات العامة والخطط والبرامج لإدارة الجودة بالجامعة بالإضافة إلى اعتماد المعايير واستمارات التقييم الذاتي ثم إجازة التوصيات اللازمة لتقويم الأداء بالكليات والوحدات المختلفة. ويتضمن الهيكل أيضا مدير ادارة الجودة ومساعده بالإضافة إلى قسم الجودة الاكاديمى والإداري. بالنسبة للكليات وعمادات الجامعة والمراكز تم إنشاء وحدات الجودة بكافة الكليات ومن مهامها اقتراح الخطط الإستراتيجية على مستوى الكليات بالإضافة إلى اقتراح معايير الجودة الاكاديمية وعرضها على مجلس إدارة الجودة

لإجازتها بالإضافة إلى إدارة وتنظيم إجراءات وعمليات التقييم الذاتي والاعتماد بالكليات والمراكز وعرض نتائج التقييم على مجلس إدارة الجودة بالجامعة. أما بالنسبة للادارات تم إنشاء وحدات الجودة بكل ادارة ومن مهامها إعداد الخطط الاستراتيجية لتحسين الجودة الادارية بالإضافة إلى اقتراح المعايير والإشراف على اجراءات التقييم الذاتي ثم عرض نتائج التقييم على مجلس ادارة الجودة.

تعتبر الجودة والتقويم والاعتماد من المفاهيم الواسعة الانتشار بين مؤسسات التعليم العالي، تهدف لتطوير أساليب العمل الأكاديمي والادارى. ويشير المفهوم الى مجموعة من المعايير والإجراءات التي يهدف تبنيها وتنفيذها الى تحقيق أقصى درجة من الأهداف المتوخاه للمؤسسة والتحسين المستمر في الأداء والمنتج وفقا للأغراض المطلوبة والمواصفات المنشودة بأفضل طرق وأقل مجهود وتكلفة ممكنين *(البيلاوى وآخرون، 2006م ص 12)*.

المحاور: معايير الجودة وعناصر التقييم – جامعة النيلين

اعتمدت إدارة الجود بجامعة النيلين أثنى عشر محوراً لبدء عملية التقويم الذاتي بالجامعة لأول مرة في تاريخها، مستفيدة من بعض التجارب العالمية والإقليمية والمحلية وبما يتلاءم وطبيعة وبيئة الجامعة بعد توطينها. تمت إجازة المحاور من المجالس المختلفة ابتدءا من مجلس إدارة الجودة ومجلس العمداء بالجامعة حتى مجلس الأساتذة. كل محور من المحاور المعتمدة يحتوى على مجموعة من المعايير. المعايير تحتوى على مجموعة من أنشطة القياس والتقييم التي تضمنتها استمارات التقييم الذاتي في مجملها ثلاث استمارات، الأولى لادارة الجامعة تستهدف الادارة العليا المدير ونائبه، وكيل الجامعة ومدراء الادارات المختلفة وعددها أكثر من عشرين إدارة، تغطى كافة الجوانب الادارية لتقييم الوضع الراهن بالجامعة. الاستمارة الثانية خاصة بالكليات تستهدف عميد الكلية ونائبه، مدراء المدارس، رؤساء الأقسام، المسجل الاكاديمى، وبقية أعضاء هيئة التدريس بالكلية (ملحق 1). الاستمارة الثالثة خاصة بالطلاب بمختلف المستويات الدراسات العليا، البكلاريوس والدبلوم التقني على ان يكون الحد الأدنى من الطلاب المستهدفين على الأقل حوالي مائة طالب بالكلية الواحدة. تم توزيع

الاستمارات للجهات المستهدفة مع تحديد الفترة الزمنية للمرحلة الحالية، وبعد الانتهاء من تعبئة الاستمارة (ترفق بعض الوثائق المطلوبة) يتم إرسال الاستمارة مرة أخرى لادارة الجودة بغرض التحليل ومن ثم تتم الزيارات الميدانية للكليات وعمادات وإدارات الجامعة المختلفة بواسطة مجلس الجودة، وأخيرا إعداد تقرير لبدء عملية التقويم الذاتي والذي ياتى في إطار المرحلة الأولى لعملية التقويم الذاتي. المحاور والمعايير والأنشطة التي اعتمدتها ادارة الجودة بالجامعة تشمل الآتي:-

المحور الأول: التخطيط الاستراتيجى

تبني الجامعة لمنهج التخطيط الاستراتيجي القائم على تحليل الواقع وصياغة الرؤيا والرسالة وتحديد الغايات والأهداف والخطط التنفيذية. توجد بالجامعة خطة إستراتيجية واقعية ومرنة تلتزم بها إدارة الجامعة ومنشورة، وتتضمن الغايات والأهداف الرئيسة، مع تضمينها آليات ووسائل تحقيق تلك الغايات والأهداف بما يتواءم مع مواردها وإمكاناتها. يتم وضع الخطة الإستراتيجية بعد دراسة وتحليل الوضع الراهن للجامعة والبيئة الخارجية بمتغيراتها. وتجاز وتقوم الخطة الإستراتيجية من قبل مجلس الجامعة.

المعيار (1) الرؤية: للجامعة تصور مستقبلي قائم على الرغبة في التفوق والإبداع والتميز محليا وإقليميا وعالميا في مجالات برامجها وأنشطتها وخدماتها، رؤية الجامعة واضحة ومنشورة.

المعيار (2) الرسالة: للجامعة رسالة معروفة ومحددة ومنشورة تترجم رؤيتها، تعكس هويتها والأهداف الرئيسية التى تسعى لتحقيقها والوضع المستقبلي الذي تسعى إليه.

المعيار (3) الأهداف: للجامعة أهداف وغايات معلنة وواضحة ومنشورة مستمدة من رسالتها ورؤيتها تتسم بالوضوح والواقعية والمرونة والقياس.

الحوكمة والإدارة:

للجامعة قانون أمر تأسيس ونظم ولوائح وآليات وأطر للحوكمة والإدارات ذات مسؤوليات واضحة ومناسبة لطبيعة عملها بما يضمن تحقيق إطارها المؤسسي بصورة ممتازة. وتشمل الحوكمة والإدارة معايير مثل النظم واللوائح، الهياكل التنظيمية

والوظيفية، المجالس، اللجان، القيادة، العلاقات الخارجية، الخدمات الجامعية، الموارد المالية وإدارته وغيرها ويمكن إجمالها في الآتي:-

المعيار(1) النظم واللوائح: توجد بالجامعة نظم ولوائح تحدد عمل المجالس واللجان وجميع الوحدات الأكاديمية والإدارية والمالية، النظم واللوائح تتسم بالوضوح وموثقة ومتاحة لجميع منسوبي الجامعة. وتحدث بصورة دورية من جهات الاختصاص بالجامعة.

المعيار(2) المجالس: توجد بالجامعة مجالس حاكمة تتشكل وفقا لقانون أو أمر تأسيس الجامعة، وتقوم بأدوار ومهام ووظائف محددة ومتنوعة بكفاءة وفعالية على مختلف المستويات الأكاديمية والإدارية. بالإضافة الى وجود آلية لمتابعة تنفيذ قرارات وتوصيات المجالس في المجالات الأكاديمية والإدارية.

المعيار (3) اللجان: للجامعة لجان دائمة ولجان غير دائمة تشكل وفقا لقانون أو أمر تأسيس الجامعة للقيام بأدوار ومهام واختصاصات محددة على مختلف المستويات، توجد آلية لمتابعة تنفيذ قرارات وتوصيات اللجان بالجامعة.

المعيار (4) القيادة:_يتم اختيار القيادات الأكاديمية والإدارية بالجامعة وفق معايير واضحة تراعى التميز الاكاديمى والقدرات القيادية والخبرات العلمية والعملية، ويراعى مشاركة منسوبي الجامعة في اختيار هذه القيادات، وتعمل القيادات على تطوير الإطار المؤسسي وأنظمة العمل وتجسيد ثقافة التميز. تشغل المناصب الأكاديمية والإدارية بصورة دورية.

المعيار (5) الأقسام: البنية الإدارية والأكاديمية للأقسام الأكاديمية بالكليات تحقق الأهداف. تقوم الأقسام بتنظيم العملية الأكاديمية والامتحانات ونتائج الطلاب. تحقق الهياكل التنظيمية للأقسام أهداف الكليات التابعة لها، وتشمل متطلبات التخطيط الاستراتيجى والخدمات. كما تمتاز الأقسام بالكفاءة والاهتمام بالبحث العلمي.

البني الأساسية:

توجد بالجامعة البنى التحتية المناسبة والكافية والمهيأة لتمكنها من أداء أنشطتها بكفاءة وفعالية تحقيقا لأهدافها ورسالتها.

الموارد المالية وإدارتها:

توجد بالجامعة الموارد المالية الكافية والتي تمكنها من أداء رسالتها وتحقيق أهدافها والقيام بوظائفها المختلفة بكفاءة وفعالية من خلال وضع موازنة مالية للجامعة ويتم الالتزام بها من كافة الجهات. وتدار هذه الموارد بواسطة إدارة مالية مقتدرة تعمل بكفاءة على استغلالها وتنميتها مع سعيها لاستحداث مصادر جديدة. وتقوم الإدارة المالية بإتباع الأساليب والنظم الإجراءات المحاسبية المتعارف عليها مستخدمة تكنولوجيا التقانة المعلومات الحديثة في عملياتها وملتزمة بالشفافية العالية في أدائها. كما توجد أسس متعارف عليها لتوزيع الموارد المالية بين الكليات والمراكز والوحدات المختلفة.

الموارد البشرية:

تتوافر للجامعة الموارد البشرية الكافية والمؤهلة في مختلف المجالات، وتعمل على إدارة مواردها البشرية (التخطيط والتدريب وتحقيق الرضاء الوظيفي) بما يمكن الجامعة من أداء وظائفها المختلفة وتحقق رسالتها.

المعيار (1) الموارد البشرية: للجامعة إدارة للموارد البشرية مكتملة الجوانب والتجهيزات تعنى بالموارد البشرية تخطيطا وتنفيذا وتقويما بكفاءة وفعالية.

المعيار (2) أعضاء هيئة التدريس: للجامعة العدد الكافي والمؤهل من أعضاء هيئة التدريس في مختلف التخصصات الأكاديمية، وتعمل على بناء قدراتهم وتحقيق الرضاء الوظيفي لهم، بما يمكنها من أداء وظائفها المختلفة لتحقيق رسالتها. بالإضافة الى أن النظم واللوائح الخاصة بترقية أعضاء هيئة التدريس متاحة ومنشورة لجميع أعضاء هيئة التدريس.

المعيار (3) مساعدي التدريس: يوجد بالجامعة العدد الكافي من مساعدي التدريس في مختلف التخصصات الأكاديمية، وتعمل على تأهيلهم وتدريبهم وتحقيق الرضاء الوظيفي لهم، بما يمكنها من تحقيق رسالتها.

المعيار (4) الموظفين والمدرسيين الفنيين: للجامعة العدد الكافي والمؤهل من المدرسيين الفنيين والتقنيين والمدربين في مختلف التخصصات ذات الحاجة، وتعمل الجامعة على

بناء قدراتهم وتحقيق الرضاء الوظيفي وفق خطة مدروسة ومجازة من الجهات ذات الاختصاص بما يمكنها من تحقيق رسالتها.

الخدمات الجامعية:

توفر الجامعة خدمات مناسبة لمنسوبيها بشكل مستمر وفى مناخ صحي آمن يحفزهم لأداء وظائفهم بكفاءة وفعالية، تحفز الجامعة العمل الاكاديمى والادارى المتميز.

تقنية المعلومات والاتصالات:

للجامعة بنية تقنية حديثة للمعلومات والاتصالات (انترنت) وشبكات الاتصال الداخلية والخارجية ومتاحة للمستفيدين تمكنها من أداء وظائفها المختلفة بكفاءة وفعالية تحت إشراق إدارة مؤهلة تتوافر لها الموارد الكافية للتشغيل والصيانة والتحديث.

مصادر طرق التعليم والتعلم:

تتوفر للجامعة فرصا لتعلم الطلاب من خلال برامج دراسية مختلفة ومتنوعة متسقة مع رسالة وأهداف الجامعة وتتسم بالحداثة والمرونة، كما تتيح مصادر متنوعة للتعليم والتعلم ملائمة للبرامج الدراسية ولإعداد الطلاب وتقوم بصورة دورية حسب حاجة المجتمع وسوق العمل. كما توفر الجامعة للطلاب الإرشاد الأكاديمي اللازم، وتقوم أداءهم العلمي بعدالة وشفافية وبأساليب وأدوات تكنولوجية متنوعة وحديثة.

المعيار (1) نظام الدراسة: تقدم الجامعة برامج دراسية متسقة مع رسالتها وأهدافها، وتتسم بالإعداد الجيد والتقويم الدوري، وتلبى احتياجات سوق العمل ومتطلبات التنمية المجتمعية والمتغيرات المحلية والعالمية، ويشارك في تقويمها المستفيدون. كما يجب ان توازن البرامج الدراسية بين الجوانب النظرية والتطبيقية متضمنة أساليب التعليم الذاتي مع مراعاة المواكبة والحداثة حسب المتغيرات المحلية والعالمية ومتطلبات سوق العمل.

المعيار (2) البرامج الأكاديمية والخطط بالكلية: المقررات الدراسية والمناهج بالجامعة ترتبط بالرسالة والأهداف، ومصممة ومعدة بطريقة علمية تتسم بالحداثة والمرونة والتكامل والشمول، وتعمل المناهج من خلال أهدافها ومحتوياتها وأنشطتها لتزويد

الطلاب بالمعارف والمهارات والقيم والاتجاهات التي تكسبهم المهارات اللازمة لتمكينهم من القيام بمهامهم الوظيفية والمهنية عند تخرجهم.

المعيار (3) تقويم الطلاب: تعقد بالكليات امتحانات تحريرية وشفوية وعملية بعدد اوراق امتحانات مناسبة، كما توجد أعمال سنة مناسبة بالإضافة إلى التجارب المختبرية والميدانية، بالإضافة إلى تقارير مشاريع التخرج ضمن نظام تقويم الطلاب بالجامعة.

المعيار (4) المكتبات: توجد بالجامعة مكتبة مركزية ومكتبات فرعية بالكليات والمراكز البحثية تتوافر بها كل الإمكانات المادية والأطر البشرية والخدمات المختلفة التي تتناسب وأعداد وحاجات المستفيدين. كما توجد مكتبات افتراضية تتوافر لها التجهيزات التقنية والتكنولوجية المناسبة التي تتناسب مع احتياجات وأعداد المستفيدين من أعضاء هيئة تدريس وطلاب وموظفين.

البحث العلمي:

توجد بالجامعة إستراتيجية للبحث العلمي والدراسات العليا تتسق مع رسالتها وأهدافها، وترتبط بالإستراتيجية القومية للدولة في مجالي البحث العلمي والتدريب. ولتحقيق ذلك توفر الجامعة الإمكانات المادية والفنية والأطر البشرية اللازمة، وتتعاون مع الجهات ذات الصلة في مجال البحث العلمي والدراسات العليا للارتقاء بهما والاستفادة من نتائجهما في تحسين عمليات التعليم والتعلم وخدمة المجتمع وتنميته. كما توجد آلية لتشجيع المشاركة البحثية لأعضاء هيئة التدريس مع وجود ميزانية للبحث العلمي معتمدة ضمن ميزانية الجامعة.

المعيار (1) عمادة البحث العلمي: توجد بالجامعة عمادة أو إدارة للبحث العلمي تتولى وضع وتنفيذ الإستراتيجيات والخطط والبرامج والأنشطة الخاصة بالبحث العلمي، وتعمل على عقد الاتفاقيات المشتركة مع الجهات ذات الصلة. وتقوم بتقويم الأداء لضمان جودته وفق آليات وأساليب محددة وبصورة دورية.

المعيار (2) تمويل وتسويق البحث العلمي: توفر الجامعة بنود صرف وموارد مقدرة وكافية من موازنتها العامة لتنفيذ برامج وأنشطة البحث العلمي وفق الخطط البحثية المحددة، كما تسعى لاستقطاب الدعم لتمويل البحث العلمي وتطويره.

المعيار (3) برامج البحث العلمي: توجد بعمادة البحث العلمي برامج متنوعة تنبثق من رسالة الجامعة، وتتفق مع الإستراتيجية القومية للبحث العلمي للدولة، وتتواءم مع إمكانات الجامعة ومقابلة احتياجات سوق العمل وتنمية المجتمع لتطوير المعرفة وتحسين العملية التعليمية التعليمة.

عمادة الدراسات العليا:

توجد بالجامعة عمادة مسؤولة عن للدراسات العليا تعمل بها أطر بشرية كافية ومؤهلة، للعمادة نظم ولوائح موثقة ومنشورة ومتاحة خاصة بشروط القبول والتسجيل ونتائج الطلاب وفق تخصص عام ودقيق، كما تتضمن لوائح الإشراف الاكاديمى وتقوم بتنفيذ نظم وإجراءات الدراسات العليا لضمان جودته وفق آليات وأساليب محددة وبصورة دورية. كما تعمل على تأسيس وتطوير علاقات تعاون مع الجهات ذات الصلة داخليا وخارجيا.

خدمة المجتمع:

توجد بالجامعة برامج وأنشطة متعددة ومتنوعة لخدمة المجتمع وتعمل على توطيد علاقات مشتركة ومتبادلة مع منظمات المجتمع المختلفة.

المعيار (1) عمادة خدمة المجتمع: توجد بالجامعة عمادة أو إدارة متكاملة لخدمة المجتمع تتمثل مسؤولياتها في تحديد الاحتياجات المجتمعية للأفراد والمؤسسات وتقديم استشارات فنية، ومن ثم تصميم البرامج والأنشطة التي تلبى تلك الاحتياجات، وتشترك في ذلك جميع الأطراف والوحدات المختلفة بالجامعة، كما تقوم العمادة على خلق علاقات وشراكات مع منظمات المجتمع المختلفة للنفع المتبادل بين الجامعة والمجتمع.

المعيار (2) برامج خدمة المجتمع: تعمل عمادة خدمة المجتمع على تصميم برامج وأنشطة مختلفة ومتنوعة لخدمة المجتمع وتلبية احتياجاته المختلفة تنبثق من رسالة

الجامعة مثل برامج التعليم المستمر، البرامج القصيرة وغيرها، وتتواءم مع إمكانيات الجامعة المادية وأطرها البشرية وبمشاركة واسعة وفاعلة من جميع المستفيدين.

الطلاب والخريجون:

للجامعة إدارات مكتملة الجوانب والتجهيزات تعنى بالبرامج والخدمات وأنشطة الطلاب والخريجين تخطيطا وتنفيذا وتقويما بكفاءة وفعالية.

المعيار (1) القبول والتسجيل: للجامعة سياسات وإجراءات واضحة ومبسطة لقبول وتسجيل الطلاب، ولها إدارة متخصصة تتوافر لها معينات عمل كافية ومناسبة وتقوم بتنفيذ مهامها بكفاءة وفعالية. نظم ولوائح القبول والتسجيل منشورة ومتاحة للطلاب. بالإضافة الى استخدام التسجيل الالكتروني، مما يعنى وجود إحصاءات دقيقة عن الطلاب وتصنيفهم.

المعيار (2) عمادة شئون الطلاب: توجد بالجامعة عمادة خاصة بالطلاب مكتملة الجوانب والتجهيزات تعنى بالبرامج والخدمات وأنشطة الطلاب تخطيطا وتنفيذا وتقويما بكفاءة وفعالية. يمثل الطلاب في العمادة، كما ترعى العمادة أنشطة الطلاب والروابط والاتحادات وتقديم الخدمات الاجتماعية الضرورية. توجد بعمادة الطلاب نظم ولوائح موثقة ومنشورة لكافة الطلاب.

المعيار(3) الخريجين: للجامعة إدارة تعنى بشؤون الخريجين خاصة استخراج شهادات التخرج والإفادات وفق إجراءات مبسطة وميسرة. كما توجد بإدارة شؤون الخريجين قاعدة بيانات بها إحصاءات دقيقة عن الخريجين وتصنيفهم. لإدارة شؤون الخريجين علاقات وطيدة مع خريجيها وسوق العمل والمجتمع وتحرص على تطويرها وتعزيزها، من خلال برامج وأنشطة مختلفة.

متطلبات النجاح:

10. الدعم المتواصل والالتزام بتطوير الجودة من قبل الإدارة العليا بالجامعة.
11. إلمام جميع منسوبي الجامعة بأهمية ضمان الجودة والالتزام بدعمها والعمل بروح الفريق الواحد لتحقيق الأهداف المطلوبة.
12. تبنى كل كلية ووحدة إدارية لفلسفة جديدة لمفهوم الجودة لرفع مستوى الأداء.

13. تنمية الموارد البشرية (أعضاء هيئة التدريس والموظفين) وتطوير وتحديث المناهج وتبنى أساليب التقويم المتطورة وتحديث الهياكل التنظيمية لإحداث التجديد الإداري والأكاديمي المطلوب.
14. إعداد البرامج التدريبية المستمرة لجميع العاملين بالجامعة والالتزام بها.
15. التعرف على احتياجات كل من المستفيد الداخلي (الطلاب) والعاملين وأعضاء هيئة التدريس وكذلك المستفيد الخارجي (المجتمع) وإخضاع هذه الاحتياجات لمعايير قياس الأداء والجودة.
16. تطوير الهيكل التنظيمي لكل من الجامعة والكليات بما يتناسب ومفهوم الجودة.
17. استخدام القياس كأداة موضوعية في التحسين.
18. الدعم المالي والمطلوب وتحديد ميزانية كافية.
19. اتخاذ الإجراءات التصحيحية لأي مسار خاطئ.

النتائج المتوقعة من تطبيق الجودة بالجامعة:

1. رؤية، ورسالة، وأهداف واضحة ومحددة للجامعة.
2. الخطة الإستراتيجية للجامعة والخطط السنوية للوحدات متوفرة ومبنية على أسس علمية، ووضوح الوصف الوظيفي لكل وحدة ولكل موظف.
3. الهيكلية واضحة ومحددة وشاملة ومتكاملة ومستقرة للجامعة وأدوار واضحة ومحددة في النظام الإداري.
4. معايير جودة محددة لجميع مجالات العمل (أكاديمية وإدارية) في الجامعة أكاديمية، بحثية، خدمية، إدارية وغيرها.
5. ارتفاع مستوى أداء جميع الموظفين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة.
6. تكامل وتنسيق عالي بين الأكاديميين والإداريين في الجامعة والعمل بروح الفريق.
7. إرتفاع ملحوظ لدافع التجويد نتيجة لمشاركة الجميع وذلك لنمو الشعور بالانتماء للجامعة.

8. جودة المنتج العالية نتيجة لامتلاك العاملين للمعارف والمهارات الأزمة مما يؤدى إلى احترام وتقدير الجامعة وكسبها للسمعة الطيبة على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية.
9. ارتفاع مستوى المهارات العلمية والعملية لخريجي الجامعة وخلق صلة وثيقة بين الجامعة والخريجين.
10. الاستفادة من التطبيقات التكنولوجية الحديثة في تخفيف ضغوط العمل الكثيف على الموظفين وأعضاء هيئة التدريس.

الخاتمة:

في ظل ثورة التعليم العالي التي انطلقت بالبلاد منذ عدة سنوات الجامعات السودانية مطالبة بالتركيز على الجودة ليس فقط لمواجهة الضغوط والتحولات المحلية، لكن أيضا لمواجهه المنافسة. لذلك جامعة النيلين مطالبة أيضا بالمبادرات والاختراعات والسبق في حقول العلوم والتكنولوجيا المتعددة، وهذا يعتمد بالدرجة الأولى على قيادة الموارد البشرية لمواجهه التحديات المحلية والدولية. فالطلاب اليوم يتوقعون الكثير من الجامعة في تقديم أفضل الخدمات التعليمية والبحثية والاجتماعية والثقافية وبأقل تكلفة ممكنة والثقة في ان المستقبل سوف يكون أكثر إشراقا.

إذا عملية التقويم الذاتي والتي انطلقت بالجامعة تهدف الى التعرف على نقاط القوة مع تقديم الأدلة والبراهين والأمثلة بالإضافة الى نقاط الضعف مع تقديم المقترحات العملية والممكنة للمعالجة وذلك من اجل تحقيق أعلى مستويات الجودة وتمشيا مع رسالة وتحقيق أهداف الجامعة في تحقيق التنمية المستدامة. وعلى الرغم من حداثة التجربة الى انها تسير في الطريق الصحيح تمشيا مع سياسات التعليم العالي بالدولة.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم الشريف حامد التكينة، الجودة في الرسائل الجامعية "معايير التقييم، المناقشة، الانتحال العلمي، إرشادات عامة، خصائص المشرف" مطبعة جامعة النيلين، الخرطوم، 2012م.

2. حسن حسين البيلاوى وآخرون، تحرير رشدي أحمد طعيمة، الجودة الشاملة في التعليم بين مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد: الأسس والتطبيقات، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2006م.
3. خضر كاظم محمود، إدارة الجودة الشاملة، (الطبعة الثانية)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2009م.
4. ديمنغ وروبيرت هاغستروم، ترجمة وإعداد هند رشدي، إدارة الجودة الشاملة: أسس ومبادئ التطبيق، دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م.
5. عائشة عبدالله المحجوب، سياسات ضبط ومراقبة غدارة الجودة الشاملة، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2009م.
6. عبدالباقى عبدالغنى بابكر، وآخرون، دليل التقويم والاعتماد في التعليم العالي، (الهيئة العليا للتقويم والاعتماد)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، سلسلة إصدارات الهيئة 3، الخرطوم، 2010م.
7. عبدالستار العلى، تطبيقات في إدارة الجودة الشاملة (الطبعة الثانية)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2010م.
8. عوض حاج على أحمد، المؤسسية وضبط الجودة في مؤسسات التعليم العالي بإشارة خاصة للتجربة السودانية، بدون تاريخ.
9. عمر وصفى عقيلى، المنهجية المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة (وجهه نظر)، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 2001م.
10. عمر أحمد عثمان المقلي و عبدالله عبدالرحيم، إدارة الجودة الشاملة، شرطة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2006م.
11. محمد عبدالعال النعيمى وراتب جليل صويص، تحقيق الدقة في إدارة الجودة: مفاهيم وتطبيقات، (الطبعة الأولى)، دار إثراء للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.

12. محمد عوض الترتورى وأغادير عرفات جويحان، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات (الطبعة الثانية)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2009م.
13. مصطفى حامد الحكيم، الجودة الشاملة وامتياز الأعمال – متوافق مع النموذج الأوربي 2010م، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2011م.

ملحق (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النيلين - إدارة الجودة

قسم الجودة الأكاديمي

مؤشرات التقويم المؤسسي للجامعة

استمارة الكليات

القسم الأول: البيانات العامة

الكلية:..... تاريخ إنشائها..... قرار الإنشاء.....العنوان.....

نوع الدراسة: نظامي ( ) انتساب ( ) عن بعد ( )

منهج الدراسة : ..... نظام الدراسة: سنوي ( )، فصلي ( ) ، نظام ساعات ( ) فصل معدل ( )

لغة التدريس: لغة عربية ( ) لغة انجليزية ( ) مختلط ( )

الدرجات العلمية التي يجيزها مجلس الكلية بكالوريوس ( ) دراسات عليا ( ) دبلوم ( )

أقسام / شعب الكلية:

عدد الفرق بالكلية:

القسم الثاني: درجات التقويم

الرجاء وضع علامة (√) أمام الخيار المناسب للدلالة علي رأيك في جميع المحاور

الدرجة	0	1	2	3	4	5
التقدير	لايوجد	ضعيف	مقبول	جيد	جيد جدا	ممتاز

القسم الثالث: محاور الاستبيان

المحور الأول : التخطيط الاستراتيجي

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية خطة إستراتيجية واضحة						
2	الخطة الإستراتيجية منشورة						
3	تتضمن الخطة الإستراتيجية الغايات والأهداف الرئيسة						
4	تلتزم إدارة الكلية بالخطة الإستراتيجية						
5	تتضمن الخطة آليات ووسائل تحقيق الأهداف						
6	تجاز وتقوم الخطة من قبل مجلس الكلية						

أولاً: الرؤيا

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية رؤيا واضحة تعكس التصور المستقبلي للجامعة						
2	رؤية الكلية واضحة ومنشورة						
3	الرؤيا توضح رغبة الكلية في التفوق والإبداع والتميز						

ثانياً: الرسالة

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية رسالة واضحة						
2	الرسالة منشورة ومتاحة						
3	الرسالة تترجم رؤية الكلية						

ثالثاً: الأهداف

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية أهداف واضحة						
2	الأهداف منشورة وموثقة ومتاحة						
3	الأهداف تترجم رسالة الجامعة						
4	أهداف الكلية قابلة للقياس						
5	الأهداف مستمدة من رسالة الكلية ورؤيتها						
6	تتسم الأهداف بالمرونة والواقعية						

الحوكمة والإدارة

أولاً: النظم واللوائح

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية هيكل تنظيمي ووظيفي واضح						
2	بالكلية وصف وظيفي واضح لكل الأنشطة الإدارية						
3	يوجد بالكلية وصف وظيفي واضح لكل الأنشطة الأكاديمية						
4	تلتزم الكلية بتطبيق الهياكل التنظيمية والوظيفية						
5	للكلية نظم ولوائح واضحة						
6	النظم واللوائح موثقة ومنشورة						
7	نظم ولوائح الكلية متاحة للجميع						
8	النظم واللوائح توضح مهام واختصاصات العمل الإداري						
9	تطور وتحدث النظم واللوائح بالكلية بصورة دورية						

- ترفق الوثائق اللازمة

ثانياً: المجالس

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية مجالس حاكمة تشكل وفقا لقانون الجامعة						
2	تجتمع المجالس بصورة دورية						
3	توجد مضابط لاجتماعات المجالس المختلفة بالكلية						
4	للمجالس مهام ووظائف محددة حسب طبيعتها الأكاديمية						
5	للمجالس مهام ووظائف محددة حسب طبيعتها الإدارية						
6	توجد آلية لمتابعة تنفيذ قرارات المجالس الأكاديمية بالكلية						
7	توجد آلية لمتابعة تنفيذ قرارات المجالس الإدارية للكلية						
8	صلاحيات عميد الكلية مكتوبة						
9	صلاحيات عميد الكلية واضحة						
10	صلاحيات عميد الكلية فاعلة						
11	صلاحيات نائب العميد/مدير المدرسة مكتوبة						
12	صلاحيات نائب العميد/مدير المدرسة واضحة						
13	صلاحيات نائب العميد/مدير المدرسة فاعلة						
14	تشكيل مجلس الكلية واضح وفاعل						
15	يجتمع مجلس الكلية بصورة دورية						
16	توجد مضابط لاجتماعات مجلس الكلية						
17	توجد آلية لمتابعة تنفيذ قرارات مجلس الكلية						
18	صلاحيات رئيس القسم مكتوبة						
19	صلاحيات رئيس القسم واضحة						

20	صلاحيات رئيس القسم فاعلة						
21	تشكيل مجلس القسم واضح وفاعل						
22	يجتمع مجلس القسم بصورة دورية						
23	توجد مضابط لاجتماعات مجلس القسم						
24	توجد آلية لمتابعة تنفيذ قرارات مجلس القسم						
25	يوجد مجلس للبحث العلمي بالكلية						
26	تشكيل مجلس البحث العلمي واضح						
27	صلاحيات مجلس البحث العلمي مكتوبة						
28	صلاحيات مجلس البحث العلمي واضحة						
29	صلاحيات مجلس البحث العلمي فاعلة						
30	يجتمع مجلس البحث العلمي بصورة دورية						
31	توجد مضابط لاجتماعات مجلس البحث العلمي						
32	توجد آلية لمتابعة تنفيذ قرارات مجلس البحث العلمي						

ترفق الوثائق اللازمة

ثالثاً: اللجان

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية لجان دائمة						
2	اللجان الدائمة تشكل وفق قانون الجامعة						
3	للجان الدائمة مهام واختصاصات محددة						
4	للكلية لجان مؤقتة						
5	اللجان المؤقتة تشكل وفق قانون الجامعة						
6	للجان المؤقتة مهام واختصاصات محددة						

رابعاً: القيادة

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	يتم اختيار الأطر القيادية والأكاديمية لشغل المناصب القيادية وفق معايير واضحة						
2	يتم اختيار الأطر القيادية الأكاديمية بناءاً على القدرات الذاتية والتميز الأكاديمي						
3	تتم مشاركة منسوبي الكلية ومشاورتهم في اختيار القيادات الأكاديمية						
4	تعمل القيادات الأكاديمية على تطوير الإطار المؤسسي وأنظمة العمل						
5	تعمل القيادات الأكاديمية على تجسيد ثقافة التميز بالكلية						
6	تشغل المناصب القيادية الأكاديمية بصورة دورية						
7	يتم اختيار الكوادر القيادية الإدارية بناءاً علي الخبرات العلمية والعملية						
8	مشاركة أعضاء هيئة التدريس في صنع القرارات الإدارية						
9	مدي وضوح نظم المدرسة/ القسم للغايات والمهام الأساسية للعمل الإداري						
10	يوجد نظام لتقويم العاملين بالكلية						
11	نظام الكلية يلبى حاجات أعضاء هيئة التدريس						
12	نظام الحوافز يشجع العاملين على إتقان العمل والإبداع فيه						
13	نظام المعلومات والاتصالات بالكلية يلبي حاجات التخطيط والمتابعة والتنفيذ واتخاذ القرارات						

خامساً: الأقسام

		0	1	2	3	4	5
1	الهيكل التنظيمي يحقق أهداف القسم						
2	البنية الإدارية والأكاديمية للقسم						
3	استقلالية القسم كوحدة أكاديمية أساسية –صلاحية مجلس القسم						
4	الكفاءة العامة للقسم						
5	تنظيم القسم لعملية التدريس						
6	تنظيم القسم لعمليات الامتحانات						
7	تنظيم القسم لعملية البحث العلمي						
8	الكفاءة العامة للقسم بالنسبة للأقسام الأخرى بالكلية						
9	ضرورة وجود القسم بالهيكل الإداري للكلية						
10	يحقق الهيكل التنظيمي أهداف الكلية المدرسة/ القسم (وهل يشمل علي متطلبات التخطيط الاستراتيجي، والخدمات والسلامة).						
11	الكفاءة العامة للقسم يرجي إرفاق أدلة الإجراءات الإدارية – توثيق الوظائف						
12	هل جري أي تعديل علي البنية التنظيمية في السنوات الخمسة الأخيرة- وظائفها موجبات ذلك التعديل						

المحور الثالث: البنية الأساسية

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	المساحة المتاحة للوحدة الأكاديمية كافية لتحقيق أهداف الكلية						
2	توجد بالكلية مكتبة مزودة بمصادر المعلومات						
3	تتوفر وسائل التقنيات الحديثة ومصادر المعلومات في المكتبة بالكلية						
4	يوجد مركز معلومات في الكلية مزود بالمعلومات الضرورية						
5	توفر الكلية مكاتب وأماكن تليق بأعضاء هيئة التدريس						
6	قاعات الدراسة متناسبة مع إعداد الطلبة المقبولين سنويا						
7	تتوفر في معامل الكلية أجهزة وسائط حديثة						
8	تتوفر في المعامل الشروط الصحية والأمن والسلامة المهنية						
9	توجد صيانة دورية لأجهزة المعامل في الكلية						
10	تتوفر في الكلية الموارد التقنية المتنوعة ذات الصلة بالبرامج العلمية التعليمية						
11	تتوفر في الكلية الموارد التقنية المتنوعة ذات الصلة بالبرامج العلمية التعليمية						
12	توجد في الكلية وسائل اتصال حديثة						
13	موقع الكلية علي شبكة الإنترنت مفعل						
14	تتوافر مواقف السيارات المخططة والمنظمة حسب طبيعة استخدامها						

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
15	تتوافر بالكلية خدمات شبكة الكهرباء						
16	تتوافر بالكلية حدائق عامة مصممة بطريقة جميلة وعلمية						
17	توافر الخدمات العلاجية لمنسوبي الكلية						
18	توافر العدد الكافي من دورات المياه بالكلية مع توافر النظافة المستمرة						
19	التوافر الدائم لمياه الشرب الصحية في محيط الكلية						
20	توافر أماكن مهيأة بصورة جيدة لأداء العبادات بالكلية						

المحور الرابع: الموارد المالية وإداراتها

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية إدارة مالية مقتدرة						
2	الإدارة المالية تعمل بكفاءة عالية						
3	يوجد بالكلية نظام مالي ومحاسبي محوسب						
4	الموارد المالية بالكلية كافية						
5	الموارد المالية تمكن الكلية من أداء رسالتها وتحقيق أهدافها						
6	الموارد المالية كافية للتسيير والتطوير						
7	للكلية موازنة سنوية						
8	للكلية أسس لتوزيع الموارد المالية						
9	تسعي الكلية وباستمرار لاستحداث وتطوير الموارد المالية						

المحور الخامس: الموارد البشرية

أولاً: هيئة التدريس

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	يتوفر في الكلية عدد كاف من أعضاء هيئة التدريس المؤهلين أكاديمياً						
2	تتوفر في الكلية دورات تدريبية داخلية وخارجية لأعضاء هيئة التدريس						
3	تتوفر في الكلية التقنيات الحديثة لأعضاء هيئة التدريس لقيامهم بالتدريس						
4	تتيح الكلية لأعضاء هيئة التدريس الحرية الأكاديمية						
5	الأبحاث التي يجريها أعضاء هيئة التدريس تتواءم مع المعايير العالمية						
6	تشجع العالمية وتحفز أعضاء هيئة التدريس للقيام بالبحث						
7	عدد البحوث التي ينشرها أعضاء هيئة التدريس بالكلية في السجلات المحكمة						
8	تشجع الكلية وتحفز أعضاء هيئة التدريس للنشر والتأليف						

ثانياً: التقنيين والموظفين والعمال

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية العدد الكافي من الموظفين						
2	للكلية العدد الكافي من التقنيين						
3	للكلية العدد الكافي من الفنيين						
4	تلتزم الكلية بتدريب التقنيين						
5	تلتزم الكلية بتدريب الموظفين						
6	للكلية العدد الكافي من العمال						
7	توجد نظم ولوائح لمحاسبة العاملين بالكلية						
8	بالكلية نظم ولوائح لتحفيز الأداء الجيد						
9	للكلية خطة متكاملة لتدريب وتأهيل الموظفين						

المحور السادس: الخدمات الجامعية

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	توفر الكلية خدمات مناسبة مطاعم، وكافيتريات مرضية لكافة منسوبيها						
2	توفر الكلية مرافق صحية وعلاجية لمنسوبيها						
3	توفر الكلية ملاعب رياضية						
4	تهيئ الكلية بيئة مناسبة للمناشط الثقافية والترفيهية						
5	تحفز الكلية الأداء الأكاديمي المتميز						
6	للكلية آليات " إدارات ووحدات للقيام بالخدمات "						

المحور السابع: تقنية المعلومات والاتصالات

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية قسم لتقنية المعلومات والاتصالات						
2	قسم تقنية المعلومات مؤهل ومكتمل						
3	للكلية شبكة معلومات داخلية تربط الأقسام						
4	للكلية شبكة داخلية ترتبط مع وحدات الجامعة المختلفة						
5	توجد خدمات انترنت بمكاتب أعضاء هيئة التدريس						
6	توجد خدمات انترنت بالقاعات الدراسية						
7	توجد خدمات انترنت بالمعامل						
8	للكلية موقع الكتروني						
9	يحدث الموقع بصورة دورية						
10	بالكلية نظام أرشفة الكترونية للوثائق						

المحور الثامن: مصادر طرق التعليم والتعلم

أولاً: نظام الدراسة

الرقم	عناصر التقييم	**0**	**1**	**2**	**3**	**4**	**5**
1	نظام الدراسة :						
	فصلي						
	ساعات معتمدة						
	سنوي						
2	عدد الساعات لكل نظام دراسي						
3	مكونات الخطة الدراسية						
4	خطة المدرسة / القسم						

ثانياً: البرامج الأكاديمية والخطط بالكلية

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	ترتبط المقررات والمناهج الدراسية برسالة ورؤية الكلية وأهدافها						
2	يتلاءم البرنامج الأكاديمي في الكلية مع احتياجات المجتمع						
3	يتسم البرنامج الأكاديمي في الكلية بالتطور والتنوع مقارنة بالبرامج الإقليمية والعالمية						
4	يتوفر في الكلية نظام تقويم عادل ومعلن لتقويم أداء الطلاب						
5	يتوفر في الكلية نظام لتقويم عادل ومعلن للبرنامج الأكاديمي						
6	يزود البرنامج الأكاديمي خريج الكلية بالقدرات للتعامل مع التقنيات الحديثة						
7	البرنامج الأكاديمي بالكلية قادر علي إتباع أسلوب التعلم الذاتي						
8	البرنامج الأكاديمي بالكلية قادر علي تنمية التفكير العلمي						
9	تتبني الكلية أنماط أخري من التعلم غير تقليدية مثل التعليم المفتوح، التعلم عن بعد						
10	عدد التخصصات بكل مدرسة/ قسم في مستوي البكلاريوس مستوي الدراسات العليا						
11	معايير النسب والأوزان لمكونات الخطة الدراسية لكل تخصص						

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
12	جداول العمل التدريسي متوازن ويحقق الفرص والواقعية						
13	مهارات استيعاب وإيصال المعلومة معقولة						
14	المصاريف الدراسية مناسبة						
15	شروط التخرج واضحة ومعروفة للطلاب						
16	التكامل البنائي بين التخصصات ومدي تكامل المنهج الدراسي						
17	التوازن بين العملي والنظري بين التخصصات						
18	المطلوبات والعلوم الأساسية والتخصصات						
19	تقسيم المواد متوازن جميع البرامج الدراسية						
20	وجود الإرشاد الأكاديمي						

ثالثاُ: تقويم الطلاب

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	تعقد بالكلية امتحانات تحريرية وشفوية وعملية						
2	عدد أوراق الامتحان مناسبة						
3	التكاليف والواجبات (أعمال السنة) مناسبة						
4	التجارب المختبرية والميدانية مناسبة						
5	تقارير مشاريع التخرج مناسبة						

رابعا: المكتبة

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	توجد بالكلية مكتبة مركزية						
2	توجد بالمكتبة خدمات الإعارة الداخلية والخارجية						
3	تقدم المكتبة خدمة الإرشاد المرجعي بمهنية عالية						

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
4	بالمكتبة خدمة البحث الآلي عن المعلومات						
5	بالمكتبة برنامج خاص بالمكفوفين						
6	توجد بالمكتبة خدمات المسح الضوئي والطباعة وتحمل نتائج البحث الآلي على وسائط التخزين والورق						
7	بالمكتبة خدمات البث الانتقائي للمعلومات						
8	بالمكتبة خدمة تصوير						
9	توجد بالمكتبة قاعة لمناقشة الرسائل الجامعية وعقد المؤتمرات وورش العمل والدورات التدريبية						
10	تنظم المكتبة معارض دورية للكتب						
11	تقيم المكتبة معارض دورية للوسائط الحديثة ومستلزماتها بأسعار مخفضة للطلاب						
12	تقدم المكتبة خدمات مكتبية لمن هم خارج الكلية مقابل رسوم مالية						
13	تشارك المكتبة في المؤتمرات الدولية والإقليمية الخاصة بالمكتبات						
14	تشارك المكتبة في المؤتمرات المحلية الخاصة بالمكتبات						
15	توجد خدمات انترنت بالمكتبة للطلاب						
16	توجد مكتبة الكترونية بالكلية						
17	الخدمات المكتبية المقدمة تتسم بالسرعة						

المحور التاسع: البحث العلمي

أولا: برامج البحث العلمي

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية برامج واضحة عن البحث العلمي تنبثق من رسالة الجامعة						
2	برامج البحث العلمي بالكلية تتفق مع الإستراتيجية القومية للبحث العلمي للجامعة وللدولة						
3	تخدم برامج البحث العلمي بالكلية تنمية المجتمع وتطوير المعرفة						

ثانياً: آليات البحث العلمي

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	توجد بالكلية قسم مسئول عن البحث العلمي						
2	توجد نظم ولوائح خاصة بالبحث العلمي منشورة ومتاحة						
3	توجد بالكلية إستراتيجية للبحث العلمي						
4	وجود آلية لتشجيع المشاركة البحثية لأعضاء هيئة التدريس						
5	اعتماد البحث العلمي مؤشر مهم لتقويم أعضاء هيئة التدريس						
6	توجد بالكلية ميزانية لتمويل البحث العلمي						
7	توجد آلية وأساليب لتسويق البحث العلمي						
8	تسعي الكلية لاستقطاب الدعم الداخلي لتمويل البحث العلمي						
9	تسعي الكلية العلمي لاستقطاب الدعم الخارجي لتمويل البحث العلمي						
10	توجد بالكلية مراكز بحثية متخصصة						

المحور العاشر: الدراسات العليا

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	وجود وحدة/قسم مسؤلة عن الدراسات العليا وشئون طلاب الدراسات العليا						
2	لقسم الدراسات العليا نظم ولوائح موثقة ومنشورة ومتاحة						
3	يعمل قسم الدراسات العليا علي تأسيس وتطوير علاقات تعامل مع الجهات ذات الصلة داخلياً						
4	يعمل قسم الدراسات العليا علي تأسيس وتطوير علاقات تعامل مع الجهات ذات الصلة خارجياً						
5	لقسم الدراسات العليا برامج متنوعة تنبثق من رسالة الجامعة						
6	لقسم الدراسات العليا نظم ولوائح تحدد الأشراف الأكاديمي						
7	لقسم الدراسات العليا نظم ولوائح تحدد شروط وإجراءات القبول						
8	تلتزم الدراسات العليا بالنظم واللوائح المختلفة						
9	توجد بقسم الدراسات العليا إجراءات وأساليب فاعلة لتقويم الطلاب						
10	تمتاز (تتصف) إجراءات تقويم الطلاب بالعدالة والشفافية وفق معايير الجودة						
11	تمنح عمادة الدراسات العليا شهادة التخرج وفق تخصص عام وتخصص دقيق						

المحور الحادي عشر: خدمة المجتمع

برامج خدمة المجتمع

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	بالكلية قسم لخدمة المجتمع						
2	تقدم الكلية استشارات فنية للمجتمع						
3	للكلية علاقات وشراكات مع منظمات المجتمع المختلفة						
4	توجد بالكلية سياسة وبرامج واضحة ومنشورة لخدمة المجتمع						
5	للكلية برامج للتعليم المستمر لخدمة المجتمع						
6	تعمل الكلية على المساهمة في حل قضايا المجتمع						
7	توظف إمكانات الكلية لخدمة المجتمع						
8	تنظم الكلية أنشطة ثقافية للمجتمع						

المحور الثاني عشر: الخريجون

الرقم	عناصر التقييم	0	1	2	3	4	5
1	للكلية قسم يعني بشئون الخريجين						
2	للكلية علاقة وثيقة مع الخريجين						
3	تقدم الكلية كافة التسهيلات للطلاب لاستلام شهادات التخرج						
4	تقدم الكلية كافة التسهيلات للطلاب لاستلام شهادات الإفادة						
5	إجراءات استخراج شهادة التخرج بسيطة وميسرة						
6	إجراءات استخراج شهادة الإفادة بسيطة وميسرة						
7	توجد برامج لمتابعة أداء الخريجين						

نقاط الضعف:

نقاط القوة:

التوصيات:

الحاجات النفسية وعلاقتها باساليب التنشئة الاسرية لدى المراهقات

د. ام كلثوم احمد محمد
جامعة الجزيرة كلية التربية / حنتوب

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدي المراهقات ولتحقيق هذا الهدف استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الإرتباطي حيث بلغ حجم العينة (200) مراهقة، لجمع البيانات استخدمت الباحثة مقياسي (الحاجات النفسية، أساليب التنشئة الاسرية) من اعداد الباحثة، حللت البيانات عن طريق برنامج التحليل الاحصائي (spss) حيث خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج اهمها: وجود علاقة ارتباطية بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدى المراهقات ، عدم وجود فروق في الحاجات النفسية لدى المراهقات تعزي لمتغير السكن والعمر، تمت مناقشة النتائج على ضوء الاطار النظري والدرسات السابقة ومن ثم وضعت الباحثة مجموعة من التوصيات بناءاً على النتائج وبعض المقترحات البحثية المستقبلية.

المقدمة:

تعتبر دراسة الحاجات النفسية من أهم الوسائل التي تزيد من فهم الشخصية الإنسانية وتمكن من تفسير الاختلاف في السلوك وهي يمكن أن تؤدي وظيفة المتغير الوسيط بين عوامل التنشئة الاجتماعية والأسرية.

تبدأ الحاجات النفسية في الإلحاح والوضوح نظراً لكثرة متطلبات الحياة العامة والحياة الشخصية خاصة في مرحلة المراهقة حيث أن ما يحدث فيها من تغيرات جسمية وسيكلوجية وفسيولوجية واجتماعية وانفعالية وعقلية يكون لها أثره الواضح في سلوك المراهقين نتيجة لإشباع أو عدم إشباع هذه الحاجات النفسية والتي تقتضي الإشباع وذلك بتقديم الخدمات الإرشادية والتوجيه للمراهقين من أجل معاونتهم على تحقيق التوافق النفسي والسليم والتغلب على ما يعترضهم من صعوبات وعوائق وذلك لأن أضخم

تغيرات تحدث للشخصية تحدث في مرحلة المراهقة. وتحظى موضوعات التنشئة الأسرية باهتمام كثير من علماء النفس وذلك لما تمثله من أهمية في تقدم الأمم ورقيها حيث تعتبر التنشئة الأسرية من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية في التأثير على الأبناء حيث تحضن الأسرة الطفل منذ بدايات حياته وفيها يتعلم مبادئ الحياة وإسلوب التفكير وأسس السلوك والاعتماد فالتنشئة في المفهوم المعاصر قد تنازعها أكثر من مؤسسة الأسرة من جانب والمؤسسات التعليمية من جانب آخر إضافة إلى المؤسسات التطوعية غير النظامية والتي تشكل حضوراً واضحاً في هذا الميدان. وهذا التنازع في المهمة قلل حجم المسألة على أي من المؤسسات مسؤولية الاحقاق في مستوى التنشئة (عبد الرحمن محمد 2002 – 22). وعندما ينهار ركن التنشئة فإن المتغيرات ذات الصلة سواء كانت طموحاً أو غيره تكون في أدنى مستوياتها حيث تلعب أنماط السلوك داخل الأسرة القيمة الكبرى في مستقبل حياة الأبناء (إبراهيم ناصر 1998م - 18). فالعلاقات والاتجاهات المشبعة بالحماية والتسلط والتشجيع والإهمال والمناخ الأسري السليم تؤثر على التوافق الأسري والصحة النفسية والعقلية للأبناء.

مشكلة الدراسة:

يرى معظم علماء النفس أن وراء كل مشكلة حاجة لم تحقق أو دافع لم يشبع ويقول فروم أن فهم النفس الإنسانية لا بد أن يبني على تحليل حاجات الإنسان ويشير "سوليفان" إلى أن الهدف الأساسي للسلوك الإنساني هو إشباع الحاجات الإنسانية. ونجد أن السلوك الإنساني يحدد من حاجات مختلفة ومتعددة حيث يعتبر إشباع الحاجات لدى الإنسان نوع من الاستقرار والاتزان النفسي. و نظراً لتعقد السلوك الإنساني حيث تتداخل فيه العوامل الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية فإن حصر حاجات هذا السلوك في قائمة يعتبر من الصعوبة بمكان وفي عبارات أكثر تحديداً فإن مشكلة الدراسة تقوم على التساؤلات الآتية.

1. هل توجد علاقة ارتباطية بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدى المراهقات؟

2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائيه بين المراهقات في الحاجات النفسية تعزى لمتغير السكن (ريف- حضر)؟
3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقات في الحاجات النفسية تعزى لمتغير المستوى العمرى؟

أهمية الدراسة

تتضح أهمية الدراسة في الجانب الذي تتصدي له حيث تعتبر دراسة الحاجات النفسية من أهم الوسائل التي تزيد من فهم الشخصية الإنسانية و تفسير الاختلاف في السلوك وهي يمكن أن تؤدي وظيفة المتغير الوسيط بين عوامل التنشئة الاجتماعية والأسرية. خاصة في مرحلة المراهقة حيث أن ما يحدث فيها من تغيرات جسمية وسيكلوجية وفسيولوجية واجتماعية وانفعالية وعقلية يكون لها أثره الواضح في سلوك المراهقين نتيجة لإشباع أو عدم إشباع هذه الحاجات النفسية . كذلك فإن المتغيرات التي شملتها الدراسة تعتبر ذات أهمية خاصة حيث أصبحت هي الأخرى من الأهتمامات المميزة للبحوث التربوية والنفسية في الآونة الأخيرة.

وتعتبر الدراسة الحالية خطوة من الخطوات التي أهتمت ببعض جوانب هذا المجال وتتضح أهمية الدراسة في الآتي.

1) أنها تتناول موضوعاً هاماً في مجال الدراسات النفسية
2) يعتبر هذا البحث رافداً علمياً لما يمكن أن تبني عليه دراسات أخرى في هذا المجال .
3) تتوقع الباحثة أن تدفع النتائج التي سينتهي عليها البحث الإخصائيين النفسيين والمرشدين النفسيين والعاملين في مجال الصحة النفسية بصورة عامة إلى الإهتمام بالحاجات النفسية لدي المراهقين .
4) مساعدة الآباء والمربين على وضع وتصميم البرامج التربوية والإرشادية واتباع اساليب سلوكية سوية والتي تمكن من اشباع الحاجات النفسية للأبناء أفضل إستقلال للتمتع بالصحة النفسية والبعد بالأبناء عن الإصابة بالأمراض العصابية .

هدف الدراسة:

1. معرفة العلاقة الإرتباطية بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدى المراهقات.
2. معرفة الفروق بين المراهقات في الحاجات النفسية التى تعزى لمتغير السكن (ريف- حضر).
3. معرفة الفروق بين المراهقات في الحاجات النفسية التى تعزى لمتغير المستوى العمرى.
4. توفير مادة علمية حول العلاقة بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية

فروض الدراسة:

1. توجد علاقة إرتباطية بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدى المراهقات.
2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقات في الحاجات النفسية تعزى لمتغير السكن (ريف- حضر).
3. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقات في الحاجات النفسية تعزى لمتغير المستوى العمرى.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية: ولاية الخرطوم.

الحدود الزمانية: تم إجراء الدراسة في العام 2012م.

مصطلحات الدراسة:

1- الحاجات النفسية

تعرف بأنها المستوى الذي يرغب الفرد في بلوغه أو يشعر انه قادر على بلوغه وهو يسعى لتحقيق أهدافه في الحياة وإنجاز أعماله اليومية

وتعرفها الباحثة إجرائياً .

بأنه الدرجات التى يتحصل عليها المراهق نتيجه لاجابته على مقياس الحاجات النفسية المستخدم فى هذه الدراسة

2- أساليب التنشئية الاسرية:

3- تعرف بأنها كافة الأساليب التربوية التي يتلقاها الأبناء من الوالدين خلال وجودهم في الأسرة من أجل تربيتهم وبناء شخصيتهم وتنمية قدراتهم ويتم التعرف عليها من خلال ما يعبر عنه الأبناء.

وتعرفها الباحثة إجرايئاً .

بأنه الدرجات التى يتحصل عليها المراهق نتيجه لاجابته على مقياس اساليب التنشئية الاسرية المستخدم فى هذه الدراسة

4- المراهقة

وتعرف بانها امتداد فى السنوات التى يقطعها البنون والبنات متجاوزين مدارج الطفولة الى مرافى الرشد حيث يتصفون بالنضج العقلى والانفعالى والاجتماعى و الجسمى والنفسى .

وتعرفها الباحثة اجرائيا :

بانها تلك المرحلة من مراحل النمو التى ينتقل فيها الانسان من الطفولة الى الرشد وتمتد من العقد الثانى من حياة الانسان. من حوالى12 سنة الى21 سنة.

وتنقسم الى مرحلتين :

1- مرحلة مبكرة وتبدأ من سن الثانية عشر الى السابعة عشر

2- مرحلة متاخرة و تبدأ بانتهاء المرحلة المبكرة وتمتد حتى سن الواحد والعشرون.

الاطار النظرى:

الحاجات النفسية:

ركز الباحثون وعلماء النفس اهتماماتهم في الحاجات النفسية عند الإنسان نظراً للدور الذي تلعبه هذه الحاجات النفسية في تنشيط السلوك الإنساني ودفعه لتحقيق هدف معين أو كقوة محركة لهذا السلوك وتوجيهه من خلال فهم الحاجات النفسية والدوافع التي تحركه وأن السلوك الإنساني هو سلوك وظيفي أي أن الفرد يمارس سلوكاً معيناً بسبب ما يتبع هذا السلوك من نماذج تشبع بعض حاجاته النفسية.

وإن خصائص الحاجات النفسية تتحد من خلال الإطار الثقافي والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد .

تعريف الحاجات ا لنفسيه:

إن مفهوم الحاجات من المفاهيم التي تتباين حولها آراء العلماء والباحثين حتى أصبح مفهوم الحاجة يماثل في بعض الحالات مصطلحات أخرى مثل الرغبة والحافز والدافع والباعث وقد أشار جيلفور إلى أن اختلاف الباحثين حول المعنى الذي يطرحه مفهوم الحاجات يرجع السبب فيه لبدايات البحث من الحاجات.

جرياً على ذات النهج في التفرقة بين المفاهيم المتعلقة بالحاجة يرى موراي بأنها تكوين فرضي يمثل قوة في المخ وهذه القوة تعمل على تنظيم الإدراك والفهم بحيث تحول الموقف القائم غير المشبع في اتجاه معين لإشباع تلك الحاجة. (عبد المجيد نشواتي 2002م - 33). ويقترب أحمد زكي من هذه المعاني أكثر بتعريفه للدافع على أنه الحاجة الأولية الناشئة من داخل الكائن الحي والتي تدفعه إلى النشاط وإذا وجدت هذه الحاجة فإنها تسبب التوتر النفسي في الكائن الحي الذي يطل في حالة نشاط حتى يتبع هذه الحاجة وتزول حالة التوتر بإشباع الحاجة. ويقترب هذا التعريف من تعريف مورفي Murphy الواصف للحاجة بأنها حالة توتر وافتقار إلى شيء ما بحيث إذا أوجد هذا الشيء تحقق الإشباع والرضا ويقدر مورفي في أن العناصر النهائية في بناء الشخصية هي الحاجات التي تحل محل التوتر والدافع الذي يبعث النشاط سواء كان ذلك بفعل تغيرات داخلية أو تنبيه من الخارج.

تصنيف الحاجات النفسية:

تحتل الدافعية وراء السلوك الإنساني مركزاً هاماً من نظريات علم النفس فلقد انشغل علماء النفس لفترة طويلة وحتى الآن بالإجابة على السؤال: لماذا يسلك الإنسان بطريقة معينة ولا يسلك بطريقة أخرى؟ ما الذي يجعل الفرد يقبل على شيء ما ويعزف أو ينفر من عمل آخر. وتعددت التفسيرات فمن العلماء من فسر السلوك في ضوء الغرائز الدافعية. ومنهم من فسره في ضوء مبدأ اللذة ومنهم من فسره في ضوء مبدأ الدافعية. وقد يخلط الكثير من العاملين في مجال علم النفس بين الحاجة والعوز والرغبة حيث

يشير إسكنز إلى هذا وبوضوح أن من الخطأ استخدام المفهومين يجب أن تكون باعتبارهما شيء واحد ويوضح أن التفرقة بين المفهومين يجب أن تكون باعتبار أن العوز هو الوجه الظاهر للحاجة فالفرد يريد أن يحصل على شيء معين يكون في حاجة إليه كما يمكن اعتبار الرغبة أو الأمنية دليل على وجود الحاجة لدى الفرد ولقوة هذه الحاجة. وعلى هذا ستحاول الباحثة أن تلقي الضوء على بعض تصنيفات العلماء للحاجات النفسية.

تصنيف كائل: صنفها إلى فئتين هما:

1. الطاقة الحيوية المحركة: وهي المسؤولة عن الاستجابة للحاجات الإنسانية الحيوية ويمكن التمثيل لها بالحاجة إلى الطعام والتزاوج والتملك والخوف.
2. حاجات عاطفية: هي حاجات مكتسبة من خضم التعامل مع الآخرين ومنها عاطفة تقدير الذات والحاجة إلى النجاح المهني وعاطفة الأبوة والأمومة. (عالية الطيب 1992م- 11).

ويرى حامد زهران أن الحاجات هي شيء ضروري لاستقرار الحياة وصنفها إلى حاجات فسيولوجية وهي الضرورية للحياة نفسها وحاجات نفسية وهي الحياة بأسلوب أفضل.

أركسون: إن فكرة حاجات الفرد الشخصية والنفسية من كل مرحلة من مراحل عمره وأشد إشباع هذه الحاجات في النمو وفي سيره فترة المراهقة عند الفرد فالحاجات الأساسية للنمو الصحي للشخصية تتصل بالمراحل الاجتماعية في تكوين وتكامل الأنا وهذه الحاجات نذكر منها الخاص بفترة المراهقة وهي الحاجة للشعور بالهوية إلى أن يشعر الفرد بأن يكون متوسطاً بين كونه طفلاً وبين كونه راشداً وهو يتأرجح بين دوره في كلتا الحالتين ساعياً إلى تحديد موقفه وفي نضاله لرسم صورة لنفسه تكون منسقة مع القيم التي حصل عليها من الآخرين.

برسكوت: إن الحاجات الضرورية لنمو الفرد تقع في ثلاث أنواع رئيسية تمثل ثلاث رئيسية في حياة الشخص وهذه الأنواع الرئيسية للحاجات النفسية هي الحاجات الفسيولوجية وهي الحاجات الخاصة بالمحافظة على التوازن الفسيولوجي الضروري

للجسم. والحاجات الاجتماعية وتتمثل في الحاجة إلى الشعور بالرضا والسعادة الشخصية والحاجات الاجتماعية وتتمثل في الحاجة إلى القبول والتفاعل الاجتماعي.

الحاجات الإنسانية لدى بعض علماء النفس:

من اهتمامات علم النفس أنه يهتم بالدراسة العلمية المنظمة للتفاعل الذي يحدث بين الفرد والآخرين وما ينتج من هذا التفاعل إذ أن سلوك الفرد عبارة عن نتيجة لمجموعة هذه العوامل المتفاعلة ولا يستمر لدى الأفراد إلا إذا كان يؤدي إلى إشباع حاجات معينة لدى الأفراد الذين يقوم بينهم التفاعل حيث يرى معظم العلماء أن وراء كل مشكلة حاجة لم تحقق أودافع لم ينتج ويقول فروم أن فهم النفس الإنسانية لا بد أن يبني على تحليل حاجات الإنساني ويشير سوليفان إلى أن الهدف الأساسي للسلوك الإنساني هو إشباع الحاجات الإنسانية.

ولهذا ترى الباحثة أن السلوك الإنساني يحدد من حاجات مختلفة ومتعددة حيث يعتبر إشباع الحاجات لدى الإنسان الاستقرار والاتزان النفسي. و نظراً لتعقد السلوك الإنساني حيث تتداخل فيه العوامل الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية فإن حصر حاجات هذا السلوك في قائمة يعتبر مستحيلاً وسيحاول الباحثة أن يلقي الضوء على الحاجات الإنسانية لدى بعض علماء النفس.

الحاجات عند كارين هورني: تتدرج أفكار هورني ضمن علم النفس الفرويدي وأنها لا تشكل نهجاً جديداً في فهم الشخصية وإنما تطمع في استئصال بعض الأخطاء من التفكير الفردي حيث تقول إن التحليل النفسي يجب أن ينمو متخلصاً من القيود التي كبلته بها كونه سيكولوجياً غريزياً وانحصر تقدمها في نظرية فرويد عند غريزة الموت ومفهومه غير المناسب عن الشخصية النسائية . حيث يرى فرويد أن سيكولوجية المرأة تقوم على الاتجاهات التي تميز سلوك المرأة وأن أشد أنواع الصراع شعورها بالنقص التناسلي وغيرتها من الذكر وفي هذا الصدد ترى أهمية سيكولوجية المرأة تقوم على الافتقار إلى الثقة وعلى الإسراف في تأكيد أهمية علاقات الحب وتشير هورني أن العدوان ليس أمراً فطرياً كما يقرر فرويد وإنما هو وسيلة يحاول بها الإنسان حماية نفسه (محمد عبد الرحمن 1998م – 219).

إسهامات هورني في الحاجات:

وقد سلكت مسلكاً أخر فى تقسيم الحاجات حيث ذكرت عشر حاجات استنبطها من الأنماط الثلاثة لأساليب التوافق وهذه الأنماط هي:

1. التحرك نحو الناس ويظهر هذا النمط عند الطفل.
2. التحرك ضد الناس ويظهر هذا النمط عند المراهقة.
3. التحرك بعيداً عن الناس ويظهر هذا النمط عند الراشد.

وتوجد هذه الحاجات العشر لدى كافة الناس لكنها تكون لدى العصابي بصورة أكثر وضوحاً من حيث القوة والتركيز وقد أطلق على هذه الحاجات العصابية لأنها حلول غير منطقية للمشاكل وهذه الحاجات العشرة هي:

1. الحاجة العصابية للحب والتقبل: تتميز هذه الحاجة بالرغبة دون تفرقة أو تمييز في إرضاء الآخرين فالشخص يعيش من أجل الفكرة الطيبة عنه لدى الآخرين.
2. الحاجة العصابية إلى شريك مسيطر يتحمل حياة الفرد: السمة البارزة لهذه الحاجة هي أن يصبح الشخص طفيلياً يخضع ويطلب الحب والرعاية من شريك قوي في مقابل حب جارف من جانبه.
3. الحاجة العصابية إلى تقييد الفرد لحياته داخل حدود ضيفه.
4. الحاجة العصابية إلى القوة: تبدو هذه الحاجة في النزوع إلى السيطرة واكتساب
5. الحاجة إلى استقلال الآخرين: السمة البارزة لهذه الحاجة هي دفع الناس إلى أن يكون مسيطراً مستغلاً للآخرين.
6. الحاجة العصابية إلى المكانة المرموقة: يتحدد تقدير الشخص لنفسه بمبلغ ما يناله من تقدير الآخرين.
7. الحاجة العصابية إلى الإجاب الشخصي: إن ما لديه هذه الحاجة يكون لنفسه صورة متضخمة ويرغب في أن يكون محط أنظار إعجاب الآخرين.

8. الحاجة العصابية إلى الطموح في التحصيل الشخصي: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي الرغبة الجامعة لأن يصبح غنياً مشهوراً.
9. الحاجة العصابية إلى الاكتفاء الذاتي والاستقلال: يرفض الشخص لأن يربط نفسه بالآخرين نتيجة لاخفاقاته المتكررة في العثور على الدفء والعلاقات المشبعة بالآخرين.
10. الحاجة العصابية إلى للكمال واستحالة التعرض للهجوم: السمة البارزة لهذه الحاجة هي عدم محاولة الوقوع في الخطأ الذي يعرضه للنقد والتجريح.

نظريات الحاجات

نظرية موراي: اهتمت نظرية موراي بالفرد في جميع معتقداته وخاصة في إصلاح علم الشخصية وذلك بغياً للفهم الكامل للحالة الفردية حيث أكد باستمرار على الطبيعة العضوية للسلوك موضحاً أنه لا يمكن فهم جزء منفرد في عزلة عن بقية الشخصية القائم بها وأكثر سمات تلك النظرية بروزاً هي معالجتها للدافعية.

كما أكدت النظرية على العمليات الفسيولوجية التي تصاحب جميع العمليات النفسية حيث توجد معها في ذات الوقت وترتبط معها وظيفياً وقد تأثر موراي بنظرية التحليل النفسي في بناء الشخصية والعمليات اللا شعورية إلا أن الموضوع الرئيسي لنظرية موراي هو التأكيد على الأرضية الفسيولوجية للشخصية واسهاماته في النظرية النفسية ينصب في كفاح الإنسان وسعيه ورغباته ومطالبة فالتركيز على العملية الواقعية لدى موراي يتفق تماماً مع دراسة النزعات الموجهة للإنسان فهي المفتاح للسلوك البشري وهي تعود الإنسان لأن يبحث عن الظروف البيئية غير المناسبة ويستدل على خصائص الحاجات مما يمكن الحصول عليه من بيانات موضوعية عن السلوك وهكذا تدفع الحاجات الإنسان نحو البحث عن هدف ويجنب هدف آخر ويمكن استنتاج ذلك من تعريفه للحاجة بأنها (تكوين فرضي ذات قوة ثابتة نسبياً مصدرها المخ تنظم إدراكاتها وتفكيرنا وتصرفاتنا وبواسطتها يتم تشكيل مراكزالإشارة والمواقف غير المشبعة في اتجاه هدف معين. (www.mahorhy.to.com). وهكذا يرى موراي أن الحاجة هي نقطة البداية في أي سلوك إنساني، فالإنسان يسعى دائماً لإشباع حاجاته

الأساسية في الحياة اليومية.ويوافق موراي على أن الحاجة تدفعنا إلى تحقيق القوة الناتجة من اختزال الحاجات غير المشبعة بدلاً من النزعة إلى التوازن البدني. فلدينا استعداد لتعلم أنشطة من قبيل الأكل والجنس ولتطوير مستويات أكبر من التوتر وجعل الدافع المؤجل إشباعه أكثر إمتاعاً حتى الأنشطة غير المشبعة جزئياً يحكمها مبدأ اللذة.

قائمة الحاجات لدى موري:

توصل موري إلى قائمة بالحاجات الظاهرة التي حددها وصفاً لأنماط السلوك والانفعالات المصاحبة لها إلى الآتي (عبد الرحمن السيد 1998م – 312).

1. **الحاجة للسيطرة**: وتحتفي بحاجة الفرد على السيطرة على بيئة بهدف الثنائية عليه أو توجيه سلوك الأفراد الآخرين.
2. **الحاجة للإذعان** (التبعية): تختص بالحاجة للإعجاب والتأييد والمدح للآخرين والاستسلام لتأثيرات الآخرين وتقليدهم والاقتداء بهم.
3. **الحاجة للاستقلال**: تتمثل النزعة إلى التحرر والتخلص من القيود والمستويات والأسر والحبس ومقاومة القهر والسلطة الديكتاتورية وأن يكون حراً مستقلا.
4. **الحاجة للعدوان**: تتمثل في تخطي العقبات بالقوة والقتال والأذى والمعارضة أو استخدام ألفاظ من قبيل الحب واللعن والذم والتوبيخ.
5. **الحاجة للانصياع والاستسلام**: تتمثل في الاستسلام السلبي للمؤثرات الخارجية وقبول اللوم والأذى والاعتراف بالدونية ومن جهة أخرى يلجأ الفرد إلى تحقير ذاته وعقابها وربما يتجاوز ذلك إلى الحد المرضي فيقع فريسة للمرض وخاصة إذا ارتبط ذلك بالجنس.
6. **الحاجة للإنجاز**: وتتمثل في إنجاز شيء صعب والسيطرة على الموضوعات والأشخاص وتخطي العقبات وتحقيق أفضل النتائج ومن أشكاله الإنجاز الرياضي وتحقيق المكانة الاجتماعية والتميز الفكري والتقدم العلمي.

7. **الحاجة للجنس**: تتمثل في إقامة علاقة جنسية صحيحة وناجحة مع الجنس المخالف.
8. **الحاجة للاستمتاع الحسي**: تتمثل في البحث عن الاستمتاع بالانطباعات الحسية وآثارها وهي إما أن تكون شمية مثل العطور أو غذائية مثل الطعام أو سمعية كالأصوات الطبقية والشعر والموسيقى، والبصرية كالألوان والمناظر الطبيعية وقد تكون رياضية كالممارسة الفعلية للنشاط الرياضي.
9. **الحاجة للاستعراض**: وتتمثل في محاولة لفت نظر وجذب انتباه الآخرين وترك انطباع يثير العجب والدهشة وتستحوذ على الاهتمام وغير ذلك من المترادفات السلبية والإيجابية.
10. **الحاجة للعب**: تتمثل في الميل نحو تحويل كل شيء إلى المتعة واللهو لذاتها دون هدف آخر ويكشف هذا البعد عن نفسه لعب الأطفال القائم على الاستمتاع وعدم التركيز والنشاط الإنشقاقي.
11. **الحاجة للانتماء**: تتمثل في النزوع الإيجابي نحو الآخرين والاستمتاع بالتعاون مع الآخرين والاقتراب منهم.
12. **الحاجة للمعاضدة** (المساعدة من الغير): تتمثل في سعي الفرد للحصول على العون والمساندة والتماس والعطف والحب وهي إشباع حاجات شخص عن طريق تعاطف ومساعدة شخص حليف وهي طلب العون والتأييد والإشباع والرعاية والحب والنصح والتوجيه والتقرب إلى من يحقق الحماية والتأييد والأمن.
13. **الحاجة للعطف** (نجدة الغير): تتمثل في منح التعاطف وإشباع حاجات الغير من العاجزين والضعفاء والمرضى وقليلي الخبرة وذلك عن طريق الغذاء والتأييد والحماية والتمريض والعلاج.
14. **الحاجة إلى الدفاعية** (الدفاع عن النفس): تتمثل في الدفاع عن الذات ضد الإهانة واللوم والنقد والإخفاق وتبرير الإخفاق أو الفشل أو تعضيد الذات ومساندتها.

15. **الحاجة إلى التعويض** أو التعادلية (الفعل المضاد): تتمثل في السعي على السيطرة على نقاط الضعف وتعويض الفشل عن طريق الإصرار ومداومة العمل والسعي لتحطيم العقبات والمصاعب حتى يتحقق للذات شعوراً بالاحترام والافتخار.
16. **الحاجة إلى تجنب الوقاحة** (ما يحط القدر): تتمثل في تجنب إنحطاط الشأن وتجنب المسؤولية خوفاً من الفشل وتجنب المواقف الحرجة والظروف الجديدة التي قد تولد الإحساس بالضآلة أو الوضاعة والدونية.
17. **الحاجة لتجنب الأذى**: تتمثل في الخوف من الألم والأذى والإصابات الجسدية والمرضية والموت والهروب من مواقع الخطر واتخاذ الإجراءات الوقائية.
18. **الحاجة للتنظيم**: تتمثل الحاجة إلى ترتيب وتنظيم الأشياء والحفاظ على النظافة والنظام والاتزان والاهتمام وترتبط هذه الحاجة بالحاجة للتفويض والحاجة لتجنب الأذى والحاجة للوم وتنتج من الخوف والكبح الذي تفرضه السلطة الاجتماعية الأقوى. ومن الخوف والارتباك والتشتت العقلي الذي قد ينتج من عدم النظام.
19. **الحاجة للرفض**: تتمثل في الحاجة لعزل الذات عن الغير والهجر والانفصال وعدم الاكتراث بالأشياء التافهة والتعالي على الغير ونبذه.
20. **الحاجة للفهم**: تتمثل في الاهتمام بالنظريات وبتحليل الأحداث والحقائق العامة ومناقشة وتفسير الظواهر في ضوء المنطق والأسباب وإلى تصحيح وانتقاد الذات.
21. **الحاجة لتجنب المذلة**: تتمثل في محاولة الفرد تشكل نسق القيم والمبادئ لديه بشكل يتطابق مع معطيات الثقافة والكف عن العمل بسبب الخوف من الفشل.
22. **الحاجة للنرجسية**: تتمثل في اهتمام الشخص بذاته وبشكل مبالغ فيه مصحوباً بدرجة كبيرة من تجاهل الآخرين وعدم احترامهم.

ومن الحاجات النفسية ايضا : **الحاجة للسيطرة**: وتتمثل في حاجة الفرد للسيطرة علي البيئة بهدف التأثير فيها وتوجيه سلوك الآخرين عن طريق تقديم المقترحات والآراء أو فرض الأوامر بحيث يتصرفون طبقا لرأيه ومطالبة سواء كان ذلك باقتناع أو بدونه

الحاجة للاستقلال:- تتمثل في الرغبة في التخلص من القيود والمسؤوليات وتحدي التقاليد والقوالب المفروضة والرغبة في الحرية والاستقلال علي الآخرين

الحاجة للدونية والاستسلام: تتمثل في الاستلام السلبي للموثرات الخارجية وتقبل أللوم والاذي والعقاب والاعتراف بالدونية والخطاء وسوء الأداء وتحقير الذات. وربما يتجاوز ذلك فينشد الألم والعقاب والمرض وخاصة إذا ارتبط ذلك بالجنس

الحاجة للانجاز: تتمثل في أنجاز شئ صعب او السيطرة علي الموضوعات أو الأفكار إلي حد الإنجاز بحيث يصبح الأداء سريعا ومحكماً بقدر الإمكان وقد تعني تخطي العقبات وتحقيق أفضل النتائج والتقدم علي الآخرين

الحاجة للانتماء: تتمثل في النذع الايجابي نحو الناس و الاستمتاع بالتعاون مع الآخرين ومحاولة كسبهم وتكوين صداقات والعمل علي أسعاد الآخرين والإخلاص لهم .

الحاجة للجنس: تتمثل في إقامة علاقات جنسية مع الجنس الأخر أو علاقات عاطفية مشبوهة بالمتعة الجنسية والحسية أو رغبة في إقامة هذه العلاقات.

أساليب التنشئة الأسرية:

تختلف أساليب الوالدين في تنشئة أبنائهم لعدة عوامل من أهمها ما كسبه الوالدان أثناء طفولتهما وما يكتسبانه أثناء خبراتهما العملية والعلمية والاجتماعية وتعتبر أساليب التنشئة الوالدية الأداة الوحيدة التي تعمل على تشكيل الأبناء إبان حياتهم الأولى بما يسودها من تشجيع أو تثبيط وتسامح وتسلط ومساواة أو تفرقة وتقبل لذاتهم (علوية بانقا 1993م – 19).

1- **أسلوب الإهمال**: يقصد به ترك الطفل دون تشجيع على السلوك المرغوب أو استحسان له أو عدم تلبية رغبات الطفل ودون محاسبته على السلوك الغير مرغوب فيه

وتركه دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله أو يقوم أن يتضمنه (غادة طه 1998م – 25). وقد يكون الإهمال واضحاً وصريحاً أو لا شعورياً وقد يكون نمط ثابت في سلوك الوالدين أو يختلف فيما بين الأب أو الأم أو عند نفس الوالد من وقت لآخر وقد يعبر عن الإهمال بالإنكار أو بالنقد المستمر أو تفضيل آخر على آخر أو بالإهمال التام وقد يخضع الطفل أو يتمرد وقد يؤدي إلى أعراض سيكولوجية أو اضطرابات شخصية. (عباس محمود 1999م - 85).

ومن المواقف الوالدية التي يدركها الطفل وتمثل هذا الأسلوب:

1. إدراك الطفل بأن والديه مشغولان عنه ولا يبدوان له اهتماماً بالأمور التي تخصه.
2. إدراك الطفل بأن الوالدين لا يقومان بتأنيبه أو بعقابه على تصرفاته.
3. إدراك الطفل بأنه لا يكون موضوع لأحاديث والديه معه أو لأحاديثهما مع الآخرين. (علاء الدين كفافي 1990م – 214).

2- أسلوب التدليل: يقصد به تشجيع الطفل على تحقيق رغباته بالشكل الذي يحلو له مع عدم توجيهه لتحمل أي مسؤولية تتناسب مع مرحلة النمو التي يمر بها وقد يتضمن هذا تشجيع الطفل للقيام بألوان من السلوك الذي غير مرغوبٍ فيه اجتماعياً وكذلك دفاع الوالدين عن هذه الأنماط السلوكية غير مرغوب فيها ضد أي توجيه أونقد يصدر إلى الطفل من الخارج وكذلك يتضمن تلبية طلبات الأبناء ليس في حاجة إليها دون اختيار الأفضل وترك الحرية للأبناء في الاعتداء على الآخرين وتنازل الوالدين عن رأيهما لأي طلب من الأبناء (أمل عواد 1997م – 13).

ويترتب على هذا الأسلوب ضعف شخصية الطفل بحيث لا تتصدى لمواجهة الحياة وما فيها من مشكلات عندما يصبح كبيراً. كما يعاني الطفل في الغالب من سوء التوافق الاجتماعي المتمثل في الانطواء والانسحاب بحيث لا يقدر على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة سوية ويعاني من الخجل الشديد والحزن والارتباك عند مواجهة الآخرين وكذلك يعاني بعض الأطفال من عدم القدرة على الاعتماد على النفس وضعف

الثقة بنفسه ولا يستطيع في الغالب تحمل المسؤولية ويعاني من صعوبات التوافق مما يسهم في إعاقة النمو النفسي والاجتماعي للأبناء (سيد صبحي 1976م - 79).

3- **التفرقة:** هي عدم المساواة بين الأبناء والتفضيل بينهم بناء على أساس الجنس والسن والمركز أو أي سبب آخر وإن استخدام هذا الأسلوب قد يسبب ضعف انتماء الأبناء إلى الوالدين والأسرة عامة (هدى محمد 1993م - 125). ويرى علاء الدين كفافي إن التفرقة هي إدراك الطفل من خلال معاملة والديه له أنهما لا يساويان بين الإخوة في المعاملة وأنهما يتحيزان لأحد الإخوة على حساب الآخرين فقد يتميزان للأكبر، أو الأصغر أو المتفوق دراسياً أو لأي عامل آخر. ويزيد إدراك الطفل لهذا الجانب من المعاملة إذا كان هو شخصياً هدفاً للتحيز ضده (علاء الدين كفافي 1999م- 67). مما يؤدي إلى اضطراب شخصية الأبناء وعدم اتزانها وأن صعوبة الدور التربوي للأسرة في ضبطها لنفسها ولأهواها قد تدفع بها إلى عدم المساواة في التعامل مع الأبناء فغالباً مايكون لدى الأسرة أكثر من طفل ويكون التفضيل بين ابن وآخر مما يؤدي إلى تأجج نيران الغيرة بين الإخوة وبالتالي على سلوك عدواني من قبل الأبناء نحو الابن المفضل (علوية بانقا 1993م – 47).

4- . **أسلوب التشجيع:** تعتبر الأسرة التي يعيش فيها الفرد ذات أهمية كبرى في بناء شخصيته وصحته النفسية لأنها المؤسسة الأولى التي تستلمه وتنقل له الميراث الحضاري فهي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد ويتفاعل مع أعضائها وهي التي تسهم بشكل أكبر في الإشراف على نمو وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه. (محمد خليل 2002 – 125) وتكون المهمة الأولى للوالدين هي تشجيع ابنائهم على الإنجاز بمعنى تشجيعهم على العمل والنجاح والتفوق وحثهم على دافعيتهم للإنجاز وتحصيل الخبرات وجمع المعلومات واكتساب المهارات وتشجيعهم على إشباع ميولهم وتنمية رغبتهم في المنافسة والتحدي والمثابرة وبذل الجهد ومساعدتهم على إشباع حب الاستطلاع وزيادة طموحاتهم وأمالهم وإذكاء مواهبهم وقدراتهم. فالتشجيع من الوالدين للأبناء أما أن يكون تشجيع مادياً يشمل الهدايا والنقود والمكافآت أو تشجيعاً معنوياً

بالثناء والمديح أو التعبير عن الموافقة بنظرة مشجعة أو إحساس الأبناء بأنهم مرغوب فيهم مما يساعدهم على النمو في كافة الاتجاهات. (موضي نايف 2002 - 51).ويؤكد جليل وديع على أن إثارة الأهل لأبنائهم منذ الصغر أي حثهم وتشجيعهم وتحريضهم تؤثر في مستوى طموحهم عندما يكبرون فإثارة الأهل توجه طموحهم وتزرع فيهم مستوى من الطموح يوازي نوع الإثارة واختلافها فالإثارة المشجعة تحفز الطموح وتشجعه بينما الإثارة المحبطة تثبط الطموح وتخفضه ومن ثم ترسم نمط حياة الأبناء ومسارها في المستقبل. (جليل وديع 1997- 15).وترى كاميليا حينما يكون دور الأبوين مشجعاً على الاستقلال والسيطرة على البيئة فإن الطفل يشب على ذات قوية تمكنه من تحقيق النجاح والدخول في المنافسة المرغوبة وبالتالي تتوقع ارتفاعاً في مستوى طموحه. (كاميليا عبد الفتاح 1980 - 69) فعلى الوالدين منح الأبناء الدوار التي يتحملون فيها المسئولية الاجتماعية والمهام الوظيفية لكي يثير للأبناء تنمية قدراتهم ومواهبهم وتوفير الفرص التي من شأنها ان تؤدي الى نمو شخصياتهم نمواً سليماً بحيث يصبح الأبناء متكيفون مع أنفسهم ومع المجتمع المحيط بهم. (كاميليا عبد الفتاح 1997- 69).

5- أسلوب التذبذب:- يقصد به عدم استقرار الوالدين من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب أي ان نفس السلوك المثاب عليه قد يعاقب عليه الطفل مرة أخرى كذلك قد يتضمن حيرة إزاء بعض أنماط السلوك هل يعاقب الطفل او يثاب في السلوك المعين. يعرف أسلوب التذبذب بأنه إدارك الطفل من خلال معاملة والديه له أنهما لا يعاملانه معاملة واحدة من الموقف الواحد بل أن هناك تذبذباً قد يصل الى درجة التنافس في مواقف والديه. (علاء الدين كفافي 1990م - 210).كذلك يقصد به عدم استقرار الوالدين من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب أو يثاب في السلوك المعين وهذا الاسلوب يجعل الطفل لا يستطع ان يتوقع رد فعل والديه إزاء سلوكه كذلك يشمل هذا الاسلوب إدراك الطفل ان معاملة والديه تعتمد على المزاج الشخصي

والوقتي وليس هناك أساس ثابت لسلوك والديه نحوه. ومن المواقف الوالدية التي يدركها الطفل وتمثل هذا الاسلوب:

1. عدم قدرة الطفل على معرفة الحالة المزاجية لوالديه في لحظة معينة لأنهما يتسمان بتقلب المزاج.
2. إدراك الطفل أنه قد يعاقب على سلوك في مرة ولا يعاقب على نفس السلوك مرة أخرى.
3. إدارك الطفل ان الوالدين قد يغيران من الآراء التي اعلناها من قبل .
4. ولتذبذب الوالدين في تربية ابنائهم اثار سلبية إذ أنها قد تكون سبباً في اختلال معايير الاستواء والإنحراف في نفس الطفل. فلا يعرف الطفل السلوك الصحيح وغير الصحيح لأنه يكافأ عليه مرة ويعاقب عليه مرة أخرى وتبرز سلبية هذا الأسلوب على الأبناء في أن الأبن لا يجد حدوداً معينة ومبادئ ثابتة يرجع إليها في سلوكه مما يثير القلق والحيرة له.

6.أسلوب المساواة: وهي تعنى مساواة الوالدين في تلبية مطالبهم واحتياجاتهم المادية والمعنوية وهي أن يعامل الأبناء بالتساوي فلا يكون تفضيل ابن على آخر ولا تفضيل ولد على بنت والمساواة بين الأبناء من قبل الوالدين تؤدي الى حبهم لبعضهم البعض وتقوية الروابط بينهم بقصد كسب رضى الوالدين وعطفهم. (عبد الرحمن محمد 2002- 35). إن مراعاة التوازن والمساواة في معاملة الأبناء تؤدي الى تربيتهم تربية صالحة بحيث يسلك الوالدان كل واحد من ابنائهم سلوكاً لا يقلل من شأن الأبناء وأن ينظروا اليهم بمنظار واحد وهو منظار العدالة والمساواة فأسلوب المعاملة الوالدية القائم على المساواة بين الأبناء سبب التوافق النفسي مع الأبناء والتكيف مع المجتمع.

المراهقة: إن الطفولة تنتهي عادة عند سن الحادية عشر أو الثانية عشر ويبدأ الفرد بعد ذلك بالدخول في دورة جديدة وتظهر فيه تغيرات كثيرة بعضها ظاهر وبعضها خفي يصاحب ذلك في العادة حساسية شديدة في الناشئ وحالات انفعالية تحتاج إلى رعاية

خاصة وهذا الدور يسمى دور المراهقة حيث تواجه الناشئ فيه كثير من المصاعب الذي يكون في أشد الحوجة إلى معرفة ممن حوله. وهي مرحلة مليئة بالصعاب فلذا تعتبر بالنسبة للمراهقين أكثر أهمية وخطورة على المجتمعات إذ ان ما يحدث في المراهقة من توتر عصبي وإنفعالي يرجع في أصله إلى العوامل البيئية وأسلوب التربية وطريقة التعامل في الأسرة والتأثيرات الوظيفية العضوية (www.Araty.ate.com). ومشكلات المراهقة اليوم بسبب أقدام المراهق بالتوافق السليم مع أسرته وعدم إعطائه ما يحتاجه نفسياً من المحبة والرعاية والانتماء وإثبات الذات وفقدانه الاحترام والتقدير والاستقلال والأمن النفسي ضمن أسرته التي ينتمي إليها لأن هذه الأمور لا يمكن أن يمنحه إياه أحد مهما كان مركزه التربوي مثل ما يمنحه إياه أبواه لذلك كان واجب الآباء الاهتمام الكبير بالمراهق في هذه المرحلة من العمر ولهذا كان على القائمين على تربية المراهق،ما الذي يحتاجه؟ وما هي مشكلات المراهق التي يجب أن يوجدوا لها الحلول التي تتوافق مع التغيرات الطارئة على المراهق.

المراهقة لفظاً ومعنى:

المراهقة لفظاً معناها النمو وقولنا راهق الفتى وراهقت الفتاة بمعنى أنهما نميا نمو مستطرداً وهو دلالة على الاقتراب من الحلم والنضج فالمراهقة تعني الفترة التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي باكتمال الرشد فهي تجمع بين خصائص الطفولة وسمات الرجولة. فالمراهقة إذن عملية بيولوجية تعريفية وجدانية واجتماعية وتربوية وديناميةمتطورة (عبد العلي الجسماني 1994م - 191). وهذا وقد وردت مادة رهق في القرآن الكريم في مواقع عديدة لكن أياً منها لم يكن يشر للمرحلة النمائية من عمر الإنسانية لكنه يشير إلى صفات سيئة بنصحه كقوله تعالى (وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً) سورة الجن الآية 6، الرهق في الآية بالضلال والحيرة والقلق. فالمراهقة كلمة عربية الأصل والمقصود بها مقاربة الحلم وهي المرحلة التي يقصدها علماء النفس. وفي اللغة الإنجليزية يطلق المراهقة Adolescence وهي مشتقة من الفعل اللاتيني Adolscence ومعناها التدرج نحو النضج البدني والجسمي والعقلي والانفعالي (أحمدعبدالعزيز1994م- 95). وعرفت المراهقة في معجم وسترد

اكسفورد بأنها: فترة من حياة الفرديين الطفولة والبلوغ الناضج. ومجمع اللغة العربية القاهرة: يرى بأنها الفترة من بلوغ الحلم إلى سن الرشد (بثينةعلى 2000- 102).

المراهقة اصطلاحاً:

تعددت تعاريف العلماء لمصطلح المراهقة فمنهم من يراها في التغير البيولوجي ومن أولئك أسبيل والذى يعرفها بانه هي الوقت الذي يحدث فيه التحول في الوضع البيولوجي للفرد. ويتفق معه كدو Kaddo حيث يرى أن المراهقة تشكل أزمة نمو على الصعيد الجسدي للتحولات الخاصة داخل الجسم. يعد فورد وينش أن المراهقة هي الفترة الممتدة من البلوغ وحتى النضوج التناسي الكامل. ويعرفها أنجلش English بأنها المرحلة التي تبدأ من البلوغ الجنسي وتمتد حتى النضوج. وتعتبر الاستقلالية بالاعتماد على النفسي معياراً للتعريف عند بعض الباحثين والعلماء فترى هارفيلد أن المراهقة تعني النضج حيث يترك الطفل مرحلة عمرية تقتضي الحماية من الآخرين وينتقل إلى مرحلة عمرية يصبح فيها الطفل مستقلاً قادراً على إعالة نفسه.

المراهقة سيكلوجياً واجتماعياً:

من الناحية السيكولوجية فإن المراهقة تعني فترة معينة يترتب عليها على مقتضيات في السلوك جديدة لم يالفهاالفرد قبل (مصطفى فهمي 1998م- 192). أما من الناحية الاجتماعية تتمثل المراهقة فترة انتقال من دور الطفولة المتصف بالاعتماد على الآخرين إلى طور البلوغ ومرحلة الالتفات إلى الذات على اعتبار أنها متميزة عما كانت عليه أيام الطفولة المعتمدة على غيرها اعتماداً كلياً. والمراهقة بمعناها التكامل تعني التطور والنماء الديناميكي عند الفرد.

و ترى الباحثة أن المراهقة هي المرحلة النمائية الثانية التي يمر بها الإنسان في حياته من الطفولة إلى الشيخوخة وهي تتوسط بين الصبا والشباب وتتميز بالنمو السريع في الاتجاهات البدني والنفسي والعقلي والاجتماعي.

مراحل المراهقة:

تعني المراهقة من الناحية الزمنية امتداداً من حوالي من الحادية عشر أو الثانية عشر تقريباً حتى الواحد والعشرون من حياة الفرد متأثره بعوامل النمو البيولوجية

والفسيولوجية وبالمؤثرات الاجتماعية والحضارية والجنس والمستوى التعليمي. وتنقسم مراحل المراهقة إلى مرحلتين هما:

1. المرهقة المبكرة تبدأ من سن (12 – 17) عاماً.
2. المراهقة المتأخرة تبدأ من سن (18 – 21) عاماً.

المراهقة والتكليف الشرعي: أما من وجهة النظر الشرعية فإن الله تعالى حدد فاصلاً حاسماً تتحول به حياة الإنسان من مرحلة ما قبل التكليف إلى مرحلة التكليف وهو البلوغ الذي يعده علماء النفس من علامات بداية مرحلة المراهقة (بثينة على 2000م - 25). إن المشروع الحكيم جل جلاله يجعل الناس حين بلوغهم الحلم بالعلامات الدالة على ذلك مكلفين بقول الله تعالى: (وإن بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما أستأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) سورة النور (الآية 59). فالآية الكريمة تبين أن الناس بعد البلوغ مكلفون بأحكام الشرع. فسن البلوغ هو سن التكليف في الإسلام لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:(رفع القلم عن ثلاث عن المجنون المقلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستقيظ وعن الصبي حتى يحتلم) رواه الإمام أحمد وأبو داؤود والحاكم. ويشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وجوب تعويد الغلام على الصلاة منذ نعومة أظافره في سن السابعة وزجره وضربه عليها إذا لم يستجيب في سن العاشرة.

مظاهر النمو النفسي في المراهقة:

تتميز مرحلة المراهقة عن الطفولة والرشد بمظاهر جسمية وفسيولوجية وعقلية وانفعالية واجتماعية تلعب دوراً كبيراً في نمو شخصية المراهق لذلك ترى الباحثة أنه من الضروري إلغاء الضوء على تلك المظاهر بشيء من التفضيل.

المظاهر الفسيولوجية والجسمية: تبدأ سلسلة التغيرات المرتبطة بالمراهقة كطور نمائي بتزايد هرمونات الغدة النخامية والغدد التناسلية مما يؤدي إلى البلوغ أو الحلم وهي فترة تنضج فيها وظائف التكاثر والتناسل حيث يمثل البلوغ نقطة تحول في حياة الفرد وتتمايز المراهقة في معناها الجسمي أو البدني من وقت الانخراط من طور البلوغ إلى وقت تمام البلوغ أو تحقيق النضج الجسمي الكامل (فؤاد السيد 1994م –29).

وتستغرق هذه المرحلة زمناً يتراوح بين حوالي سن الثانية عشر إلى أوائل العشرين وتتضمن ملامح البلوغ ظهور شعر العانة وتزايد حجم الاثداء والحيض أو الطمث لدى الفتيات بينما تتضمن الملامح ظهور شعر العانة وتزايد حجم الخصيتين وقذف المني وتغير الصوت وظهور شعر الوجه بالنسبة للذكور. وتبدأ هذه المتغيرات لدى الإناث قبل الذكور بحوالي عامين وتتأثر بدايتها بعوامل البيئة الجغرافية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي وعوامل التغذية.

النمو العقلي: يظهر النمو العقلي في فترة المراهقة على نفس درجة وضوح النمو الجسمي ويعاد تنظيم العمليات فيما بين سن 12 – 14 سنة في المتوسط بحيث تصبح هذه العمليات ذات مستوى أرقى مما كانت عليه. وتتطور الحياة العقلية المعرفية للمراهقة تطوراً ينحو بها نحو التمايز والتباين توطئة لإعداد الفرد للتكيف الصحيح للبيئة المتغيرة والمعقدة. وتكتسب حياة المراهق أفكاراً عديدة خصبة تساير في جوهرها تباين المستويات الواحدة في المجتمعات المختلفة.

النمو الاجتماعي: الحياة الاجتماعية في المراهقة أكثر اتساعاً وشمولاً وتمايزاً من حياة الطفولة المتطورة النامية وذلك لأن المراهقة هي الدعامة الأساسية لحياة الإنسانية وهي في مظاهرها الاجتماعية تمرد على سلطان الأسرة وتأكيد للحرية الشخصية وخضوعها لجماعة النظائروالرفاق ثم تأليف سوى مع المجتمع القائم. وهي لهذا تتأثر في تطورها بمدى تحررها من قيود الأسرة وخضوعها لجماعة النظائر والرفاق وبمدى تفاعلها مع الجو المدرسي القائم ثم تنتهى إلى الاتصال القوى بعالم القيم والمعايير والمثل العليا.

النمو الانفعالي : ترجع الأصول الخصبة الدائمة لجميع الانفعالات إلى الطاقة الحيوية النفسية التي تتخذ لنفسها ألواناً مختلفة تتناسب ومراحل النمو التي يمر بها الفرد في حياته المتطورة المتغيرة وبهذا تختلف المظاهر الانفعالية للمراهقة حيث تتميز انفعالات المراهقة بأنها مراهقة سريعة الاستجابة إلى الكآبة والانطلاق.

الحاجات النفسية عند المراهقين:

تتميز هذه الحاجات بأنها حاجات نفسية تنشأ من تفاعل الفرد مع الآخرين حيث يسعى الفرد لإشباعها حيث يتثنى له التكليف مع بيئته ومجتمعه. ومن بين الحاجات

النفسية الملحة عند الإنسان في فترة المراهقة عدد من الحاجات تتمثل في الحاجة إلى المركز الاجتماعي والحاجة إلى الاستقلال والحاجة إلى السيطرة وللتبعية وللعدوان وللدونية والاستسلام. الحاجة للإنجاز والأنانية وللاستمتاع الحسي وللاستعراض وللانتماء وللنرجسية والحاجة للدفاع عن النفس (التبرير) والحاجة للتعويض (التعادلية) والحاجة للحب والانعزال (الانعزالية) والحاجة للمساعدة (طلب العون والاستجداء) والحاجة للمعاضدة (تقديم العون للآخرين) والحاجة لتجنب المذلة (الإحساس بالذنب وتجنب ما يحط القدر).

المنهج والاجراءات

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي وهو المنهج الذي يتناسب مع أهداف هذه الدراسة ويحقق أسئلتها وفرضياتها. ويعرف المنهج الوصفي بأنه الطريقة التي ترتبط بظاهرة معينة بقصد وصفها وصفها دقيقا وتفسيرها تفسيراعلميا.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من المراهقات بالمرحلة الثانوية بولاية الخرطوم وذلك من مدارس الضو حجوج الثانوية الحكومية بنات ومدارس بحري النموذجية بنات ومدارس الشيخ الطيب بنات من ريفى امدرمان ومدارس العكدابى الثانوية بنات من ريفى بحرى.

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من المراهقات بالمرحلة الثانوية والجامعية وبلغ حجمها(200) مراهقات منهم (100) مراهقه تراوحت أعمارهن بين(12- 16 سنة) و(100) مراهقة تراوحت أعمارهن بين (17 - 20 سنة) و قدتم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة. من مجتمع الدراسة. ومن ثم تم تطبيق كل من مقياس الحاجات النفسية ومقياس أساليب التنشئة الأسرية على عينة الدراسة وبعد ذلك تم إدخال البيانات للحاسب الآلي وذلك للتحقق من الفروض.

أدوات الدراسة : استخدمت الباحثة الأدوات الآتية:

مقياس الحاجات النفسية لهنري موراي. ومقياس أساليب التنشئة الأسرية.(تعديل الباحثة).

1ـ مقياس الحاجات النفسية:

أعتمدت الباحثة في قياسه للحاجات النفسية على مقياس الحاجات النفسية الذي وضعه هنري موراي وذلك من خلال نظريته في الشخصية والذي قام بتحديد اثنين وعشرون حاجة من الحاجات النفسية عند الإنسان والذي قام على ضوئها بوضع نظرية الحاجات والدوافع الشخصية. وقد قامت الباحثة بتعديل وحذف بعض العبارات التي رأى أنها غير صالحة للبيئة السودانية.كما قام بإضافة بعض العبارات التي تتناسب مع البيئة السودانية وعينة الدراسة فأصبح المقياس يتكون من 69 عبارة.

الصدق الظاهري: بعد أن أكملت الباحثة صياغة العبارات قام بعرضها على عدد من المحكمين والمختصين. وقد استفادت الباحثة كثيراً من وجهات نظر المحكمين وذلك بتعديل وصياغة وحذف العبارات وفي شكل التنظيم العام للمقياس.

الصدق البنائي: لايجاد الصدق والثبات للمقياس قامت الباحثة بتطبيق المقياس على عينه استطلاعيه حجمها(50) مراهق ومراهقه تم اختيارها من مجتمع الدراسه وذلك بطريقه العينة العشوائيه وقدبلغ معامل صدق الاختبار 0.898 ومعامل ثبات الاختبارعن طربق معامل الفاكرونباخ 0.779 والجدول التالي يوضح معامل ارتباط كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

جدول رقم (1) يوضح معامل ارتباط كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس

الفقرة	قيمة الارتباط	الفقرة	قيمة الارتباط	الفقرة	قيمة الارتباط
1	0,45	24	0,34	47	0,61
2	0,22	25	0,27	48	0,90
3	0,41	26	0,57	49	0,46
4	0,32	27	0,59	50	0,65
5	0.21	28	0,83	51	0,55
6	0,67	29	0,68	52	0,62
7	0,56	30	0,84	53	0,51
8	0,38	31	0,87	54	0,50

الفقرة	قيمة الارتباط	الفقرة	قيمة الارتباط	الفقرة	قيمة الارتباط
9	0,13	32	0,54	55	0,63
10	0,71	33	0,46	56	0,41
11	0,46	34	0,91	57	0,22
12	0,51	35	0,69	58	0,16
13	0,63	36	0,85	59	0,61
14	0,33	37	0,42	60	0,61
15	0.21	38	0,65	61	0,66
16	0,66	39	0,89	62	0,56
17	0,45	40	0,31	63	0,87
18	0,31	41	0.67	64	0.93
19	0,43	42	0.43	65	0,83
20	0,23	43	0,23	66	0,86
21	-0,34	44	0,73	67	0,64
22	0,89	45	0,61	68	-0,25
23	0,71	46	0,56	69	0,76

2ـ مقياس أساليب التنشئة الأسرية:

اعتمدت الباحثة في قياسها لأساليب التنشئة الأسرية على مقياس أساليب التنشئة الأسرية والذى وضعه محمد خليل وبالإضافة للعديد من الدراسات والأبحاث السودانية وقد قامت الباحثة بتعديل صياغة وحذف بعض العبارات التي لا تتناسب مع بيئة وعينة دراسته كذلك إضافت الباحثة بعض العبارات التي رأى أنها تتناسب مع بيئة وعينة دراسته فأصبح المقياس بهذه الصورة يتكون من 53 عبارة .

الصدق والثبات: لايجاد الصدق والثبات للمقياس قامت الباحثة بتطبيق المقياس على عينه استطلاعيه حجمها(50) مراهق ومراهقه تم اختيارها من مجتمع الدراسه وذلك بطريقه العينة العشوائيه وقدبلغ معامل صدق الاختبار (0,96) ومعامل ثبات الاختبارعن طربق معامل الفاكرونباخ (0,93) والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (2) يوضح معامل ارتباط كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس

رقم العبارة	الارتباط	رقم العبارة	الارتباط
	0,4	31	0,61
	0,12	32	0,48
	0,10	33	0,53
	0,19	34	0,48
	0,10	35	0,48
	0,19	36	0,83
	0,04	37	0,83
	-0,10	38	0,48
	0,01	39	0,83
	0,03	40	0,79
	0,11	41	0,81
	0,07	42	0,7
	0,84	43	0,79
	0,19	44	0,83
	0,19	45	0,78
	0,84	46	0,79
	0,06	47	0,78
	0,22	48	0,81
	0,06	49	-0.12
	0,82	50	0,82
	0,72	51	-0,05
22	0,84	52	0,56
23	0,24	53	0,73
24	0,65		
25	0,83		
26	0,64		
27	0,64		
28	0,79	ثبات المقياس : 0,93	
29	0,58	صدق المقياس: 0,96	
30	0,83		

فروض الدراسة:

1) **الفرض الأول:** توجد علاقة ارتباطية بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدى المراهقات.

وللتحقق من هذا الفرض استخدمت الباحثة لمعامل ارتباط بيرسون وذلك لمعرفة دلالة هذا الارتباط. والجدول التالى يوضح ذلك

جدول رقم (3) يوضح معامل ارتباط بيرسون لمعرفه العلاقة الارتباطيه بين الحاجات النفسيه واساليب التنشئة الاسرية

البيان	عدد افراد العينة	قيمة الارتباط	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
الحاجات النفسية	200	0.345	0.001	توجدعلاقة ارتباطية
أساليب التنشة الأسرية				

❖دالة عند مستوى 0.01.

من خلال الجدول اعلاه يتضح وجود علاقة ارتباطية بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية فقد بلغ معامل الارتباط لهما (0.345) .

وترجع الباحثة ذلك إلى العوامل الاجتماعية والثقافية فالصور النوعية التي تعبر بها هذه الحاجات عن نفسها والطرق العقلية التي يحقق بها المراهق حاجاته تحدد الترتيبات الاجتماعية التي يعيش المراهق في ظلها فهي تلعب دوراً كبيراً وهاماً في تكوين شخصية المراهق حسب الفرص التي يتيحها المجتمع فالمجتمع الذي يساعد على توفير أنشطة تعيين المراهقين لتحقيق الحاجات حسب ما تقتضيه تعاليمه ومعاييره مما يؤدي بالمراهقين إلى الإحساس بالانتماء والولاء. والتكييف مع المجتمع. فإذا لم تسمح الظروف الاجتماعية وكانت الحواجز بين المرء وإشباع حاجاته قوية مانعة فإنه يحاول أن يجد وسيلة يشبع بها حاجاته. وقد تكون الوسيلة غير سوية لا يقرها المجتمع هنا ينحرف الفرد ويجنح فتختل بذلك عملية التوافق. فقد أشار جيلفورد الى إن عدم إشباع الحاجات يؤدي إلى عدم التوافق النفسي والسلوك الشاذ وينتج عن ذلك صراع بين

الحاجات غير مشبعة والمجتمع الذي يعيش فيه الفرد. وتلعب الخلفية الثقافية أساساً من روافدها فالإسلام بتعاليمه يحض على الترابط والتكامل ويدعم إشباع الحاجات الفطرية والنفسية فيجعل من إشباعها طريق للنمو السوي والفطرة السليمة.

الفرض الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقات في الحاجات النفسية تعزى لمتغير السكن (ريف- حضر)

للتحقق من هذا الفرض استخدمت الباحثة اختبار (ت) وذلك لمعرفة دلالة هذه الفروق. والجدول التالى يوضح ذلك.

جدول رقم (4) يوضح اختبار (ت) للفروق بيت المراهقات فى الحاجات النفسية التى تعزى للسكن

مجموعتي المقارنة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت)	القيمة الاحتمالية
مراهقات الريف	100	14.45	3.51	198	0.57	0.47
مراهقات الحضر	100	14.31	3.11			
مجموع	200					

من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي لمراهقات الريف بلغ 14.45 والانحراف المعياري 3.51 بينما المتوسط الحسابيلمراهقات الحضر بلغ 14.31 والانحراف المعياري 3.11 وبلغت قيمة (ت) للمقارنة بينهما 0.57 ومما يشير إلى عدم وجود فروق بين المراهقات في الحاجات النفسية. وترجع الباحثة ذلك إلى أساليب التربية والتنشئة الأسرية والاجتماعية التي تنتهج فلسفة تربوية ونفسية تحقق من خلالها للمراهق حياة مستقرة وهادئة تجنبهم التعرض للأزمات النفسية والانفعالي بغض النظر عن منطقه سكنهم ولطبيعة الجو الأسري الذي ترعرع فيه هؤلاء الأبناء ففي المجتمعات التي فيها قواعد ومبادئ للكبار حددت بشكل لايدى مجال للاختيار أمام المراهقين نجد أن المراهقين والأبناء بغض النظر عن نوعين مجتمعهم يميلون إلى تقاسيم نفس القيم

والقرارات. كما تشير دراسة برونز إلى أن الأبناء المراهقين والأطفال يتقاسمون قيم متشابهة مع آبائهم أثناء فترة هاتين المرحلتين.(www.alorok.te.com) فالمجتمع الذي تسوده الثقافة والقيم الاجتماعية والتربية العالية والتعليم الراقي هذه الأشياء تعمل بدورها على تكوين حاجات الأبناء فكلما تقدم المجتمع أخذ أبناؤه حظاً أوفر في إشباع حاجاتهم وحرياتهم في التفكير (بثينة على 2000م - 44).

الفرض الثالث: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الحاجات النفسية بين المراهقات الأصغر سنا والمراهقات الأكبر سنا.

للتحقق من هذا الفرض استخدمت الباحثة إلى اختبار (ت) وذلك لمعرفة دلالة هذه الفروق. والجدول التالى يوضح ذلك.

جدول رقم (5) يوضح اختبار (ت) للفروق بيت المراهقات فى الحاجات النفسية التى تعزى لمتغير المستوى العمرى

مجموعة المقارنة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة (ن)	القيمة الاحتمالية
المراهقات الأكبر سناً	100	13.64	2.73	198	0.72	0.23
المراهقات الأصغرسناً	100	13.55	2.15			
المجموع	200					

من الجدول السابق يلاحظ أن المتوسط الحسابي للمراهقات الأكبر سناً 13.6 والانحراف المعياري 2.73 بينما المتوسط الحسابي للمراهقات الأصغر سناً 13.55 والانحراف المعياري 2.15 وبلغت قيمة (ن) للمقارنة بينهما 0.72. مما يشير إلى عدم وجود فروق بين المراهقات الأكبر سناً و المراهقات الأصغر سناً فى الحاجات النفسية. وتعزو الباحثة تلك النتيجة إلى وجود المراهقات في مجتمع واحد وفي أعمار متقاربة فهذا التقارب الزمني والفعلي يجعل منهم وحدة متماسكة حين ينجذبون لبعضهم البعض لتوافقهم في الميول والاتجاهات والأهداف والاهتمامات الاجتماعية والحاجات النفسية والقيم الدينية فيؤدي ذلك بالمراهق على الأقدام على التوافق السليم مع أسرته ومجتمعه

وهو ما يعرف بالائتلاف والتجمع. والكل يعلم أن جماعة الرفاق تؤثر تأثيراً قوياً في سلوك المجموعة فالمراهق يجد مكانته الحقيقية بين رفاقه وهذا يؤكد دورها الفعال في تكوين شخصية المراهق وتزداد أهمية صحبة الرفاق التي يكونها المراهق مع المراهقين الذين لا ينجحون في تحقيق هذا الجانب ففي حياتهم يميلون إلى العزلة فيتسمون بالخجل والتهيب والأنطواء والانسحاب عن الجماعات.

الخاتمة:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدى المراهقات وإلى معرفة الفروق بين المراهقات في الحاجات النفسية التى تعزى لمتغير السكن وإلى معرفة الفروق بين المراهقات الاكبرسنا والمراهقات الاصغرسنا في الحاجات النفسية. وبعد أعمال مناهج البحث وأدواته توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- وجود علاقة ارتباطية بين الحاجات النفسية وأساليب التنشئة الأسرية لدى المراهقات.
2- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقات في الحاجات النفسية تعزى لمتغير السكن (ريف- حضر)
3- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقات في الحاجات النفسية تعزى لمتغير المستوى العمرى.

التوصيات:

1. زيادة الاهتمام بالمراهقات ومحاولة تحقيق حاجاتهم النفسية والاجتماعية والثقافية.
2. العمل على توفير متطلبات المراهقات النفسية والمادية والاجتماعية.
3. تعويد المراهقات منذ صغرهن الاعتماد على النفس وتكوين علاقاته الاجتماعية لتحقيق المزيد من الاستقلال والانتماء والعون والمساعدة.
4. إعداد برنامج إرشادي شامل للمراهقات يكون بمثابة دليل مرشد لإنارة الطريق نحو الصواب.

5. عدم احباط الابناء وتشجعهم على تخطى الصعوبات .
6. عدم اهمال رعاية وتوجيه الابناء مهما كانت شواغل المربين ومسئولياتهم .
7. عدم التفرقة فى المعامله بين الابناء من الجنسين وعدم تفضيل بعض الابناء على بعض.
8. اتباع اساليب تربية اسرية سوية تقوم على الحب والتقبل والاهتمام والمساواة.
9. العمل على الاعتدال فى اشباع حاجات الابناء دون افراط وتفريط .

المراجع:

1. إبراهيم ناصر 1988م: علم الاجتماع – دار الجيل للطباعة والنشر – لبنان- الطبعة الأولى.
2. أحمد عبد العزيز سلامة 1994م: سيكلوجية المراهقة – دار النهضة العربية – القاهرة – الطبعة الثالثة.
3- أمل عواد 1997م: أساليب الأمهات في التطبيع الاجتماعي – مؤسسة الرسالة – لبنان – الطبعة الثالثة.
3. عبد العلى الجسماني 1994م: سيكولوجية الطفولة والمراهقة – الدار العربية للعلوم – القاهرة – الطبعة الاولى.
4. عباس محمود 1999م: المدخل إلى علم نفس النمو دار المعرفة الجامعة الإسكندرية – الطبعة الأولى
5. عبد المجيد نشواني 2002م: علم النفس التربوي. دار الرسالة – بيروت – لبنان.
6. فؤاد السيد البهي 1994م: الأسس النفسية للنمو – دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة الرابعة.
7. محمد عبد الرحمن السيد 1998م: نظريات الشخصية – دار فياء للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى.
8. محمد عبد الرحمن السيد 1998م: دراسات في الصحة النفسية – دار فياء للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى.
9. مصطفى فهمي 1998م: سيكلولوجية المراهقة – دار النهضة العربية – القاهرة – الطبعة الأولى.

10. هدى محمد 1993م : الطفل وتنشئته وحاجاته – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة.

الرسائل والدوريات:

11. بثينة محمد علي 2000م: عمل المرأة وعلاقته بالصحة النفسية لها ولزوجها ولأبنائها المراهقين وعلاقة ذلك بتحصيلهم الدراسي – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية – جامعة أم درمان الإسلامية.
12. عالية الطيب حمزة 1999م: الحاجات النفسية وعلاقتها بأساليب المعاملة الوالدية لدى طلاب المرحلة الثانوية بأم درمان – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية – جامعة الخرطوم.
13. علوية بانقا 1993م: أساليب التربية الخاطئة وأثرها على التوافق النفسي للأبناء رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم درمان الإسلامية كلية التربية
14. عبد الرحمن محمد 2000م: التفكير الابتكاري وعلاقته بأساليب التنشئة الأسرية ومستوى السلوك الديني والتحصيل الدراسي. رسالة دكتوراة غير منشورة – جامعة الخرطوم – كلية التربية.
15. غادة طه 1998م: التمتمة وعلاقتها بالتنشئة الأسرية والتحصيل الدراسي لمرحلة الأساس – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة أم درمان الإسلامية – كلية التربية.
16. سيد صبحي 1981م: الابتكار وعلاقته بالثقافة الأسرية – مجلة العلوم التربوية – جامعة عين شمس – العدد الثاني.
17. منيرة أحمد حلمي 1995م: مشكلات الفتاة المراهقة وحاجاته الإرشادية – رسالة دكتوراة منشورة – دار النهضة العربية – القاهرة.

المواقع الإليكترونية:

18-www.araty.eta.com
19-www.mahorhy.to.com
20-www.alorok.te.com

أثر مصادر التمويل في دعم العمل الخيري

د. سلطان بن عمر الحصين

أ. مشارك - الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة

مقدمة:

لا يخفي على أي مسلم ما يقوم به قطاع العمل الخيري والطوعي من جهود عظيمة في الدعوة إلى الله، ومساعدة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وبناء بيوت الله، وحفر الآبار، وإشادة دور العلم وتحفيظ كتاب الله، ونشر العلم من خلال بناء المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات، وكفالة المدرسين والطلاب، وطباعة الكتب، وغيرها من الأعمال الجليلة التي ألقت بظلالها المباركة، وثمارها اليانعة على المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، لذا جاءت هذه الدراسة لتسهم في التعريف هذا المجال.

تتناول هذه الدراسة أحد مجالات المعرفة الإنسانية ذات الطابع الملموس، ألا وهو مجال العمل الخيري والطوعي، محاولة التعرف على أهم معالم هذا المجال الحيوي من مجالات الحياة، من خلال منهجية علمية تأصيلية، بغية التعرف على أهم مصادر تمويل العمل الخيري، ويأتي في مقدمتها الزكاة والصدقات والأوقاف، هذا من جهة ومن جهة أخرى تعتني هذه الدراسة ببيان أثر تمويل العمل الخيري في دعم مسيرته ووصول برامجه ومشروعاته الخيرة إلى المستفيدين.

تنطلق أهمية الدراسة من أن عمل الخير وإشاعته وبثه بين الخلائق يمثل ركيزة أساسية من ركائز الرسالة المحمدية؛ فالمتأمل في نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة يجدها قد تضافرت على تأكيد قيمة الخير والتذكير به والحث عليه، فقد دعا القرآن الكريم إلى قول الخير، كما في قوله: { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}[البقرة:83]، وإلى المسارعة والتسابق في الخير كما في قوله: { فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ }[البقرة:148] وإلى الدعوة إلى الخير كما في قوله: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ }[آل عمران:104]، وإلى التعاون على عمل الخير، كما في قوله: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى }[المائدة:2]، وهذه النصوص القرآنية العظيمة تؤكد أن

قيمة الخير قيمة عالية وسامية في الإسلام، وأن الشريعة الإسلامية قد اعتنت عناية فائقة بالعمل الخيري، وضمنت ذلك نصوص المصدرين الأساسيين الذين تستقي منهما الأمة منهجها، وهو أمر الحاجة إلى بيانه وإيضاحه جد ماسة في هذه الأيام، مع تلك الحملات الجائرة التي يتعرض لها العمل الخيري الإسلامي، منذ عام 1422هـ/2001م إلى اليوم. مما جفف منابع دعم مشروعات العمل الخيري في العالم الإسلامي خوفاً من تهمة دعم الإرهاب الذي تتزعم مناهضته الولايات المتحدة الأمريكية.

إن مصادر تمويل الخير كثيرة جداً في دين الإسلام، بعضها منوط بالأفراد، وبعضها منوط بالمجتمع، وبعضها منوط بالدولة، وبعض هذه المصادر دورية، وبعضها غير دورى، بعضها مطلوب طلب الفريضة، وبعضها مطلوب طلب الفضيلة، وكلها تكون في مجموعها روافد أساسية ومهمة لتمويل أعمال الخير، وبقائها واستمرارها، حتى تظل محققة هدفها، مؤتية أكلها بإذن ربها، وتعد الزكاة والصدقات من أهم مصادر تمويل ودعم العمل الخيري والتطوعي واستمراره في الإسلام، وفيما يلي لمحة موجزة لهذه المصادر:

الزكاة والصدقات:

تعتبر الزكاة في الإسلام من أهم وأعظم مصادر تمويل العمل الخيري، وقد فرضها الله على أموال المسلمين تطهيراً وتزكية لأنفسهم وأموالهم، وتحقيقاً لتكافل المجتمع المسلم، ومساهمة أساسية في عمل الخير. واعتبرها الرسول الكريم ﷺ الركن الثالث من أركان الإسلام، وقرنها القرآن بالصلاة - عمود الإسلام- في ثمانية وعشرين موضعاً. وقد وضع الإسلام لأداء هذه الفريضة حراساً ثلاثة:

الأول: حارس الإيمان في ضمير المسلم، وهو حارس لا ينام ما دام الإيمان باقياً.

الثاني: حارس الضمير الاجتماعي لدى المجتمع المسلم، الذي جعل الله بعضهم أولياء بعض، وفرض عليهم أن يتناصحوا ويذكر بعضهم بعضا، وينبه بعضهم بعضا إذا قصر في فرض، أو أقدم على محظور.

الثالث: حارس السلطان، الذي يزع الله به ما لا يزع بالقرآن، أي حارس القانون وسلطة الدولة. فمن ضعُف حارس الإيمان في قلبه، نبهه حارس المجتمع وذكره وأمره

بها، فمن لم يرتدع بذلك: جاء حارس القانون، فأخذها منه كرها إن لم يدفعها طوعا. وإذا وجدت فئة ذات شوكة، وامتنعت عن أداء الزكاة، أنذرها ولي الأمر، فإن لم تستجب وتمردت على السلطة الشرعية قاتلها حتى تؤتي حق الله وحق الفقراء، والدولة الإسلامية كانت أول دولة في التاريخ تجيش الجيوش وتعلن الحرب، من أجل انتزاع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء، وقال في ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ: «والله لو منعوني عقالا (أي حبل بعير) كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه» (مسلم 1428 هـ/2007 م ، حديث رقم 20).

قد بينت أحكام الفقه الإسلامي أنظمة الزكاة بيانا جلياً لكل مسلم، فحددت مصارفها ومصادرها ومقاديرها، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيم}[التوبة:60].

الزكاة الواجبة نوعان:

النوع الأول: الزكاة الواجبة في الأموال وتشمل:

1- زكاة الذهب والفضة والأوراق المالية.

2- زكاة بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم.

3- زكاة الخارج من الأرض من حبوب وثمار ومعادن.

4- زكاة عروض التجارة.

النوع الثاني: الزكاة الواجبة في الذمة، وهي زكاة الفطر التي تجب على كل مسلم في نهاية شهر رمضان (التويجري 1431 هـ/2010م، ص 487).

تشكل الصدقات العامة أيضاً مصدراً للعمل الخيري في الاسلام، وهي رافد مهم من روافد العمل الخيري والتطوعي في الإسلام، ففي هذا الجانب غير الإلزامي من جوانب الإنفاق في الإسلام تحقق جملة من الفوائد، فهي تحقق الراحة النفسية للمسلم، وتحرره من سيطرة رأس المال، وتربيه على الإنفاق والبذل في سبيل الله تعالى، كما أنها تعود على متصدقها بالخير والنماء والبركة، وتشعر المسلم بأنه عضو فعال في مجتمع يسهم في بنائه، كما أنها تعود المسلم على إطاعة الأوامر الإلهية، ومكافحة الأنانية، والإفراط في النزعة المادية، وتطهر نفس المتصدق من البخل والشح والطمع والأثرة، وتنمي فيه مشاعر المشاركة الوجدانية والعطف على الفقراء (احسان محمد لاي 1429هـ/2009 م، ص 52).

ثانياً: الأوقاف:

الوقف من أهم ميادين البر، وأغزر روافد الخير، وأفسحها مجالا، وأعظمها وأبقاها أجرا، وأكثرها تأثيرا، فقد كان له دور بارز في المجتمعات الإسلامية عبر العصور المختلفة؛ حفاظا على هويتها وحيويتها، وسندا لجهادها، وسدا لحاجاتها، ودعما لعلمائها ودعاتها. وللوقف دور مهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي، حيث تكفلت الأوقاف بتمويل العديد من الحاجات والخدمات الأساسية والعامة للمجتمع، فكم خرجت مدارسه من علماء، وحفظت مكتباته من درر، وآوت ملاجئه من أيتام، وعالجت مشافيه من مرضى. لقد مات أهلها وبقي ذكرهم وآثارهم، قال الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس:12].

الوقف الإسلامي مصدر مهم من مصادر تمويل العمل الخيري والتطوعي في الإسلام، وهو الذي عبر عنه الحديث النبوي الشريف بالصدقة الجارية، قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (مسلم، 1428هـ/2007م، حديث رقم 1631). والوقف الإسلامي هو الصدقة الجارية الدائمة المتجددة، وهو ما يخرجه المسلم من ملكه الخاص، ليجعله لله في سبيل الخير والتطوع على التأبيد، فيحبس الأصل المملوك، ويجعل ثمرته لله؛ عن ابن

عمر ﷺ: أن عمر أصاب أرضا من خيبر فقال: يا رسول الله، أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منها، فما تأمرني؟ فقال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها»، فتصدق بها عمر - على ألا تباع ولا توهب ولا تورث- في الفقراء وذوى القربى، والرقاب، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول، وفي لفظ : غير متأثل (مسلم 1428هـ/2007م ، حديث رقم 1632).

وضع الرسول ﷺ بذلك الأساس الشرعي للوقف الخيري، الذي كان له أثره الملموس في المجتمع الإسلامي في كل العصور، وقد تسابق المسلمون في إيجاد الأوقاف وتفننوا في إيجاد مصارفها، فلم يدعوا حاجة من حاجات المجتمع إلا أوقف عليها الخيرون منهم جزءا من أموالهم، وقد كانت هذه الأوقاف من السعة والضخامة والتنوع بحيث صارت مفخرة للنظام الإسلامي، وأصبح الفقراء والمحرومون يجدون من ينابيعها ما يقيهم الجوع والعري، ومن مستشفياتها المجانية ما يعالجون به الأمراض والأوصاب، ومن سبلها وربطها، ما يعينهم على الأسفار وقطع المفاوز والقفار (خالد هدوب المهيدب1425هـ / 2005م).

لقد تتبع المسلمون مواضع الحاجات مهما دقت وخفيت فوقفوا لها، حتى إنهم عينوا أوقافا لعلاج الحيوانات المريضة، وأخرى لإطعام الكلاب الضالة، والقطط العمياء، فإذا كانت هذه نظرتهم للحيوانات العجماوات، فكيف للإنسان المكرم؟ فلا عجب أن وجدنا أوقافا شتى لليتامى واللقطاء، والعميان والمقعدين، وسائر العجزة، وذوى العاهات من المحتاجين، ومن أمثلة تلك الأوقاف ما يلي:

1. وقف الأواني المكسورة: وهو وقف تشترى منه صحاف الخزف الصيني، فكل خادم كسرت آنيته، وتعرض لغضب مخدومه، له أن يذهب إلى إدارة الوقف فيترك الإناء المكسور، ويأخذ إناء صحيحا بدلا منه، وبهذا ينجو من غضب مخدومه عليه.

2. وقف الكلاب الضالة: وهو وقف ينفق من ريعه على إطعام الكلاب التي ليس لها صاحب، استنقاذا لها من عذاب الجوع، حتى تستريح بالموت أو الاقتناء.
3. وقف إعارة الحلي في الأعراس: وهو وقف لإعارة الحلي والزينة في الأعراس والأفراح، يستعير الفقراء منه ما يلزمهم في أفراحهم وأعراسهم، ثم يعيدون ما استعاروه إلى مكانه، وبهذه يتيسر للفقير أن يبرز يوم عرسه بحلة لائقة، ولعروسه أن تجلى في حلة رائقة، حتى يكتمل الشعور بالفرح، وتنجبر الخواطر المكسورة.
4. وقف الزوجات الغاضبات: وهو وقف يؤسس من ريعه بيت، ويعدّ فيه الطعام والشراب، وما يحتاج إليه الساكنون، تذهب إليه الزوجة التي يقع بينها وبين زوجها نفور، وتظل آكلة شاربة إلى أن يذهب ما بينها وبين زوجها من جفاء، وتصفو النفوس، فتعود إلى بيت الزوجية من جديد.
5. وقف مؤنس المرضى والغرباء: وهو قف ينفق منه على عدة مؤذنين، من كل رخيم الصوت، حسن الأداء، فيرتلون القصائد الدينية طول الليل، بحيث يرتل كل منهم ساعة، حتى مطلع الفجر، سعيا وراء التخفيف عن المريض، الذي ليس له من يخفف عنه، وإيناس الغريب الذي ليس له من يؤنسه» (يوسف القرضاوي 2008م، ص 144).

أهمية المسارعة لإيجاد الأوقاف:

قد يؤخر بعض الناس إيجاد وقف له في حياته بدعوى أنه قد يحتاج إلى المال يوما ما، والحقيقة أن يوم الحاجة هو يوم أن يوسد الإنسان على التراب في القبر، والخير والسعادة والبركة والتوفيق المسارعة في البذل والإنفاق فيما يرضى الله تعالى، فالعاقل من يضع سراجه أمامه في حياته لا خلفه. ويمكن تقسيم الوقف الإسلامي بحسب الجهة التي وقف عليها في الابتداء إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الوقف الذري: (نسبة إلى الذرية)، وهو: أن يجعل الواقف الانتفاع من الوقف في ذريته وأقاربه، أو يوقفه على نفسه، ثم على أقاربه.

ثانياً: الوقف الخيري: وهو الذي يوقف ابتداء على جهة من جهات البر، كجهة خيرية

للفقراء والمساكين، و بناء المساجد، والمستشفيات، و دور الأيتام، وغيرها.

ثالثاً: الوقف المشترك: وهو الذي يوقف في أول الأمر على جهة خيرية ولو لمدة معينة، ثم من بعدها إلى الذرية و الأقارب، كأن يقول الواقف: أوقفت هذه الدار على الفقراء والمساكين مدة سنة، ثم على نفسي وأولادي، أو العكس، كأن يوقف على الذرية والأقارب مدة معينة، ثم بعدهم، على جهة خيرية أو على نفسه، ثم على جهة خيرية.

الوقف الذري: أصبحت بعض الأوقاف (الذرية) مصدرا لكثير من المشكلات والشقاق والفرقة والتقاطع والخلاف بين ذرية الواقف، بدلا من الاجتماع والألفة والمحبة والتواصل والتراحم، فجاء الوقف بنتائج هي خلاف ما قصده الواقف. ثم إن تكاثر المستفيدين، بتوالي الأجيال يؤدي إلى تفتيت الحصص، كما يجعل تلك الأوقاف منشأ للخلافات والنزاعات بين أبناء العائلة الواحدة. لذا من المناسب إذا كان عازما على الوقف على الذرية أن يوقف على البطن الأول فقط (أي: الأولاد ذكورا وإناثا)، أو الأول والثاني فقط (البطن الثاني: أولاد الأبناء أي: الأحفاد)، ثم بعد ذلك يصرف في وجوه البر أو يحدد نسبة من صرف الريع للذرية مثل 20٪ على البطن الأول والثاني المحتاج فقط، ثم على مصارف البر والخير" (سعد بن محمد المهنا 1432هـ، ص 28 - 29). وهنا ملحوظة مهمّة ينبغي التذكير بها، وهي أنه على النظار أن يصرفوا صافي ريع الأوقاف - بعد خصم المصاريف الإدارية والتشغيلية ونحوها- وفق تقرير معتمد من مراجع الحسابات، على النحو التالي:

1. يخصص عشرة بالمائة (10٪) من صافي الريع مكافأة للنظار، تقسم بينهم بالتساوي مقابل جهدهم وإدارتهم، ومن كان في غنى عن ذلك وتنازل عنها للوقف؛ فله الأجر من الله، وتضاف إلى بنود الوقف الأخرى، وإن كانت النسبة المقدرة للنظار قليلة أو كثيرة في أي وقت أو زمان أو حال أو مكان، فللنظار تقدير أجرة المثل وجنسها، ويخصص جزء من هذه النسبة لتدريبهم

وتأهيلهم وتطوير قدراتهم في كل أمر له علاقة بأعمال ومهمات مجلس النظارة بحسب ما يرون.

2. صرف عشرة بالمائة (10٪) في صيانة وترميم وتطوير ما تحتاج إليه العقارات حسب ما يرونه، وإصلاح الوقف وعمارته وصيانته مقدم على جميع المصارف، وإذا لم يصرف كامل هذا البند؛ فإن النظار يقومون بتحويله إلى بند الاستثمار أو الصرف حسب ما يرونه.
3. إعادة استثمار أربعين بالمائة (40٪) من الريع الصافي لتنميتها، وزيادة عائداتها.
4. يصرف ما تبقى من صافي الريع البالغ أربعين بالمائة (40٪)، في وجوه البر والخير عامة، فالأوقاف التي ليس لها مورد مالي تؤول مع الوقت إلى إهلاك عين الوقف وأصله، وقد ثبت أن 81٪ من أوقاف مدينة «بورصة» في تركيا قد تمت المحافظة عليها مع مرور القرون، وذلك باستثمار جزء من العائد في عمارتها والمحافظة عليها (سعد بن محمد المهنا 1432هـ، ص 30).

تتمثل أبرز مصارف الوقف فيما يلي:

- بناء المساجد وصيانتها ورعايتها، وبناء ما يتعلق بها من سكن للإمام والمؤذن وغيرها.
- مساعدة الفقراء والمساكين والأرامل وكفالة الأيتام المحتاجين ورعايتهم.
- دعم مجالات الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكافة أنواعها ومجالاتها وأنشطتها.
- إطعام الطعام، وسقيا الماء، وحفر الآبار في الأماكن المحتاجة لذلك.
- سد حاجة العلماء وطلبة العلم.
- إنشاء المعاهد والمدارس الشرعية ومدارس تعليم القران الكريم، وحلق تحفيظ القرآن.
- المنح الدراسية، والدورات العلمية، والبحوث العلمية في المدارس والمعاهد والجامعات

والمكتبات العلمية ومراكز البحث العلمي، والمسابقات الثقافية الشرعية.

- طباعة وتوزيع المصاحف والكتب والأشرطة النافعة.
- البرامج الدعوية ومكاتب الدعوة وتوعية الجاليات ورحلات الحج والعمرة.
- وسائل الإعلام المفيدة والملتزمة بأحكام الشريعة على اختلاف أنواعها، مرئية، أو مسموعة، أو مقروءة، أو إلكترونية، أو غير ذلك.
- إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية وتجهيزها، وتوفير سائر ما تحتاج إليه.
- إغاثة المحتاجين، وإنشاء دور للعجزة والمسنين، وإقامة مساكن للمحتاجين.

إلى غير ذلك من أعمال البر والخير(سعد بن محمد المهنا 1432 هـ، ص 40).

أثر مصادر التمويل في دعم العمل الخيري والطوعي:

لعل من المفيد هنا - في معرض الحديث عن العمل الخيري والطوعي - أن نشير إلى شيء من آثار العمل الخيري في استمرارية العمل الخيري والطوعي ، وآثاره على الفرد والمجتمع.

أولاً: استمرارية العمل الخيري والطوعي:

تسهم مصادر التمويل (الزكاة والصدقات والأوقاف) في استمرار الخير ووصول خدماته وأنشطته إلى كافة مستحقيه والمستفيدين، من الفقراء والمساكين والمحتاجين والأرامل والأيتام، كما تسهم في تنمية المجتمعات الإسلامية في مجالات عديدة : دعوية ، وعلمية ، وطبية ، وإجتماعية، وإعلامية ، وإغاثية. ففي مجال المساجد تسهم مصادر التمويل في بناء المساجد وصيانتها ورعايتها، وتحقيق رسالتها وفي طباعة المصاحف وتوزيعها. كما تسهم في دعم مجالات الدعوة إلى الله عز وجل بكافة أنواعها ومجالاتها من بناء للمراكز الدعوية الإسلامية، وكفالة للدعاة إلى الله ودعم للأنشطة والبرامج، و كذلك في النهوض بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العالم الإسلامي من خلال دعم برامجها وأنشطتها وتوفير احتياجاتها. وفي مجال العلم ونشره تسهم مصادر التمويل في دعم هذا المجال الحيوي من خلال سد حاجة العلماء وطلبة العلم، و إنشاء المعاهد والمدارس الشرعية ومدارس تعليم القران الكريم، وحلق تحفيظ القرآن، وتقديم المنح الدراسية، والدورات العلمية، والبحوث العلمية في المدارس

والمعاهد والجامعات وإنشاء المكتبات العلمية ومراكز البحث العلمي ودعمها بالكتب والباحثين، وإقامة المسابقات الثقافية والشرعية، وكذلك في طباعة الكتب والأشرطة النافعة. وفي مجال الإعلام تساعد مصادر التمويل في دعم الإعلام الإسلامي بكافة قنواته وأدواته و أنواعه من صحافة وإذاعة وقنوات مرئية ومواقع إلكترونية وغيرها.

يمكن أيضاً لمصادر التمويل أن تقدم دعما هائلا في المجال الطبي من خلال إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية وتجهيزها، وتوفير سائر ما تحتاج إليه. وتسهم مصادر التمويل في مجال الرعاية الإجتماعية، في إنشاء دور للعجزة والمسنين، وإقامة مساكن للمحتاجين كما تساعد في برامج رعاية الأسرة والطفولة وبرامج المقبلين على الزواج وغيرها من البرامج الإجتماعية. أما في مجال الكوارث فتساعد مصادر التمويل هذا المجال لأن يكون يقظاً متحفزا وفي حالة من الجهوزية الكاملة لتقديم أنشطته عند وقوع الكوارث مثل الزلازل والبراكين والفيضانات والمجاعات وغيرها.

إن العالم الإسلامي يزخر بأصحاب رؤوس الأموال والتجار وأهل المال والثراء والجدة ، ولنا أن نتخيل الكم الهائل من المبالغ المالية التي سيتلقاها القطاع الثالث ومؤسسات العمل الخيري في العالم الإسلامي من مصرف الزكاة فيما لو قدر أن كل مسلم التزم بدفع زكاة ماله بنفس طيبة وإقبال على الله، وإذا أضفنا إلى ذلك ما تطيب به نفوس الأخيار من صدقات وهبات فإن العالم الإسلامي سيحقق نهضة حضارية في كافة مناحي الحياة ومجالاتها الإنسانية.

ثانياً : آثار العمل الخيري والطوعي على صاحبه:

للعمل الخيري آثار على من يقوم به، سواء بماله أو بعلمه أو بعمله، ومن أهم تلك الآثار ما يلي:

1. تحقق موعود الله لمن قدم الخير للمسلمين، وذلك بحصول الثواب والأجر من الله؛ لأنه أحسن إلى الخلق طاعة لله تعالى، وامتثالا لأوامره بالبذل والإنفاق، فالعمل الخيري والطوعي الخالص لوجه الله يوصل المسلم إلى مرضاة الله والفوز بما أعده الله لعباده المؤمنين من النعيم المقيم، والدرجات العلى في الجنة. قال تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ

وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب.سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار} [الرعد :22- 24].

2. قد يغفل البعض أن العمل الخيري والطوعي لا تقتصر آثاره على المجتمع، بل إن المستفيد الأول منه هو من قام بالعمل الخيري والطوعي داعماً أو مساهماً بجهده، فلئن كان العمل الخيري والطوعي –أساساً- يمثل حاجة داخلية لدى الإنسان ، إلا أنه في الحقيقة أن المستفيد من العمل الخيري والطوعي هو من قام به، سواء المانحون للمال (مؤسسات وأفراد) أو من يعملون في القطاع الخيري، وذلك بالبركة والنماء وحفظ الله لهم ببركة تلك الأعمال الصالحة التي قاموا بها، والمشروعات والبرامج الخيرية التي أشرفوا عليها.
3. يثمر العمل الخيري في نفس المسلم الطمأنينة والسكون، فهو رياضة للنفس وتمرينا لها على اكتساب الفضائل، وشغل لوقت الإنسان بما يفيد، وهذه تغذية إيمانية للقلب، ووقاية للمسلم من الغفلة، واستحواذ المادية على قلبه وروحه، كما أنها تجعل المسلم على صلة دائمة بالله ﷻ (حمد المزروعي 1422 هـ / 2001م، ص 109).
4. يساعد العمل الخيري والطوعي في غرس قيمة الشكر في نفس المسلم، مما يجعله يتربى على خلق معرفة الجميل والاعتراف به، ومقابلة الإحسان بالشكر، مما يرغبه في فعل المعروف والإكثار من الإحسان. وهو في الوقت ذاته يعرِّضُ نفسه لدعاء الصالحين والصالحات من الضعفاء والمحتاجين، والذين انقضت حوائجهم وتسهلت أمور حياتهم ومعاشهم.
5. يكسب العمل الخيري المسلم القدرة على مواجهة مسؤوليات الحياة، وذلك من خلال اطلاعه على حوائج الناس ومشكلاتهم، ومشاركته في

الأزمات والكوارث التي تحل بالمسلمين وهي تجارب وخبرات ثرية لا يجدها الإنسان إلا في هذا المجال.

6. من بركة العمل الخيري والطوعي أن الله يبارك في العاملين الباذلين في هذا المجال، ويحفظهم وييسر لهم أمورهم الدنيوية، فقد يحفظهم الله في أبنائهم كما حفظوا أبناء المسلمين في حلقات تحفيظ القرآن ومراكز رعاية الشباب، وقد يحفظون في رزقهم بمساعدتهم للفقراء والمساكين والأرامل، وقد يحفظون بدفع البلاء عنهم وعن أبنائهم وعن أموالهم وتجاراتهم، ويحفظون كذلك بدفع أنواع الشرور والأذى والتي لا يعلمها إلا الله، وهي البركة التي يحسُّها العامل في القطاع الخيري والتطوعي تملأ حياته في نفسه أو أهله وماله، بإخلاف الله تعالى عليه ما أنفقه بما هو خير منه وأزكى أضعافا مضاعفة، وفقا لموعوده عزَّ وجلَّ: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِين}[سبأ:39]، وقوله سبحانه: {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُون}[البقرة:272]، ويصدق هذا على الدنيا، كما يصدق على الآخرة، والإخلاف من الله على المنفق في الخير قد يكون في صحَّة جسمه، أو في سكينة نفسه، أو في موافقة أهله، أو في استقامة ولده، أو في بركة ماله، بحيث يحيا حياة طيبة، عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}[النحل:97].

ثالثا: آثار العمل الخيري والطوعي على المجتمع:

للعمل الخيري آثار على المجتمعات من أهمها:

1. يصبغ العمل الخيري والطوعي المجتمع المسلم بصبغة الإلفة والمحبة بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ورعاية المحتاجين والمعوزين، وينشر خلق الرحمة، فيصبح مجتمعاً متراحما، و المجتمع المسلم مجتمع متراحم شبهه النبي ﷺ بمثل رائع يرويه الصحابي الجليل النعمان بن بشير ﷺ بقوله: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في

تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (البخاري 1407هـ / 1987م ، حديث رقم 5665)، وبذلك يحوز أفراد ذلك المجتمع المتراحم رحمة الله، ففي الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن» (أبو داود 1418هـ / 1997م حديث رقم 1924).

2. للعمل الخيري والطوعي دور مهم في توجيه الشباب نحو الإفادة من أوقاتهم، فهو يحفظ الشباب من إهدار أوقاتهم بما لا يفيد، فيوجههم من بوابة العمل الطوعي ليكونوا عناصر مفيدة، وأيدي بناء تبني ولا تهدم، تقدم الخير وتقصر عن الشر، وهو بذلك يوجه طاقات أفراد المجتمع نحو العمل الصالح.
3. يسهم العمل الخيري والطوعي كذلك في تحقيق التوازن الاجتماعي، فهو يسهم في هدم الفجوة بين طبقتي الفقراء والأغنياء، ويساعد في نمو الطبقة المتوسطة والتي يُعد نموها مؤشرا واضحاً في صحة المجتمع ونمائه.
4. للعمل الخيري والطوعي أثر قوي في تحقيق الأمن في المجمتع، من خلال مساعدته للفقراء والمحتاجين من خلال البرامج المتخصصة، والتي تقي من التوجه نحو الجريمة بسبب قلة ذات اليد أو الحاجة (حمد المزروعي 1422 هـ / 2001م ، ص 104).

الخاتمة:

اعتنى الدين الإسلامي عناية فائقة بالعمل الخيري والطوعي، فقد دعت آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ إلى فعل الخير وقول الخير والتسابق في ذلك. وتعتبر الزكاة والأوقاف والصدقات من أهم مصادر دعم العمل الخيري والطوعي، ولها أثر كبير في استمراره ووصوله إلى المستفيدين. وللعمل الخيري آثر كبير على المعطي والساعي والمستفيد وكافة مكونات المجتمع، إذ يسهم في التنمية الحضارية للمجتمعات، لذلك ينبغي على المسلمين مزيداً من الاهتمام بالعمل الخيري والطوعي، والتوسع في فتح المؤسسات التي تُعنى به، مع ضرورة تسهيل الإجراءات النظامية المساعدة في ذلك والتبشير به والاهتمام بدراسته.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- البخاري، محمد بن إسماعيل 1407هـ/1987م، الجامع الصحيح، (تحقيق) مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت.
- مسلم، الحجاج (د. ت)، الجامع الصحيح، (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **عبد العزيز الربيعة 1420هـ، البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته، ط2، بدون ناشر، الرياض.**
- **أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني 1418هـ/1997م، سنن أبي داود، (تعليق) عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت.**
- **محمد موسى عثمان 1996م، أسس ومناهج البحث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.**
- **يوسف القرضاوي 2008م، أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، دار الشروق، القاهرة.**
- إحسان محمد لافي 1429هـ/2009م، العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، دار النفائس، عمان، الأردن.
- **حمد المزروعي 1422هـ، العمل الخيري في الإسلام، دار اشبيليا، الرياض.**
- **سعد بن محمد المهنا 1432هـ، ثلاثون خطوة لوقف مميز، ط2، مؤسسة عبد الرحمن بن صالح الراجحي وعائلته الخيرية، الرياض.**
- خالد هدوب المهيدب 1425هـ/2005م، أثر الوقف على الدعوة إلى الله، دار الوراق، بيروت.

الثروة اللّفظية في اللُّغة العربية

د. إقبال عبد العزيز منوفلي حمد

أستاذ مساعد كلية. الآداب والإدارة _ جامعة الملك خالد

مقدمة :

اللُّغة العربية خصها اللّه بمكانةٍ رفيعةٍ حين أنزل بها كتابه الكريم ، الذي أكدت نصوصه حفظ هذه اللُّغة إلى يوم الدين ،قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ" (سورة الحجر، الآية 9). ارتباط العربية بهذا الكتاب المقدس منذ أربعة عشر قرناً حفظها من التغير والذوبان في غيرها من اللُّغات ؛ كما يحدث مع الكثير من اللُّغات نتيجة تفاعلها مع غيرها من اللُّغات المجاورة .فاللُّغة العربية التي وصلت إلى مرحلة النضج قبل مجئ الإسلام غنية وزاخرة **(بثروة لفظية)** عظيمةتعكس مكانةهذه اللُّغة ، وتفّوقها وسيادتها على غيرها من لغات البشر.وهي جديرة بالتتبع والدراسة ، ولذلك اخترت البحث في هذا الموضوع .

حدود الدّراسة :

الثروة اللّفظية للُّغة العربية ... طرق وضعها ومصادرها وسماتها .

أهداف الدراسة :

1- الوقوف من خلال هذه الدراسة على طرق وضع مفردات العربية.

2- الوقوف على جهود العلماء في تدوين هذه اللُّغة وجمع ألفاظها .

3- معرفة أهم الوسائل التي اعتمدت عليها العربية في تنمية ألفاظها .

4_ معرفة خصائص العربية، من حيث المرونة والتصرف .

منهج الدراسة :

اتبعت الدراسة منهجاً وصفياً تحليلياً.

اجتهد اللُّغويون والنحاة منذ عهدٍ باكر في دراسة هذه اللُّغة وتحديد معالمها من حيث الأصوات ، والأبنيةوالصيغ ، والدلالة ، وتركيب الجملة ، فكانت المحصلة ثروة لفظية واسعة تفي بحاجة المتحدثين بهذه اللّغة على مر الأزمان ، وتمكّنهم من مواكبة كل تطور .

الثروة اللّفظية لأي لغة يراد بها مفرداتها وكلماتها التي تستعملها في الدلالة على الموجودات والمجردات، التي تستغلها في بناء الجمل ، للدلالة على المعانيالتركيبية المستفادة من هذه الجمل . (حماد ، 2007م ، ص 15)

لغة العرب من حيث الثروة اللّفظية هي أعظم اللُّغات وأكثرها مرونة ،وأقدرهاعلىالتعبير عن مختلف فنون القول ؛ وذلك لأنها تمتاز بدقة قواعدهاالنحوية ،

وغزارة مفرداتها وخصوبة مناهجها في الاشتقاق ، وقياسية أوزانها ، ومرونتها تجاه التعريب والمجاز والكناية ، وشدة حرصها على جمال الاسلوب ورقة العبارة ، وتوخيها الوصول للغرض من أقرب الطرق . (وافي ، 2007 م ، ص185)

اهتم اللُّغويون والنحاة منذ أواخر القرن الأول الهجري بدراسة الفصحى " اللُّغة الأدبية المشتركة " بين مختلف القبائل في الجزيرة العربية ؛ تلك اللُّغة التي سجل بها الشعراء خواطرهم ومظاهر الحياة من حولهم ، كما استخدمها الخطباء في محافلهم ، ثم توّجها القرآن بنزوله بها . وارتباط العربية بالقرآن يجعلنا لا نقيسها بما يحدث في اللُّغات الحية المعاصرة . فإن أقصى عمر لهذه اللُّغات في شكلها الحاضر لا يتعدى قرنين من الزمان ، فهي دائمة التطور والتغير ، بعكس العربية التي ارتبطت بكتاب اللّه الكريم . (عبد التواب ، 1433ه،ص 13، 15)

جهود العلماء في جمع اللُّغة :

الثروة اللّفظية الضخمة للغة العربية والتي هي محل اعتزازنا اليوم ،جمعت مادتها الخام التي استخلصت منها خصائص اللُّغة ، وسماتها وظواهرهاالمختلفةبجهود جبارة ، بذلها اللُّغويون والنحاة في مرحلة جمع وتدوين اللُّغة ، إثر تفشي اللّحن اللُّغوي مع اتساع نطاق الدولة الإسلامية ودخول الأعاجم في الإسلام.

بلا شك أن جمع أو تدوين لغةٍ ما ، أمر ليس باليسير، وخاصة إن كان الأمر يتعلق بلغة العرب، التي تفرّق أهلها الذين تكلموها وأجادوها سليقةً في مناطق مشتتة في أنحاء جزيرة العرب ؛ ثم إن هذا الأمر في حد ذاته ، يتطلب قدراً كبيراً من الدقة

والأمانة والتفقه التام في أمر هذه اللُّغة، وهذا بدوره يتطلب وضع ضوابط ومقاييس تضمن سلامة النقل .

لما بدأ عهد تدوين اللُّغة أخذ الرواة يفرّقون بين قبيلة وأخري ، وينسبون الفصاحة لهذه وينكرونها علي تلك ، لأن القبائل العربية لم تكن علي قدر متحد في الفصاحة وسلامة اللُّغة . وقد فّرق العلماء بين القبائل بالنظر إلي مساكنها وحالتها الاجتماعية، فأسسوا فصاحة القبائل علي دعامتين : الأولي مقدار قرب مساكنها عن مكة وما حولها ، والثانية مقدار توغلها في البداوة . لذلك نجدهم يعتزون اعتزازاً كبيراً بلغة القبائل المتوغلة في البداوة، ونلحظ هذا في احتكامهم في مسائل اللُّغة إلي الأعراب الوافدين إلي الأمصار، أيًا كانت ثقافتهم أو مركزهم الاجتماعي، لأن هؤلاء الأعراب قد انعزلوا عن البيئات المتحضرة التي فسدت ألسنتها، ولأنهم ورثوا اللُّغة سليمة صحيحة' أورد ابن النديم في أخبار الرياشى البصري ، أنه قال "إننا أخذنا اللُّغة من حرشة الضباب وآكلة اليرابيع ، يريد البدو ، وهؤلاء يقصد "الكوفيين" ، أخذوا اللُّغة من أهل السواد، أكلة الكواميخ والشواريز، يريد "أهل الحضر".(أنيس ، 1978م ،ص51)

هكذا ظهر للرواة أن القبائل التي كانت في عزلة تامة عن غيرها ، فصحت ألسنتهاوقويت لغتها، وقد أدرك ذلك العرب أنفسهم، فكان الحضريون منهم يبعثون أبناءهم إلي البادية لينهلوا الفصاحة من منبعها الصافي ، وقد امتنع رواة اللُّغة عن الأخذ من القبائل التي أثر عنها الاختلاط.(نجا ، 1976م ، ص58)

بصفة عامة لم تؤخذ اللُّغة عن حضري ولا عن سكان البراري، ممن كان يسكن أطراف بلاد العرب المجاورة لسائر الأمم . فلم يؤخذ عن لخم ولا جزام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولاعن قضاعة وغسان وإياد، لمجاورتهم الروم في حدود سوريا وفلسطين، ومخالطتهم أهل الشام ممن يتكلمون العبرية، ولا عن أهل اليمن لمخالطتهم الفرس والهنود والأحباش، ولا عن بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا عن أهل ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا عن تغلب والنمر لاتصالهم

بالفارسية واليونانية، ولا عن حاضرة الحجاز لمخالطتهم غيرهم من الأمم.(السيوطي ، 1998م، ج1، ص 167)

آثر الرواة الأخذ عن قريش وقيس وتميم وأسد وهُذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين وغيرهم، ممن كانت مساكنهم وسط الجزيرة يقول ، ابن جني "علة امتناع ذلك، ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو عُلم أن أهل مدينةٍ باقون علي فصاحتهم ولم يعترضها شيء من الفساد والخطل، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ من أهل الوبر، وكذلك لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر ، من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها " (ابن جني ، د.ت ، ج2، ص7)

ركّز رواة اللُّغة بصورةٍ واضحة علي الأخذ من البادية ، يروى أن الكسائي سأل الخليل : من أين أخذت علمك؟ فقال له : "من بوادي الحجاز ونجد وتهامة"، فخرج إليهاولم يرجع ، حتى أنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب.(الرافعي ، 2000م ، ج1، ص 106)

ومما يلفت إلي تحري الدقة والاحتياط في النقل ، إن جمهور العلماء قد أجمع علي أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها في تقعيد قواعد اللُّغة ، ولا خلاف بينهم في ذلك ، أما المروي من الشعر العربي ، فقد أجمعوا علي الاحتجاج بالشعر الجاهلي ، كما يحتج بشعر المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام ونظموا شعراً في المرحلتين. كذلك يحتج بالشعر الإسلامي حتى منتصف القرن الثاني الهجري ؛ وإن كان بعض المتشددين من علماء العربية كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامي. أما الاستشهاد في مسائل اللُّغة بالأحاديث الشريفة ، فمعظم العلماء قد منع الاستشهاد بالحديث لجواز روايته بالمعني، وقلة منهم جوّزوا الاستشهاد به ، بحجة أنه إذا جاز اللحن في رواية الحديث فاحتماله في رواية الأشعار أكثر .(أنيس 1978، ص 50 - 51)

مجمل القول أن السلف من العلماء الذين نذروا جهودهم لتدوين اللُّغة وحفظها بين دفات الكتب، قد حرصوا كل الحرص علي أخذ اللُّغة سليمة من ذوي الفصاحة من

العرب، الذين لم تشب ألسنتهم شوائب اللحن، ولم يطرقها خطل الفساد ؛ حيث انتقوا لذلك قبائل بعينها ، تهيأت لها أسباب الفصاحة والنطق علي السليقة العربية الخالصة، فكانت لغاتها وما زالت حجة لكل من تحري الفصاحة.

ملامح وسمات ثروة العربية :

توفر للغة العربية عاملان لم يتوفرا لغيرها من اللُّغات السامية : أحدهما أنها نشأت في أقدم موطن للساميين، والآخر أن الموقع الجغرافي لهذا الموطن ساعد على بقائها حيناً من الدهر متمتعة باستقلالها وعزلتها .وهي بفضل ذلك قد احتفظت بمقومات اللسان السامي الأول ، فبقي فيها من تراث هذا اللسان ما انعدم لدى أخواتها الساميات ؛ فتميزت عنّها بفضل ذلك بخواص كثيرة ترجع إلى أمورٍ ثلاثة هي:

1. إنها أكثر أخواتها احتفاظاً بالأصوات السامية ؛ بل أنها زادت عليها أصواتاً كثيرة لا وجود لها في نظائرها الساميات ، مثل الثاء والذال والغين والضاد .
2. إنها أوسع أخواتها وأدقها في قواعد النحو والصرف ، فجميع القواعد التي تشتمل عليها اللُّغات السامية الأخرى توجد لها نظائر في العربية ، بينما تشتمل العربية على قواعد كثيرة لا نظير لها في غيرها .
3. إنها أوسعأخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات ، فهي بجانب الأصول المشتركة بينها وبين أخواتها الساميات، تشتمل على أصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، في مختلف أنواع الكلمة " اسمها ، وفعلها، وحرفها " لا يوجد لها نظير في أيٍ من أخواتها الساميات . (وافي ، 2007، ص 128 - 129)

كان للعرب ملاحظات دقيقة فيما يقع تحت حسهم ، فالإبل والخيل والأرض لكل شئ منها اسم ، فإذا طرأ أي تغيير وضعوا له اسماً خاصاً ، فإذا قصّرت اللُّغة ، ففي ما لم يقع تحت حسهم ، كمستخرجات البحار وأنواع النباتات والحيوانات التي في غير أقاليمهم . (أمين ،1935م ، ص 290)

هنالك أصول ومبادئ تعد ملامح عامة للثروة اللّفظية للغة العرب ، وهي تعين على رصدها وتحديد قوالبها ،تتمثل هذه الأصول في الآتي :ـ

1. اللُّغة العربية لغة اشتقاقية في المقام الأول ، أي أنها تبني كلماتها بصفة أساسية وفق مبدأ التغير الداخلي ، بالاعتماد على الأصول الثلاثية أو الرباعية للجذر ، لانتاج كلمات أو مشتقات، تتفق مع هذا الجذر في الأحرف الأصول ، وفي المعنى المعجمي .
2. بساطة بناء الكلمات ، وذلك أن كل كلمة مشتقة اشتقاقاً معجمياً تعود في أساس بنائها إلى أصل معجمي واحد ، هو ما اصطلح عليه بالجذر . وهذه البساطة في بناء الكلمات تساعد على احتفاظ العربية بخصائصها الصوتية ، وذلك بعدم ضياع صفات أصوات الجذر، من جهر، وهمس، وشدة، ورخاوة، وغيرها من الصفات . وتساعد هذه البساطة أيضاً على الاحتفاظ بظهور حركات الإعراب في الجملة .
3. القالبية ، بناء الكلمات في اللُّغة العربية يتبع قوالب محددة ،وأوزاناً معلومة لا يمكن تخطيها ، حتى تظل الكلمات محتفظة بسمتها العربي وخصائصها وصحتها اللُّغوية .
4. الترابط الدلالي ، يظهر هذا الترابط في أقوى صوره في صيغ الاشتقاق، خاصة الاشتقاق العام ؛ كما يظهر في القلب والإبدال والنحت .
5. المحافظة والاستمرار الاستعمالي . العربية في هذا تكاد تصل إلى درجة الإعجاز ، إذ أنها تحتفظ بألفاظ كثيرة ، هي مازالت مستعملة منذ العربية البائدة بمراحلها المختلفة ، أي أن هنالك ألفاظ كانت مستخدمة منذ آلاف السنين ولا يزال معظمها يستعمل حتى الآن . وهذا الأصل يتفق مع الخصائص العامة للغة العربية ، التي تعد المحافظة وعدم التطور السريع المتلاحق من أهم سماتها .
6. هذه هي الأصول العامة التي تحكم الحركة الاستعمالية والانتاجية للغة العربية ، والتي يجب مراعاتها عند صوغ المفردات الجديدة . (حماد ، "2007"، ص 24- 28)

استفادت العربية أيما استفادة باعتمادها اللّهجة القرشية لغة أدب وكتابة ، لأن لهجة قريش بالنظر إلي خصائصها كانت أوسع اللّهجات ثروة وأغزرها مادة ، وأرقَّها أسلوباً وأقربها إلي الكمال في مختلف فنون القول، بحكم ثقافة أهلها وما أتيح لها من احتكاكٍ بمختلف اللّهجات العربية الأخرى.

يقول أحمد أمين : " هذه المرونة التامة وهذا الاشتقاق والمجاز والقلب والإبدال والنحت، هو الذي جعل العربية تستطيع أن تكون لغة القرآن الكريم والحديث، وما فيهما من معانٍ في منتهى السمو والرفعة ، وما فيهما من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم ، كما استطاعت العربية أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم ، ففي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي ، كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة بالعربية ؛ وما كانت تستطيع ذلك لولا ما بها من حياة ومرونة ورقي . " (أمين ، 1935، ص 190 - 191)

لهجة قريش هي الفصحى التي سادت في الجاهلية ، لا في الحجاز ونجد فحسب؛ بل في كل القبائل العربية شمالاً وشرقاً وغرباً . كما أنها اتصلت جنوباً بلغات حمير واليمن، خاصة في أطرافها الشمالية؛ حيث منازل الأذد وخثعم وهمدان وبني الحارث . إنّ لهجة قريش لم يبدأ ذيوعها بين العرب في الإسلام عن طريق القرآن الكريم؛ بل إنها كانت في العصر الجاهلي منذ أوائله ، فأقدم نصوصه كأحدثها نظمت بهذه اللُّغة الأدبية العامة ، والتي سميت فيما بعد " بالفصحى"؛ ولكن و مما لا شك فيه أن انتشارها قد بلغ الذروة بعد ظهور الإسلام . (ضيف ، 1986م ، ص 134، 137)

لقد اعتمدت لغة قريش وحدها في الكتابة والتأليف والشعر والخطابة، فكان الشاعر من غير قريش يتحاشى خصائص لهجته، ويتجنب صفاتها الخاصة في بناء الكلمات وإخراج الأصوات و تركيب الجملة، ليتحدث للناس بلغة ألفوها وتواضعوا عليها ، فقبل الإسلام تمسكت كل قبيلة بصفاتها الكلامية في شؤونها العادية، لكن الخاصة من الناس في تلك القبائل ، لجأوا إلى تلك اللُّغة النموذجية التي نشأت في مكة في شؤونهم الجدية ، يخطبون بها وينظمون الشعر ويتجنبون صفات

اللّهجات المحلية، في مثل هذه المجالات لئلا تنفر الأذواق منهم . كذلك كان لابد لأولئك الأدباء الذين جاءوا من بيئات متباينة، أن ينظموا قولهم بلغةٍ خالية من عنعنة ، أو كشكشة ، أوعجعجة أو غيرها، لينالوا إعجاب سامعيهم ؛ لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة مختارة الألفاظ ، تلك اللُّغة التي كان المتكلم بها يشعر بخصائصها، ويحس كل نواحي القوة والجمال فيها، ويتطلع إلي إجادتها وتحسينها.(الصالح ،1960م ، ص67)

"لقد أجمع العلماء بكلام العرب ورواة أشعارهم ولغاتهم، أن قريشاً أفصح العرب السنة وأصفاهم لغة؛ ذلك لأن اللّه اصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة، وجعلهم قطان حرمه وجيران بيته وولاته ، وكانت وفود العرب من حجاج وغيرهم يفدون إلى مكة ويتحاكمون إلي قريش في أمورهم، ولم تزل العرب تعرف فضلهم وتسميهم أهل اللّه ، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل لم تشبهم شائبة ، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة، وقد جعلهم اللّه رهط نبيه الأدنين وعترته(ابن فارس ، 1997م ، ص55- 56)

كانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها إذا أتتهم الوفود تخيروا من كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلي سلائقهم، فصاروا بذلك أفصح العرب .(ثعلب ، د.ت ، ص81)

بصفةٍ عامة ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وغيرها، جاء في البيان والتبين "سأل معاوية يوماً من أفصح الناس ؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات ، وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست لهم غمغمة قضاعة ولا طمطمأنية حمير ، قال من هم ، قال قريش ."(الجاحظ ،1985م ص 212)

لقد اتحدت عدة عوامل ومسببات مهيئة أسباب التميز والارتقاء للّهجة القرشية، وهي تتمثل في الآتي :

1- عامل ديني : كانت قريش جارة البيت الحرام ، تقيم حوله و تقوم بسدانته ، وكان البيت حرماً مقدساً لدي قبائل العرب، يؤدون فيه مناسك حجهم ويقدمون القرابين لأصنامهم.

2- عامل اقتصادي: كان بيد قريش قدر كبير من التجارة ، تجوب قوافلهم مختلف بلاد العرب من الشام شمالاً إلي أقصي اليمن جنوباً، ولهم في هذا المجال رحلات تجارية شهيرة مثل رحلة الشتاء إلي اليمن، ورحلة الصيف إلي الشام ؛ مما يعكس دورهم الاقتصادي الخطير بين العرب .

3- عامل سياسي: بفضل النفوذ الديني والاقتصادي والحضاري والموقع المتميز، تحقق لقريش نفوذ سياسي قوي في سائر بلاد العرب في العصر الجاهلي .

1- مجتمعات العرب: التي كانت تعقد للمشاورة والمفاكرة في مختلف شؤونها الاجتماعية، من تعاون وفك نزاعات أو مجالس أنس وترويح ، وما كان يتم فيها من ذكر أخبار ووقائع وتبادل حكم وغيره، كان له أثر كبير في نهضة لغة قريش وتهذيبها .

5- أسواق العرب: التي كانت تنتظم كل أشهر السنة، كان لها أيضا دور ملحوظ في صقل اللُّغة القرشية وتوطيد دعائمها، ويأتي في مقدمة هذه الأسواق، سوق عكاظ الذي كان يقام بالقرب من مكة في أشهر الحج، حيث تجتمع كل قبائل العرب ليشهدوا منافع لهم، ويتباروا في عرض فنونهم الأدبية، من شعر وخطابة وغيره؛ وكانت قريش هي الحكم الذي ارتضاه العرب في ذلك .

6- أيام العرب: هى تلك الحروبات التي كانت تشنها قبائل العرب بعضها علي بعض، مثل يوم الفجار، وحرب البسوس، وداحس والغبراء وغيرها ، وما كانت تعتمده من كلام بليغ باللسان القرشي، لشحذ الهمم والتفاخر وتعديد المآثر والمناقب، الأمر الذي ساهم بدوره في نهضة اللُّغة القرشية.

7 - القرآن الكريم والحديث : نزول القرآن الكريم ومجيء الحديث الشريف باللسان القرشي، كان له أثر عظيم في إثراء اللُّغة القرشية ، إذ إنّه ومن خلال القرآن

والحديث فتحت أبواب كثيرة من فنون القول، وعولجت أمور لم تعرفها العربية من قبل، كالنظم السياسية، ومسائل التشريع والقوانين، وأصول القضاء والمعاملات، والعقائد الدينيةوغيرها، مما ساعد علي اتساع هذه اللُّغة وارتقائها بصورة ملحوظة ؛ خاصة أن النبي قد بعث للعرب خاصة والأمم عامة .

هذه العوامل المتعددة، ساعدت اللّهجة القرشية علي أن تصرع غيرها من اللّهجات ؛ إذ جعلتها في مركز قوة واضح ، مكّنها حسب قوانين الصراع اللُّغوي من أن تكون لغة الأدب والكتابة عند جميع العرب، من قبل البعثة النبوية بزمنٍ غير قصير. وأن تستفيد كثيراً في جانب المفردات والأساليب ؛ لا سيما النواحي التي كانت تنقصها ، فتنوعت بذلك فنون القول وطرق التعبير فيها . (وافي ، " 2007" ص109)

هذه السمات التي أوردناها إجمالاً، والتي تعد ملامح عامة للثروة اللّفظية للعربية يمكن الوقوف عليها تفصيلاً ، من خلال الوقوف على الطرق المختلفة التي سلكتها العربية في وضع ألفاظها ، والتي تعد مصدراً لثروتها العظيمة .

طرق وضع الألفاظ والمفردات في العربية :

اصطنعت العربية الفصحى لزيادة ثروتها اللّفظية العديد من الوسائل منذ عهدٍ باكر، أي بعد ثبات العربية الباقية وثبات خصائصها. وذلك فيما يتعلق بالألفاظ أو المفردات، لأن القواعد التركيبية ، صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، كانت قد استقرت ونادراً ما يحدث فيها تغيير جوهري أو إضافة أساسية؛ لأن ذلك يخل بالنظام اللُغوي العام كله.(حماد ، 2007، ص ، 205)

توسعت العربية في ثروتها اللّفظية ، حتى تلبي حاجة المجتمع المتنامية وتواكب الحضارة والمدنية ، وذلك بانتهاج طرق متنوعة في وضع المفردات وتوليد الألفاظ ، وهذه الطرق تعد مصدراً لهذه الثروة الضخمة وهيتتمثل في الآتي :

1/**القياس** :

وسيلة من الوسائل التي اتبعتها العربية في وضع ألفاظها وزيادة ثروتها . والقياس يدخل في كل الوسائل اللّفظية في العربية ، فالاشتقاق ينبغي أن تجري عملياته وفق القياس، الذي استنبطت قواعده من الفصحى المحتج بها ، كذلك القلب والإبدال

والنحت والتعريب . فالقياس هو الأصل الذي تبنى عليه القواعد. وهو استنباط مجهول من معلوم ، فإذا اشتق اللُّغوي صيغة من مادة من مواد اللُّغة على نسق صيغة مألوفة يسمى عمله هذا قياساً . فالقياس هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ ، أو استعمال باستعمال ، رغبةً في التوسع اللُّغوي وحرصاً على اضطراد الظواهر اللُّغوية ، وهو إما قياس استعمالي أو قياس نحوي. وللقياس أربعة أركان يقوم عليها هي: أصلهو المقيس عليه ، وفرع هو المقيس ، وحكم وعلة جامعة. (أنيس ، 1978 م، ص8 ، وحماد ، ص219)

القياس بهذا المفهوم لا يبعد كثيراً عن القياس عند الأصوليين ؛ إذ يعني عندهم : إلحاق حكم واقعة غير منصوص على حكمها ، بواقعة أخرى منصوص على حكمها لعلة مشتركة بينهما . وهو بمقتضى هذا تكون له أربعة أركان هي : الأصل وهو المصدر الذي يبيّن الحكم ، والفرع وهو الموضع الذي لم ينص على حكمه ، والحكم الذي يعديه القياس من الأصل إلي الفرع ، والعلة المشتركة بينهما . (أبو زهرة ، د.ت ، ص 227)

ووجوه القياس يمكن أن نتلمسها في مثل الأمور الآتية :

1- حين تذكر اللّغة المصادر ولا تذكر أفعالها والعكس ، أوحين يُذكر الفعل الثلاثي ولا يُذكر بابه ؛ هنا يمكن اللجوء إلى القياس لاستنباط مجهول من معلوم.

2- تعريب الدخيل ، بجعله على نمط الكلمات العربية .

3- تعميم المعنى بعد أن كان خاصاً ، قياساً على ما فعله العرب في كلمة " الخمر" التي كانت مقصورة على عصير العنب ، فأصبحت تفيد كل ما هو مسكر حتى لو لم يكن من العنب .

القياس في مثل هذه الأمور وما شاكلها هو القياس الطبيعي المعهود في كل اللُّغات والذي تنمو به مادة اللُّغة وتتسع، لتساير التطور الاجتماعي وما يتطلبه من تجديد . (أنيس ، 1978م، ص 15)

ظل القياس في اللُّغةموضع جدل بين اللُّغويين في كل العصور ، منهم من يضيّق دائرته ويقصر استعماله، ومنهم من يوّسع دائرته ، وحتى في العصر الحديث انقسمالعلماء حول هذه الظاهرة إلى فريقين ، فريق المجددين وفريق المحافظين. (أنيس، 1978م ، ص 16)

بيّن ابن الأنباري في" لمعه "موقف العلماء من القياس بحسب أنواعه على النحو التالي :

القياس ثلاثة أنواع : قياس علة ، وقياس شبه ، وقياس طرد .

قياس العلة هو أن يُحمل الفرع على الأصل ، بالعلة التي عُلق عليها الحكم في الأصل ، مثل حمل مالم يسم فاعله على الفاعل ، بعلة الإسناد . وهو معمول به بالإجماع عند العلماء كآفةً.

قياس الشبه هو أن يحمل الفرع على الأصل لضربٍ من الشبه ، غير العلة التي عُلّق عليها الأصل ، مثل أن يُدل على إعراب الفعل المضارع بأنه يتخصص بعد شيوعه ؛ كما يتخصص الاسم بعد شيوعه ، فكان معرباً كالاسم . وهو معمول به عند أكثر العلماء .

قياس الطرد هو الذي يوجد معه الحكم وتُفقد المناسبة بينهما . واختلفوا في كونه حجة ، حيث ذهب بعض العلماء إلى أنه ليس بحجة ، لأن مجرد الطرد لا يوجب غلبة الظن ؛ إلا أن الكثير من العلماء قد أخذ به . (ابن الأنباري ، 1957م ، ص 105 - 111)

تأتي أهمية القياس في كونه عملية عقلية إبداعية يتم بها اكتساب اللُّغة عند الصغار وتنميتها عند الكبار ، لأنه عملية تضيف إلي اللُّغة صيغاً وتراكيب لم تعرف من قبل، وهو عملية تحافظ على الخصائص العامة للُّغة . ومما يدلعلى أهمية القياس كوسيلة لتنمية ألفاظ اللُّغة ؛ اهتمام مجمع اللُّغة العربية في القاهرة منذ إنشائه بقضية القياس ، إذ رأى المجمع أن التنمية الحقيقية لألفاظ اللُّغة تكون عن طريق القياس ؛ إلا أنه لم يبالغ في هذا الأمر، فلم يحاول القياس في الدلالات والتراكيب لأن لها نظائر في أقيسة القدماء. (حماد، 2007، ص211 ، 217)

من المسائل التي انتصر فيها المجمع للقياس نظراً للحاجة الماسة لها ،ما يلي:

جعل المصدر الصناعي كالجاهلية والرهبانية ، مصدراً قياسياً ؛ وذلك نظراً للحاجة الماسة له للتعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون .

1- صياغة " فعّال " ، للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي ، للدلالة على أصحاب المهن والحرف .

2- جعل المجمع صياغة اسم الآلة قياسية ، كما جعل المصادر الدالة على الحرف قياسية ، مثل النجارة والحياكة وغيرها .

3- جعل المصادر الدالة على التقلب والاضطراب قياسية، كالغليان والخفقان ، وكذلك الدالة على المرض كالسقم والبرص والسعال والزكام.(أنيس،1978م، ص 16)

بصفة عامة القياس كوسيلة للثراء اللُّغوي ، يعد من أكثر الوسائل التي حظيت بعناية العلماء قديماً وحديثاً ، نظراً لدوره الكبير والمتعاظم في ضبط قواعد اللُّغة وصونها من اللّحن والتحريف .

2/ **الاشتقاق** :

هو الوسيلة الأولى في نمو اللُّغة العربية، إذ أنها تفوقت على رصيفاتها الساميات في هذا المجال وعرفت بأنها لغة اشتقاقية في المقام الأول، وليست لغة لصق أو تركيب ، وأنه من أخصّ خصائصها . والاشتقاق من أهم الوسائل التي تبيّن مرونة اللُّغات وتصرفها وطواعيتها ، فيتلبية حاجة أهلها المتكلمين بها.

لقد أجمع اللُّغويون على أن لغة العرب لغة اشتقاق، يقول ابن فارس" أجمع أهل اللُّغة إلا من شذّ عنهم ، أنّ للغة العرب قياساً وأنّ العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وأنّ اسم الجن مشتق من الاجتنان ، وأنّ الجيم والنون تدلان أبداً على الستر ، تقول العرب : جُنّة ،وأجنّه الليل ، وهذا جنين ، أي في بطن أمه . (ابن فارس ، 1997 ، ص36)

تنبه القدماء لفكرة الاشتقاق منذ بداية بحثهم في مسائل اللُّغة ، وربطوا الألفاظ ذات الأصول المتماثلة والمعاني المتشابهة . ولم يكد ينتهي القرن الرابع الهجري حتى

استقر البحث في الاشتقاق على أمورٍ أقرّها جمهور العلماء ، وأصبح الاشتقاق يعني عندهم " استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى. " (أنيس ، 1978 ص 62)

الاشتقاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي : الاشتقاق الأصغر ، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الأكبر .

أ) الاشتقاق الأصغر : وهو المعني عند إطلاق كلمة " اشتقاق " لهذا سُمي بالاشتقاق العام أو الاشتقاق الصرفي ، لأنه الذي تتصرف الألفاظ عن طريقه ويشتق بعضها من بعض . (عبد التواب ، 1433هـ ص265) وهو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة ، كضارب من ضَرْب وحَذِرٌ من حَذَر . وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع كل منها إلى صيغة هي أصل الصيغ ، كضرب فإنه يدل على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ، ومضروب ، ويضرب ، واضرب ، كلها أكثر دلالة وأكثر حروف وكلها مشتركة في " ض ر ب " وفي هيئة تركيبها ، وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتج به . (السيوطي ، ج1، ص275)على هذا النوع يقوم أكبر قسم من متن العربية، مثل المشتقات الصرفية المتمثلة في :"أفعال الماضي ، والمضارع، والأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة . (وافي ، 2007 ص138)

ب) الاشتقاق الكبير : أطلق عليه ابن جني اسم الاشتقاق الأكبر، لكن معظم الباحثين المحدثين أطلقوا عليه اسم الاشتقاق الكبير، واسم الاشتقاق الأكبر على النوع الثالث . عرفه ابن جني بقوله : " الاشتقاق عندي ضربين صغير وكبير ، أما الاشتقاق الأكبر هو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية وتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً ، فكل ما تجتمع عليه التراكيب الستة ومايتصرف من كل واحدٍ منها عليه ، وإن تباعد شئ من ذلك عنه ، رُد إليه بلطف الصنعة والتأويل إليه . فإذا عقدنا تقاليب الكلام السته " ك ل م "

فهي تدل أبداً على القوة والشدة ، وتقاليب القول الستة " ق و ل " ، فهي تدل دوماً على الإسراع والخفة .□ (ابن جني ، ج2، ص136)

بالغ بعض العلماء في هذا النوع من الاشتقاق؛ إذ زعموا أنّه يطّرد في معظم مواد اللُّغة ؛ ولكنه في الحقيقة لا يبدو في صورةٍ واضحةٍ إلا في طائفة قليلة من مواد اللُّغة ، ومحاولة تعميمه في غيرها ، فيها الكثير من التكلف والتعسف أو الخروج بالفظ عن مدلوله الأصلي .(وافي ، ص141)

ج) الاشتقاق الأكبر : يكون في الأصوات التي تتفق في النوع ، بأن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ماعدا الإطباق . ومن أمثلة التقارب في المخرج ، تناوب الميم والنون في مثل : امتقع لونه ، وانتقع لونه . واللام والنون في مثل : أسود حالك ، وأسود حانك . ومن أمثلة الاتفاق في الصفات ، تناوب السين والصاد في مثل : ساطع، وصاطع ، والصراط ، والسراط. ويرجع مثل هذا التناوب في الغالب إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمات . (السابق، ص 142 - 143)

البناء الشكلي المجرد للعربية، من حيث مناسبته لتطبيق مبدأ الاشتقاق جعل هذه اللُّغة تستفيد من هذا المبدأ ، حتى عرفت بلغة الاشتقاق ؛ إذ أن الجذر الثلاثي البسيط يوفر نظرياً احتمالات لا حصر لها في الغالب، فالاشتقاق الصغير لم ينقطع استخدامه عملياً على مر تاريخ العربية . (حماد ، ص238 - 239)

مما يؤكد على فاعلية الاشتقاق كوسيلة لتنمية ألفاظ اللُّغة ، توسع مجمع اللُّغة القاهري في أنواع الاشتقاق ، التي دعت الحاجة إليها في التعبير عن مصطلحات العلوم والفنون ، فالمجمع أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان والذي استخدمه العرب في مئات الكلمات ، كاستخدامهم من الذهب والفضة والجص ، " مذّهب، ومفضض، ومجصص " ، وكاشتقاقهم من أسماء الحجر والناقة والنسر ، "استحجر، واستنوق، واستنسر ". كما أجاز المجمع استخدام المصدر الصناعي واعتبره قياسياً ، مثل كلمة الجاهلية، والرهبانية، والفروسية ، وغيرها .(وافي ، ص 138- 139)

هنالك مسائل تتعلق بالاشتقاق كانت محل جدل وخلاف بين العلماء ، مثل أصل المشتقات ، وكلام العرب_ هل كله مشتق أم بعضه؟ ، وثنائية الألفاظ وثلاثيتها؛ مما لا يسع المقام هنا لذكره.

3 /**الإبدال اللُّغوي**:

الإبدال نوعان ، إبدال صريح وإبدال لغوي . والإبدال اللُّغوي هو المعني في هذه الدراسة لأنه هو الذي يزيد الثروة اللّفظية للغة من الناحية الشكلية والكمية .

قال ابن فارس : " من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض مثل ، مدحه ومدهه ، وفرس رِفلٌ ورِفنٌ ؛ وهو كثير مشهور وقد ألف فيه العلماء (ابن فارس 1997، ص154)

اصطلح اللُّغويون على أن الإبدال اللُّغوي هو أبدال حرف مكان حرف أو حرفين مكان حرفين ؛ إذ أنّ بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ترتبط ببعضها ارتباطاً عاماً ، لا يتقيد بالأصوات بل بترتيبها الأصلي ، فمتى ماوردت إحدي تلك المجموعاتالصوتية على ترتيبها الأصلي ، فهي تفيد الرابطة المعنوية المشتركة سوي احتفظت بأصواتها أو استعاضت عنها بأصوات أخرى ، تقارب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات . (حماد ، 2007 ص 226)

تحدث ابن جني عن هذا الإبدال حيث قال :" هذا باب واسع ، من ذلك قول اللّه سبحانه "أَلَمْتَرَأَنَّاأَرْسَلْنَاالشَّيَاطِينَعَلَىالْكَافِرِينَتَؤُزُّهُمْأَزًّا" (سورة مريم ، الآية 83) أي تزعجهم وتقلقهم ، فهذا في معنى تهزهم هزاً ، والهمزة أخت الهاء ، فتقارب اللّفظان لتقارب المعنين ، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا أعظم في النفوس من الهز ، ومثل ذلك العسف والأسف ، فالعين أخت الهمزة. (ابن جني ، ج1 ، ص148- 149)

يبرر العلماء وقوع الإبدال بتنوع اللّهجات ، ولم يفسروه بالمصادفة والاتفاق ، ولا بتعمد العرب تعويض حرف من حرف ؛ وإنما هي لغات مختلفة لمعاني متفقة ، تتقارب اللّفظتان في لغتين لمعنى واحد ، بحيث لا تختلفا إلا في حرف واحد . والدليل على ذلك

أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة و بالسين مرة . وقد لوحظ أن تميماً تتجه للأشد الأفخم لأنها بدوية ، وأن قريشاً تتجه للأرق الأنعم لأنها حضرية .(الصالح ،1960 ص 96)

درس بعض العلماء المحدثين العلاقات المسوِّغة للإبدال ووجدوها لا تخرج عن الآتي :

1. التماثل : وهو أن يتحد الحرفان مخرجاً وصفةً ، كالبائين والتائين .
2. التجانس : هو أن يتحد الحرفان مخرجاً و يختلفا صفةً ، كالدال والطاء في
3. " مدّ ، ومطّ " .
4. التقارب : وهو إما أن يتقارب الحرفان مخرجاً ويتحدا صفةً ، كالحاء والهاء في " مدحت ، ومدهت " . وإما أن يتقارب الحرفان مخرجاً وصفة ،ًكاللام والراء. وإما أن يتقارب الحرفان مخرجاً ويتباعدا صفةً كالطاء والظاء . وإما أن يتقارب الحرفان صفةً ويتباعدا مخرجاً كالشين والسين .
5. التباعد : هو أن يتباعد الحرفان مخرجاً ويتحدا صفة ،ً كالنون والميم في " الغَيْم ، والغيْن " .(الصالح ،1960، ص 216 – 217)

الإبدال له أهمية كبيرة في تنمية الثروة اللّفظية للُّغة ،وإيجاد طرق متعددة عن طريقه للتعبير عن المعنى الواحد ، كما يمكن استغلاله في التعبير الأدبي شعراً ونثراً، أضافة للاستفادة منه في صوغ المصطلحات العلمية التي بينها فروق دقيقة في المعنى ، كما أنه يعين على فهم المعجم العربي وأصول كلماته وتطوراتها المختلفة .(حماد ، 276)

4/النحت

هو أنتنتزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أومن جملة ، للدلالة على معنى مركب من معاني الأصول التي انتزعت منها .(وافي ، 2007، 144)

وقد ورد النحت في العربية بوجوه متعددة هي:

1- النحت الفعلي: وهو أن تنحت من الجملة فعلاً، مثل بسمل، إذا قال بسم اللّه الرحمن الرحيم ، وحمدل ،إذا قال الحمد للّه ، وحوقل ، إذا قال لا حول ولا قوة إلا باللّه وغير ذلك .

2- النحت الاسمي : وهو أن تنحت من كلمتين اسماً ، مثل "عبشمي " في النسب لعبد شمس ، و" عبقسي" في النسب لعبد قيس .

3- النحت الوصفي: وهو أن تنحت من كلمتينكلمة واحدة تدل على صفة بمعناها أو بأشد منها، مثل بحثر وضبطر .

4- النحت النسبي : وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً مثلاً إلى بلدتين مثل " طبرستان " و "خوارزم " ، فتقول : " طبرخزي " .(الصالح، 1960 ص 294 ، وعبد التواب ، ص 274)

النحت هو عبارة عن اختزال واختصار في الكلمات والعبارات ، وهو عكس الاشتقاق ، الذي يكون في أغلب صوره إطالة لبنية الكلمات . فالعرب نحتت بعض الكلمات والعبارات لكثرة دورانها في كلامهم ، فمالوا إلى اختزالها في كلمة واحدة فعلاً أو مصدراً . (أنيس ، 1978 ص 86)وقد يكون السبب في نشوء بعض المنحوتات ، أنه يصعب على المتكلم الفصل بين كلمتين وردتا في ذهنه دفعة واحدة ، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما تداخلاً تاماً ، وتكون النتيجة صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق النحت . (عبد التواب ، 1433هـ ، ص273)

لقد أثبت ظاهرة النحت الكثير من القدماء ، أمثال الخليل ، وابن السكيت ، وابن فارس وغيرهم ؛ إلا أن معظم اللُّغويين قد تحفظوا في شأن النحت وعدّوه سماعياً ، وذلك يرجع إلى أنهم لم يجدوا القدر الذي روي من أمثلة النحت كافي لقياسيته ، وأنهم رأوا أن تلك الأمثلة لا تكاد تخضع لطريقة معينة أو نظام خاص.(أنيس ،1978 ، ص 87) كما أضاف الدكتور صبحي الصالح مبرراً آخراً في هذا الصدد ؛ إذ قال " النحت لون من الاشتقاق لم يعرفه العرب كثيراً ، ولم يغلو فيه غلوهم في أنواع

الاشتقاق الثلاثة الشائعة ، ولعلهم لم يؤنسوا دافعاً للغلو فيه؛ لأن أنواع الاشتقاق أغنتهم عنه ، فلم يخلّفوا لنا من الشواهد عليه إلا النزر اليسير. " (الصالح ،1960 ص243)

وقف بعض المحدثين موقفاً معتدلاً من هذه الظاهرة ، مثل الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول " النحت في بعض الأحيان ضروري ، يمكن أن يساعدنا على تنمية ألفاظ اللُّغة ؛ لذا نرى الوقوف منه موقفاً معتدلاً ، فنسمح به حين تدعو الحاجة الملّحة إليه ، ولا سيما ما يجري على نسق الأمثلة القديمة . " (أنيس ، 1978ص 91) ولعل هذا الرأي قد تبلور رسمياً من قبل مجمع اللُّغة القاهري الذي أصدر قراراً عام أربعة وثمانين وتسعمائة وألف ، أجاز فيه اللجوء إلى النحت عند الضرورة بشرط انسجام الحروف عند تأليفها في الكلمة المنحوتة ، وتنزيل هذه الكلمة على أحكام العربية ،وصياغتها على وزن من أوزانها . (الصالح ، 1960،ص 274)

يمكننا القول أن النحت وسيلة لتنمية ألفاظ اللُّغة وتجديد أساليبها في التعبير ، بالرغم من قلة المنحوتات في العربية وعدم تعويلها عليه ، كما هو الحال في غيرها من اللّغات أمثال اللُّغات الهندوأوربية وغيرها. فينبغي ألا نضيّق واسعاً ولنستخدم هذه الوسيلة متى ما دعت الضرورة لمواكبة لغتنا للتطور والمدنية الحديثة .

5/ **المعرّب والدخيل** :

دخلت العديد من المفردات الأجنبية إلى اللُّغة العربية منذ العصر الجاهلي ، وذلك بحكم احتكاك العرب مع الشعوب الأخرى من الأمم المجاورة لهم ؛ مما أتاح الفرصة لدخول مفردات من لغات أخرى إلى لغتهم ، عُرفت باسم الدخيل الأجنبي .

ينقسم الدخيل إلى : مُعرّب ، ومُولّد. فالمعرّب هو ما استعمله العرب الفصحاء في عصر الاحتجاج اللُّغوي . أما المولّد فهو ما استعمله العرب المولدون بعد عصر الاحتجاج .والسبب الرئيس في دخول هذه المفردات يرجع، للاحتكاك المادي والثقافي والسياسي الذي كان بين العرب وجيرانهم من آراميين، وأحباش وفرس وغيرهم منذ عصور بعيدة ، وصولاً لعصر الفتوح الإسلامية الذي أدى للمزيد من الاحتكاك مع الشعوب الأخرى،

ودخول مفردات أكثر للعربية ، من اللُّغات الفارسية ، والسريانية، واليونانية، والتركية، والقبطية، وغيرها. (وافي ، ،2007 ، ص153 – 154)

انتهجت العربية نهجاً معيناً في تعريب الألفاظ الأعجمية ولم تترك الأمر مفتوحاً، وذلك على النحو التالي :

1. إبدال الأصوات التي ليست من أصواتهم ، إلى أقربها مخرجاً ؛ حتى لايدخل في كلامهم ما ليسمن أصواتهم ، مثل تغييرهم للصوت الذي بين الجيم والكاف ، والصوت الذي بين الباء والفاء .
2. تغيير بناء الكلمة إلى أبنية العربية مثل " دِرْهَم " الذي أُلحق "ب " هِجْرَع ".
3. ترك اللفظ الأعجمي على حاله ، إذا كان موافقاً لمنهج العربية في الأصوات والصيغ وبنية الكلمة ، مثل " خُراسان وكُرْكم " .(الجواليقي ، 1998م ، 7- 9)

وضع العلماء علامات يعرف بها المعرب ، استخلصوها من المقارنة بين نسج الكلمات في العربية والكلمات المعرّبة، وهي كما يلي :

1. لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، فمتى ما اجتمعتا في كلمة فإنها معرّبة ، مثل " جرندق " و" جلبوق " .
2. لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية مثل " الجص " و " الصنجة" والصولجان" .
3. لا تقع النون بعد الراء في كلام العرب ، مثل " نرجس " و" ونورج " .
4. لا تقع الزاي بعد الدال إلا في الدخيل ، مثل " الهنداز " و" المهندز ". (الجواليقي ، 1988، ص10)

تعامل العرب مع اللّفظ المعرّب معاملة العربي في الاشتقاق ، مثل كلمة " لجام " التي اشتق منها في العربية : ألجم ، وتلجّم ، ومُلْجم . وقد يسود الأعجمي فيغطي على مقابله العربي ويشيع استعماله ، فيتوارى اللفظ العربي و يندر استعماله . (عبد التواب، 1433هـ، ص 328)

أجمع العلماء على جواز المعرّب الذي استخدمه فصحاء العرب في عصر الاحتجاج ؛ إلا أنهم توخوا الاحتياط والحذر فيما استخدمه المولدون في مختلف العصور ، فقد رأى مجمع اللُّغة القاهري عدم جواز استعماله لأن العربية في غنى عنه ، وأنّ بطون معجماتها مليئة بآلاف الكلمات المهجورة ، الحسنة الجرس والنغم ، الكثيرة الاشتقاق ؛ مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة . وقد طبّق المجمع هذا القرار بأن وضع عدداً كبيراً من الأسماء العربية لمسميات حديثة ، جرت العادة باستخدام كلمات أعجمية في التعبير عنها؛ إلا أنّه أباحه في حالة الضرورة في المجالات العلمية والفنية، بعد تعذر إيجاد لفظ عربي ،حيث أجاز استخدامه بعد صقله بالأساليب الصوتية العربية . (والي ،2007، ص 159)

هذه هي المصادر التي استمدت منها العربية تراثها اللّفظي الضخم،الذي لم يصلنا منه إلا القليل كما قال علماؤنا . وهذه المصادر يضيق مثل هذا المقام عن تفاصيلها الكثيرة ؛ لذا ركزت الدراسة على تعريفها ، وموقف العلماء منها، ودورها في تنمية ألفاظ اللُّغة .

الخاتمة :

تشتمل على النتائج والتوصيات التى توصلت لها الدراسة .

أولاً النتائج : ـ

1- تمتاز اللّغة العربية بسعة مادتها وغزارة مفرداتها ومرونتها في التعبير.

2- تعددت وسائل وضع الألفاظ في اللّغة العربية ؛ مما ساعد على ثرائها وسعتها في التعبير .

3- نزول القرآن باللّغة العربية أكسبها مميزات عديدة ، في مقدمتها حفظ هذه اللّغة من الانقراض أو الذوبان في غيرها .

4- امتازت العربية ببساطة بناء كلماتها ، واتباعها قوالب وأوزان محددة لتوليد الكلمات .

5- اصطنعت العربية الفصحى لزيادة ثروتها اللّفظية، العديد من الوسائل منذ عهدٍ باكر ، بعد ثبات العربية الباقية وثبات خصائصها ، دون المساس بالقواعد التركيبية ، صوتية ، وصرفية ، ونحوية .

6- طرق الوضع اللُّغوي متعددة ؛ لكن العربية تعوّلأكثر على القياس والاشتقاق من بين هذه الطرق.

7- الصفات الصوتية وتعدد لهجات العربية ، له أثر واضح يظهر في بعض طرق الوضع اللُّغوي، مثل الإبدال والنحت .

8- الكلمات المنحوتة في العربية قليلة ؛ لأن اللجوء إلى النحت من سمات اللُّغات الجامدة وليس اللُّغات المتصرفة المرنة ، مثل العربية .

9- جدل العلماء القدامى والمحدثين حول بعض وسائل الوضع اللُّغوي ، يدل على حرصهم الشديد على سلامة اللُّغة وفصاحتها.

ثانياً التوصيات :

توصي الدراسة بالآتي :

1- ضرورة تفعيل دور المجامع اللُّغوية في البلدان العربية لخدمة هذه اللّغة ؛ إذ لا يوجد الآن إلا نشاطمحدود للمجمع القاهري .

2- الألفاظ الوافدة على العربية في هذا العصر من اللغات الأجنبية، مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرها، تحتاج للحصر والتقنين اللُّغوي .

ثبت المصادر والمراجع :

1- أمين ، أحمد [دكتور] ، ضحى الإسلام ،القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1935م

2- ابن الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين ، لمع الأدلة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، حلب : مطبعة الجامعة السورية ، 1377هـ - 1957م .

3- أنيس، إبراهيم [دكتور]، في اللّهجات العربية ،القاهرة: مكتبة الأنجلو ، [دت]

4- من أسرار اللُّغة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو، ط6 ، 1978م

5- ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحي ، مجالس ثعلب " 291هـ" ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : دار المعارف ، ط2 ، [د.ت] .

6- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر" 255هـ " ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط5 ، 1405 هـ- 1985م .

7- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ،القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، [د.ت]

7- الجواليقي ، موهوب بن أحمد الخضري " 540هـ " ، المعرّب من الكلام الأعجمي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1419 هـ- 1998م .

8- حماد ، محمد أحمد [دكتور] ، الثروة اللّفظية ، الرياض : دار النشر الدولي ، ط1، 1428هـ – 2007م

9- الرافعي ، مصطفي صادق ، تاريخ آداب العرب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1412هـ – 2000م .

10- أبو زهرة ، محمد ، أصول الفقه ، بيروت : دار الفكر العربي ، [د.ت]

11- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 1418هـ – 1998م .

12- الصالح ، صبحي إبراهيم [دكتور] ، دراسات في فقه اللُّغة ، بيروت : دارالكتب العلمية ، ط1، 1379هـ- 1960م .

13- ضيف ، شوقي [دكتور] ، القاهرة : دار المعارف ، ط4 ، 1986م .

14- عبد التواب ، رمضان [دكتور] ، فصول في فقه اللُّغة ، الدمام : مكتبة المتنبي، 1433هـ .

15- ابن فارس ، أحمد بن زكريا القزويني ، الصاحبي في فقه اللُّغة ، بيروت : منشورات محمد علي بيضون ، 1418 هـ – 1997م .

16- نجا ، إبراهيم محمد [دكتور] ، اللّهجات العربية ، القاهرة : مطبعة السعادة ، 1396هـ- 1976م

17- وافي ، علي عبد الواحد [دكتور] ، فقه اللُّغة ، القاهرة : شركة نهضة مصر ، 2007 م .

دور الموسيقى في تنمية المجتمع

د.محمد سيف الدين علي التجاني
أ.مشارك - كلية الموسيقى والدراما
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

مقدمة:

تُعنى هذه الدراسة ببعض ملامح وعناصر ومكونات الموسيقى في السودان، بتناول بعض المؤثرات التاريخية التي لعبت دوراً في توجيه مسار الحركة الفنية وأثر ذلك على المجتمع السوداني، مع نبذة عن ممارسة الموسيقى السودانية في الريف والحضر، ودورها وأثرها على كافة عناصر ومكونات المجتمع. للموسيقى مكونات وعناصر وعوامل تربط كل منها بالأخرى، وبالتالي تؤثر على كل من المنتج والمتلقي، وعلى الرغم من أن الإنسان يمارس الموسيقى بأشكال وطرق عديدة ومتنوعة، إلا أن ممارستها في السودان تعتمد كثيراً على الفطرة، كما تخضع لقوانين اجتماعية متوارثة تستند على العادات والتقاليد المحلية والمكتسبة، وبالتالي يتأثر المنتوج الموسيقي فتظهر مؤشرات التأرجح وعدم الثبات، إضافة إلى عدم معرفة نتائج تأثير تلك الموسيقى الممارسة في المجتمع، لدى كل مجموعة إثنية أو قبلية أو حتى على مستوى الأسر والأفراد، عليه فإن القضية الرئيسية لهذا البحث هي دراسة دور الموسيقى في تحقيق نماء وتطور واستقرار الانسان في مواقعه المختلفة في المجتمع.

موجز تعريفي:

السودان بلد متفرد في إفريقيا، وله مركز مهم في أرض العروبة والاسلام، ومعبر للهجرات التجارية والدينية بين أقصى أرجاء افريقيا الغربية وبلدان المشرق العربي، بجانب منزلته في الاقتصاد الأفريقي (عبد الجليل 2009م، ص13)، فهو قاسم مشترك وحيز حضاري ورابط ثقافي واقتصادي وسياسي مهم، يربط أفريقيا بالوطن العربي، كما إن هذا الموقع المتفرد يأخذ تجلياته الآن في إطار دوافع ومحركات التغيرات العالمية التي تجري في هذا العصر، ويبدو ذلك عبر التجمعات والتكتلات العديدة التي برزت كنتاج لحاجات مشتركة، من خلال تجارب حدثت فألقت بظلالها على الحاضر

وصارت لها نتائجها، منها على سبيل المثال نشوء الاتحاد الإفريقي، ومجلس التعاون الخليجي، والكتلة الآسيوية، كما برزت مبادرة الفضاء العربي الإفريقي، لتهيئ قواعد لصياغة ورسم خطط وبرامج دقيقة وفعلية، تمكن من مواجهة تحديات هذا الذي يتميز بالطفرات التقنية الهائلة، لذا أصبحت فيه الفضاءات الكبرى وحدها هي القادرة على المواكبة والتصدي والتحدي. عليه فإن السودان - بل العالم أجمع - وبحكم المتغيرات التي لا تنفصل عن مغالبة الظروف، واحتياجات الشعوب في بقاع كثيرة توجد في مختلف أرجاء العالم، في حاجة إلى التعارف والتعاضد والتضامن لمواجهة الاستبداد والظلم والعنصرية، وهي معضلات وضع بذرتها الاستعمار في افريقيا والوطن العربي، ومن ثم فهي أمور يتطلب التغلب عليها تجاوز حدود المصالح والنظرات الذاتية الضيقة التي تدور في أطر القبلية والكيانات الجهوية.

يتميز السودان بتعدد الأجناس والأعراق واللغات والديانات والنشاطات، وهي خصائص جعلت ثقافته هجيناً مركباً، ذات سمات وميزات وملامح افريقية وعربية، إسلامية ومسيحية، ورغم التباين والاختلاف في مظاهرها وأشكالها، إلا أنها اتحدت وانصهرت في بوتقة الواقع المحلي (البشاري 1986م، ص 22)، واستوعبت عناصر من ثقافات مختلفة تمثلتها وتشكلت بها، فأصبحت في جوهرها حاملة ودالة على صور تعبيرية متنوعة، بناء على واقع التنوع الثقافي والديني والإثني.

لم يكن السودان المعروف اليوم، يمثل كياناً سياسياً أو ثقافياً موحداً قبل دخول العرب، فقد كانت تتوزع فيه أعراق وقوميات متنوعة وعقائد وأديان مختلفة، فقد أحدث دخول العرب في السودان تغييراً كبيراً في الهوية الثقافية، إذ تكونت على إثر ذلك عوامل توحيدية عديدة على الصعيد الديني والسياسي والاجتماعي، وقد حدث اندماج وتداخل في الاجناس وتصاهر وامتزاج، فكان لذلك كله أثر في ترتيب الأنساب وتعديلها (عابدين 1967م، ص29).

لقد عرف السودان العرب قبل الإسلام، لكن تأثيرهم زاد وقوي بظهور الإسلام الذي أحدث أهم التغيرات، فأصبحت اللغة العربية هي العنصر الوحيد الجامع

للسودانيين، وحتى القبائل الجنوبية أوالنوبية أو البجاوية التي تتحدث لغات مختلفة، أصبحت اللغة العربية هي لغة التفاهم فيما بينها - برغم تأثير عوامل بيئية وجغرافية محلية، وقد تفاعلت تلك العناصر العربية مع الواقع السوداني وأنتجت ثقافة سودانية مميزة، كما تمثلت نتائج دخول العرب والإسلام، في التصالح مع المعتقدات والعادات والتقاليد المحلية، التي استوعبت كثيراً منها، وظلت تمارسه كجزء أصيل في النسيج الثقافي بصورة شاملة، مما انتج طابعا ثقافيا متفردا تمازجت بفعله العادات والتقاليد وتلاقحت الاديان وتداخلت القبائل والأعراق، وكان للغات ولهجات تلك القبائل المختلفة أيما أثر في الحياة (أحمد 1987م، ص 25).

لعب السودان دوراً خاصاً في تاريخ افريقيا الحديث نظراً لكبر مساحته الجغرافية، كما أن الحركة الوطنية قد ظهرت فيه قبل الحركات الوطنية في معظم الأقطار الأفريقية المستعمرة (بخيت، جعفر، 1987م، ص9)، وبالتالي أصبح نقطة مهمة في التلاقي العربي الإفريقي، ولم يكن ذلك التلاقي صدفة، بل جاء نتاج تجارب ومعاناة خاضتها وعاشتها كل الأطراف، تلك التجارب التي خلقت جراحات عميقة بسبب الأطماع الاستعمارية التي ظلت تسعى لتنفيذ أجندة ومخططات استعمارية سافرة ومغلفة تتمثل فالآتي:

1. انتزاع ثروات الدول النامية (العربية والإفريقية خاصة).
2. إذكاء روح الحروب الأهلية.
3. إثارة الفتن ونشرالأوبئة الفتاكة والأمراض الصناعية.

جراء ذلك تمزقت القارة الأفريقية وعانى إنسانها مرارات عديدة لم تشهد البشرية لها مثيلاً، وكذلك الحال بالنسبة للعرب فما الإنسان في فلسطين والعراق ولبنان يشهد على ذلك، فتلك كانت مخططات أعدت ونفذت بدءا بتفكيك الدولة العثمانية، وانتهاء بعزل الشعوب عن بعضها البعض، وفي السودان وصلت الحياة إلى أسوأ حالات التمزق (محمد أحمد 1966م، ص274)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى مرحلة تفتيت الشعوب إلى أشكال قبلية زرعت فيها مشكلات تمثلت في الحروب

الأهلية التي يصعب إخماد نيرانها، فقد زرعت أنماطاً من الأفكار الصفوية القبلية، كما بذرت أفكار سالبة لدى المثقفون في سعيهم لمقاومة الاستعمار عبر مشاريعهم التي توأد في مهدها، تلك المشروعات التي تبحث عن السلام الاجتماعي الذي تصوغه الثقافة والفنون.

لقد زرع الاستعمار بذور الكراهية في النفوس ليتحول المثقفون والمفكرون في مرحلة من مراحل من تاريخ الشعب إلى ساعين فقط للتدليل والبرهنة والإثبات على أنه كانت هناك حضارة، دون التفكير في أو الوصول إلى لب القضية، وبذلك تباعدت المسافات بين الدول العربية وبعضها والدول الأفريقية وبعضها، فقد تقسمت القارة الأفريقية إلى جزء فرنسي وآخر إيطالي وثالث الإنجليزي . . . الخ عبر مداخل التجارة والسياسة، ولم يتقدم أبناء القارة الأفريقية خطوة في اتجاه أقاربهم، بل زادت الهجرات بكثافة وانتشرت الحروب الأهلية المصاحبة للنعرات القبلية مثل الإقصاء والتهميش والعزل، وتدنت القدرات البشرية إلى أدنى حدودها مقارنة مع الإمكانيات الحقيقية للإنسان الإفريقي في مختلف مواقعه واتجاهات تخصصاته، فبالتالي يصبح ذلك الواقع دافعاً قوياً للتفاؤل ـ بفطرة الإنسان، لأن يوقف نزيف الدم أولاً، وأن يحمل قادة الثقافة الفكر والفن مشاعل توحيد الصف لأجل حماية وصون وتقديس الوطن تاريخا وثقافة، ومن الواضح أن للمثقفين دور في بلورة أفكار مشروع الإنعتاق والمؤاخاة وإعادة الثقة المفقودة بإبراز وعزل ومعالجة الأسباب الحقيقية التي أدت أصلاً لفقدانها.

أورد الباحث تلك التفاصيل نسبة لأهمية الثقافة والفنون ودورها في المجتمع، حيث سادت مقولات وحكم وأمثال كثيرة، وصيغت نظريات لفلاسفة ووضعت أسس عديدة تم استنباطها والتوصل إليها عبر تجارب مختلفة تكشف عن حرص شديد على فهم دور الفن في المجتمع الحديث (ابراهيم، 1966م، ص12)، كما تم التحقق من جدواها، وارتبط تطور الشعوب والأمم بتطور فنونها، وتعدد وسائطها التعبيرية كالمسارح، بجانب تنوع الفنون نفسها مثل الموسيقى والغناء والشعر والأدب والتمثيل والتشكيل، ذلك لأنها تؤثر وتتأثر في صيغة تبادلية مع المجتمع وحركته وتطوره، وتطور الإنسان

فيه، فقد استطاع المرويون أن يقودوا السودان نحو وحدة ثقافية وبناء شخصية قومية استوعبت الكثير من صيغ الحضارات العالمية المعاصرة (الحاكم، 1990م، ص90).

بنظرة متأملة في فنون الموسيقى السودانية نجد أن أثرها قد وصل إلى بعض دول إفريقيا في تشاد وأثيوبيا والصومال واريتريا، ومصر وليبيا (دياب، الفاتح، 1995م، ص76)، ويرجع ذلك إلى الدور الريادي الذي لعبه السودان بين الدول الإفريقية.

ألوان الموسيقى والغناء في السودان:

فيما يلي يقدم الباحث نبذة تعريفية موجزة عن القوالب الغنائية والموسيقية في السودان باعتبارها من العوامل المهمة في ترسيخ الكثير من القيم وترجمة العديد من الأفكار والاتجاهات الفنية التي ترتبط بحركة المجتمع وحياة الناس، فمن أهم الأشكال الموسيقية السائدة في السودان هي:

1. الموسيقى الشعبية.
2. الموسيقى الحضرية.

أولاً: **الموسيقى الشعبية**:

عند ذكر الموسيقى الشعبية، فإنما يكون المقصود هو الغناء الشعبي لأن الموسيقى أكثر تعقيدا من الغناء، لذا فإن التركيز في هذا الجزء سيكون على الغناء، فالأغنية الشعبية هي تعبير عن مشاعر وقدرات الإنسان الإبداعية، وهناك عدة تعريفات للأغنية الشعبية وردت في كتابات وإصدارات المختصين في مجال الأغنية الشعبية، أمثال صفوت كمال وأحمد موسى وأسعد محمد علي وعز الدين إسماعيل وعبد الحميد يونس وفوزي العنتيل وغيرهم، حيث وردت تعريفات عن أنواع الأغنية الشعبية وخصائصها وميزاتها ومواصفاتها (علي، 1974م، ص11).

أما الموسيقى الشعبية في السودان، فهي تمارس في أقاليمه المختلفة وتعبر في كل منطقة عن تقاليد ومعتقدات معينة، وترتبط بمفاهيم وعادات خاصة بكل مجموعة، فإذا أخذنا الموسيقى الفلكلورية الحقيقية، نجدها تتمثل في أغاني قبائل الدينكا، والنوبة، الشلك، النوير، وهذه تقطن في منطقة جنوب السودان التي يسود فيها المناخ الاستوائي، أما أغاني الجراري والهسيس والمردوم، فهذه تمارس لدى القبائل التي تعيش

في مناطق دارفور وكردفان بغرب السودان مثل قبائل البقارة والفور والمساليت والحوازمة والنوبة وغيرهم، أما مناطق الشرق فتسكنها قبائل البجا مثل الهدندوة والبني عامر والأورتيقا والرشايدة وغيرهم، كما تسكن مناطق شمال السودان قبائل الحلفاويين والجعليين والشايقية والمحس والدناقلة وغيرهم من القبائل والمجموعات، فكل مجموعة تمارس أنواعا عديدة ومتنوعة من الأغنيات، وتستخدم أيضا مجموعة مختلفة من الآلات الموسيقية، مع اختلاف وثراء فني كبير في جوانب الأداء والتعبير.

يلاحظ أن كثيراً من هذه الأغنيات تتشابه في أسلوب الأداء والتعبير رغم اختلاف اللهجات والآلات الموسيقية والإيقاعية المصاحبة فمثلا في الشمال نجد آلات الطنبور* ملحق رقم(1) والآلات الإيقاعية مثل الطبل والدفوف وغيرها، كما نجد أن آلة الطنبور تستخدم بأسماء مختلفة في الشرق والشمال والجنوب، وأن الإيقاعات أيضا تأخذ أسماء مختلفة ولها أنواع ودلالات وأساليب مختلفة غي العزف والصناعة والأثر الاجتماعي.

هذا إلى جانب الآلات المصدرة للألحان مثل الكوندي ملحق رقم (2) والكروبي ملحق رقم (3) وأم كيكي ملحق رقم (4) والبانمبو ملحق رقم (5)، وفي منطقة النيل الأزرق نجد آلات النفخ مثل الوازا ملحق رقم (6)، والزمبارة ملحق رقم (7)، المثلث ملحق رقم (8)، الطار ملحق رقم (9)، قوقو ملحق رقم (10)، آلة قوقو أثناء العزف ملحق رقم (11)، طبلة ملحق رقم (12)، دنقر ملحق رقم (13)، نقارة ملحق رقم (14)، دلوكة ملحق رقم (15)، شتم ملحق رقم (16) وبناء على ذلك فقد عرفت أنواعاً كثيرة من المؤلفات الغنائية الشعبية المختلفة باختلاف القبائل وتباين سماتها وأساليب حياتها، ملحق رقم (1) أشكال آلات موسيقية متنوعة.

يظل هذا الكم الهائل من الصيغ والقوالب الغنائية والآلية والأنواع المختلفة من الآلات الموسيقية الشعبية، خامل الحركة تهدده مخاطر التشويه والاندثار بفعل ما تلقيه ظلال التطور وأدوات الصناعة الحديثة بأجهزتها المختلفة، إذاعة، تلفزيون،

* آلة الطنبور آلة وترية منتشرة في السودان، ولها اسم مختلف في كل منطقة بجانب بعض الاختلافات في طريقة العزف وضبط الأوتار وأساليب العزف، ونعد من الآلات الشائعة الاستخدام في الموسيقى الشعبية في السودان.

سينما، قنوات فضائية، ديجيتال، كمبيوتر، انترنت، بجانب وسائط ومستحدثات الكترونية وتكنولوجية عديدة ومتنوعة ومغرية لسهولة امتلاكها واستخدامها، وتأثيرها المباشر على الوجدان والعواطف، مفعولها على كافة قطاعات لمجتمع.

عليه فإن القوالب الغنائية الخاصة بالغناء الشعبي، تتميز بالخطط الفنية البسيطة، تسمى بالقوالب الدائرية، التي تتميز باللحن البسيط الواحد الذي يتكرر مع تغيير الكلمات، وتستمر الأغنية في حالته لأطول مدة زمنية ممكنة، وذلك لارتباطها بهدف معين وهو الإعادة دون التفكير العميق ليصبح التركيز في العمل الأساسي كالزراعة أو ورود المياه أو الاحتفال بالحصاد أو تتويج كبير القبيلة أو القرية أو احتفاء بسلامة العودة من السفر والترحال من مكان إلى آخر بحثا عن مقومات الحياة من كلأ وماء وغير ذلك، وهنا لابد من إشارة مهمة تتعلق بترديد الأغاني الشعبية وفق مواصفاتها الخاصة بالسهولة واليسر في التأليف ونظم وصياغة الألحان مما يساعد على سهولة الحفظ والترديد وهو أمر يجعل الألحان عرضة للتغيير والتحوير أو النسيان، لذلك لابد من تدوينها بدقة حفاظاً عليها كموروث فني ثقافي أصيل.

ثانياً: الموسيقى الحضرية:

الموسيقى الحضرية يقصد بها النوع الذي يؤدى ويمارس في المدن وخاصة منطقة وسط السودان باعتباره بوتقة انصهرت من خلالها كثير من العناصر الموسيقية الممثلة لبعض الأقاليم حيث تم التوصل للأشكال الغنائية في منطقة الوسط نتيجة للهجرات المتعاقبة من الريف إلى المدينة، ومن أبرز هذه النماذج التي أصبحت قالباً شائعاً هو ما يسمى بغناء الحقيبة، وهي أغنيات تدخل ضمن تصنيف الأغنية الشعبية الدارجة، كما ورد أيضاً في مذكرات خبراء الأغنية الشعبية صفوت كمال وأسعد محمد علي وأحمد مرسي وفوزي العنتيل وغيرهم. ولأغنية الحقيبة أسلوب مميز في التأليف، يسير وفق خطط محددة، وهي على النحو التالي:

1. لحن المطلع (A) وهو بسيط سهل الترديد يؤدى بواسطة مجموعة تسمى(شيالين أو كورس) وتنحصر مهمتهم في ترديد لحن المطلع في مواضع محددة وهذه المهمة تساعد المغني كثيرا في الأداء، إذ توفر له

مواضع للراحة واستعداداً لأداء مقاطع جديدة، مع إضفاء نوع من التلوينات التعبيرية المحببة للمستمع.

2. لحن الكوبليهات(B) أو المقاطع التي تلي المطلع وهي تتضمن بعض التغيرات والاضافات، بحيث يظهر المقطع بلحن جديد يرتاد المناطق الحادة التي تتعدى بعد الثامنة حتى بعد العاشرة أحياناً، ثم بعد الانتهاء من أداء لحن الكوبليه الثاني يعود (كورس الشيالين) لترديد لحن المطلع ثم يعاد تطبيق نفس هذه الخطة في بقية القصيدة الكوبليه الثالث والرابع وهكذا إلى انتهاء القصيدة، ونجد هذا الأسلوب في أغلب أغنيات الحقيبة ومثال لذلك أغنيات مثل جوهر صدر المحافل، ياعيني وين تلقي المنام، يا أنة المجروح، وجه القمر، يا من فاح طيب رياه، نسايم الليل، عيون الصيد، حليل زمن الصبا، يا جميل يا مدلل، كمثال أغنية في الفؤاد
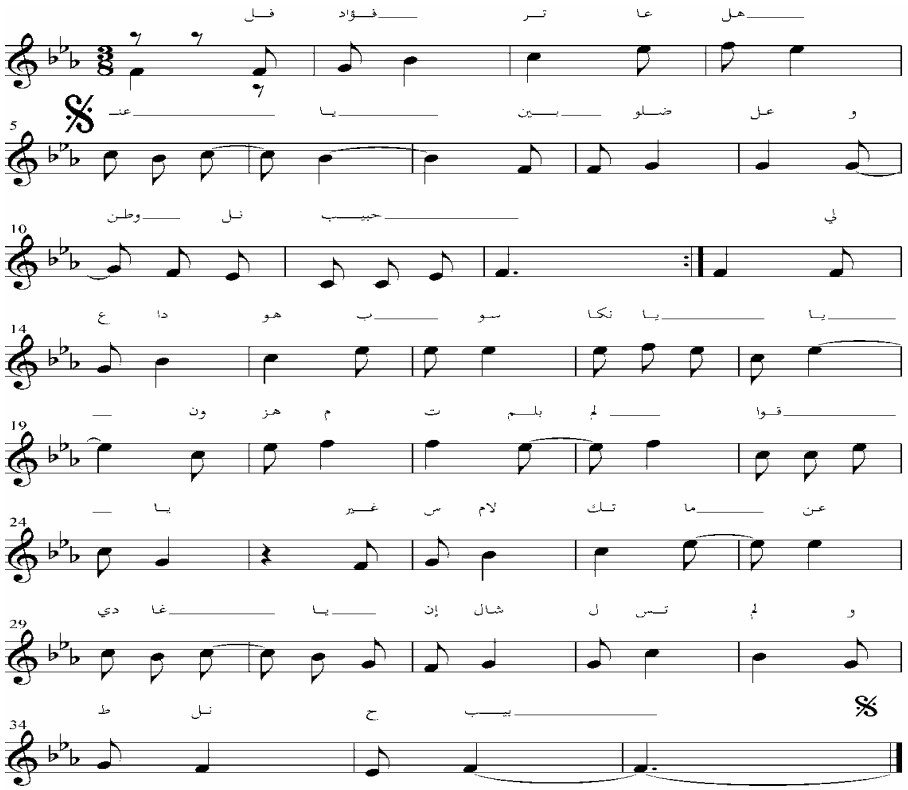
وقد تم أداء بعض الأغنيات بخطة أشبه بالتي تطبق في حالة الغناء الشعبي الفولكلوري وتسير كما يلي:

يكون للمطلع لحناً معيناً يرمز له بالحرف (A) ثم تليه بقية المقاطع وتسير على نفس نهج لحن المطلع ويتم التعاقب هكذا بين المطلع والمقاطع في صيغة تبادلية بين المغني والكورس حتى انتهاء الأغنية. وقد حدثت بعض التغييرات في القالب الغنائي عقب افتتاح الاذاعة السودانية عام 1940م، حيث دخلت بعض الآلات الموسيقية (آدم، مقابلة 1998م)، وقدم بعض الخبراء الأجانب لتدريس الموسيقى، إلى حين ظهور الخبير المصري مصطفى كامل الذي قام بإضافة الكثير من أساليب التأليف والأداء والتنفيذ الموسيقي، حيث نقل بعض التجارب والممارسات الموسيقية في مختلف الجوانب إذا كان بخصوص الآلات الموسيقية أو إضافة بعض الأجزاء الخاصة بالتأليف مثل المقدمة واللازمة والسكتة، بجانب أدوات التعبير المختلفة من همس وتدرج وقوة وخلاف ذلك: *p ff subito p*. لقد كان مصطفى كامل* أستاذ آلة القانون والذي شارك بالعزف عليها في كثير من التسجيلات الأولى للرواد الأوائل أمثال حسن عطية عثمان حسين والكاشف وأحمد المصطفى والتاج مصطفى والعاقب محمد حسن وبرعي محمد دفع الله وغيرهم.

لقد كانت إضافة هذا الخبير نقطة تحول في الكثير من الجوانب الموسيقية والغنائية بجانب الخبير الايطالي أوزوما يسترلي أستاذ الكمان والصوت، فعلى يد هؤلاء تغيرت مفاهيم كثيرة خاصة بالتأليف والعزف والأداء والتعبير.

أما في مجال القالب الغنائي فإن أثر مصطفى كامل قد امتد إلى مرحلة إضافة بعض الأجزاء للخطة العامة للألحان من حيث المقدمة الموسيقية ثم اللحن الأساسي

* مصطفى كامل: خبير مصري الجنسية، متخصص في عزف آلة القانون، قدم إلى السودان ضمن البعثة التعليمية المصرية والتحق للعمل بالإذاعة السودانية منذ عام 1957م، وكان له العديد من الإضافات الفنية في عدة جوانب تنظيمية وتعليمية وإرشادية في مجالات العزف والتأليف والتسجيل وغيره.

الذي يتكرر بخطة معينة، وقد سار على نهجه الكثيرون من المؤلفين (الملحنين) السودانيين في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

عند بداية استخدام الآلات الموسيقية والتعامل مع قواعد ونظريات وخطط الموسيقى العامة فقد كانت القوالب الغنائية أشبه بقالب أغنية الحقيبة، حيث أصبح لحن المقدمة الموسيقية هو لحن المطلع، كما في الأغنيات التالية: يا بهجة حياتي، بجو عايدين، العديلة وأغلب أغنيات إبراهيم الكاشف، أحمد المصطفى، وحسن عطية، أغنية يابهجة حياتي مثال لذلك يا جميل يا مدلل تدوين موسيقي، نموذج رقم (2).
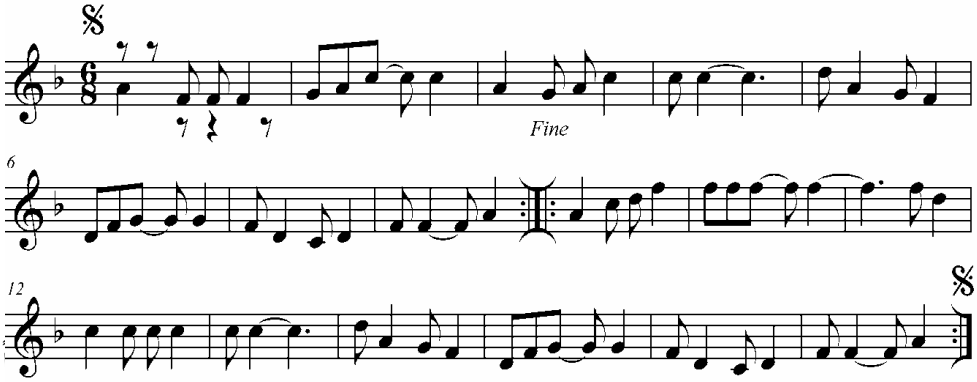
مخصصاً للمقدمة الموسيقية، ثم أيضاً لحناً خاصاً بالمطلع، ثم ألحان الكوبليهات، إضافة للازمات الموسيقية التي تتخلل الكوبليهات قبل العودة إلى اللحن الأساسي، الذي هو في كثير من الحالات أو الأغنيات يختلف لحن المقدمة، وهكذا إلى أن وصلت القوالب الغنائية إلى ما نشهده اليوم في كثير من أغنيات المشاهير أمثال محمد وردي وسيد خليفة وإبراهيم عوض ومحمد الأمين وأبو عركي البخيت وثنائي العاصمة (السني الضوي وإبراهيم حسن أبو دية) وزيدان إبراهيم وخوجلي عثمان وعبد القادر سالم، وهؤلاء كأمثلة للتدليل فقط وليس الحصر، ونختر أنموذجاً لذلك جزءً من المدونة الموسيقية لأغنية رسائل لإبراهيم الكاشف، نموذج رقم (3).
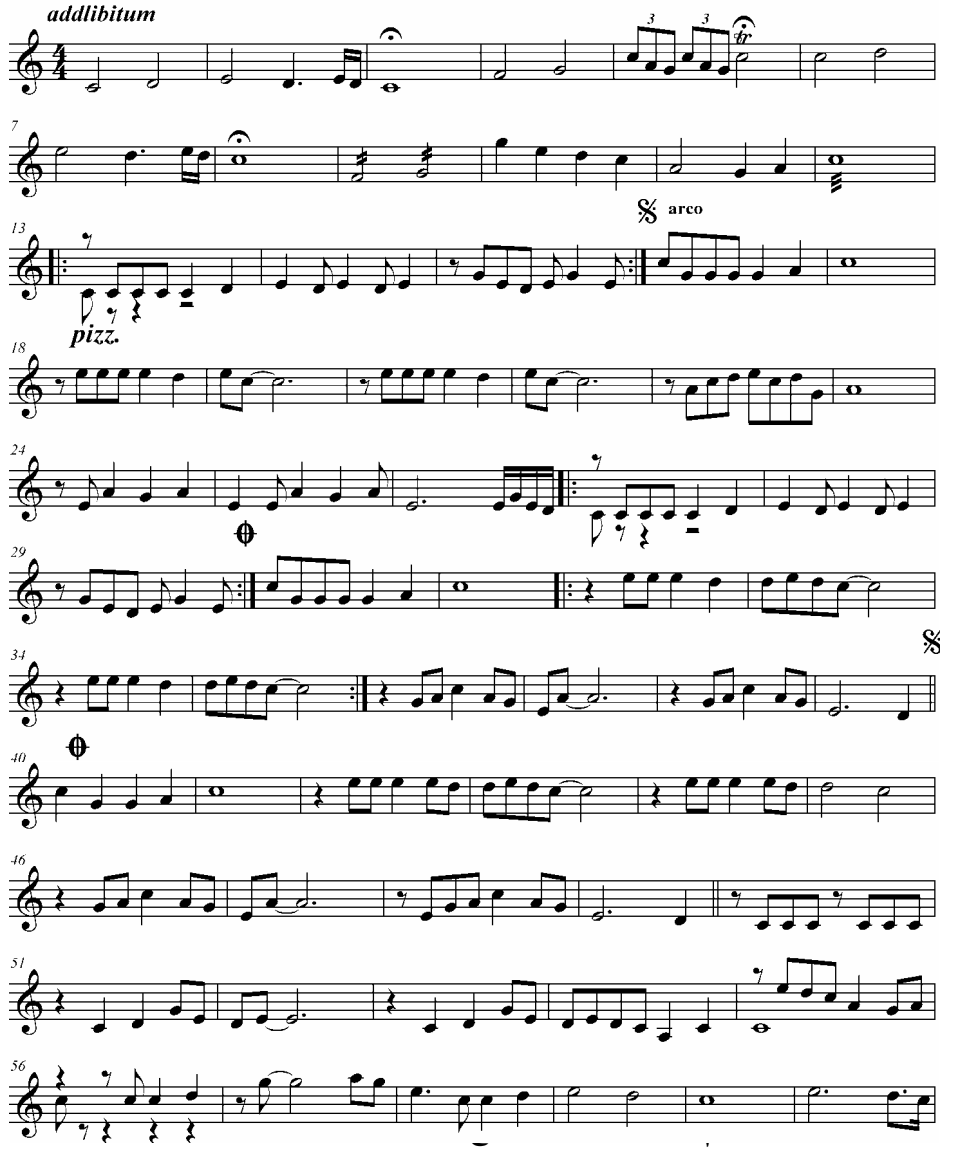
لقد تفاعلت الثقافة الموسيقية في السودان وتداخلت مع مجالات الثقافة الأخرى في كثير من جوانبها وعناصرها، وبرغم ذلك فقد احتفظت بميزات وعناصر وعوامل جعلتها متفردة على مستويات مختلفة، إذا كان ذلك فيما يتعلق بالنشاط الفني التخصصي، أو على المستوى الفكري أو على الصعيد الاجتماعي الذي جاء نتيجة

للتسرب السلمي الذي فرضته دوافع اجتماعية وسياسية بفعل الهجرات العربية، الأمر الذي ساعد في تكييف الثقافة العربية التي حملها العرب معهم إلى السودان حيث تصارعت مع مجموعة الثقافات التي كانت منتشرة في البيئات المحلية، خاصة في النواحي اللغوية والدينية والممارسات الثقافية الشعبية الأخرى، (عبد الرحمن، 1973م، ص23)، والموسيقى أحد العناصر الثقافية المهمة التي لعبت أدواراً مهمة في عدة محاور.

فيما يلي يورد الباحث بعض النقاط المهمة التي تتميز بها الموسيقى، وبالتالي الدور الذي تؤديه في المجتمع:

1. إن للموسيقى خصائص ترتبط بالممارسة الفعلية، قل أن توجد في مجال آخر، فإذا عقدت فعالية احتفالية محددة قوامها الموسيقى والغناء والرقص، فإن التعبير وقتها يكون مكفولا لأي فرد دون النظر إلى سنه أو نوعه أو ديانته وانتمائه.
2. تستطيع الموسيقى مخاطبة الجميع بلغة وجدانية مشتركة، وتهدف إلى إسعاد الإنسان وبالتالي يحاول الموسيقي المجيد تشكيلها وإبراز وجهها الصحيح (بنشار، ماكس، 1973م، ص12)، عليه تكون المضامين والمعاني المستهدفة سهلة الوصول ولا تحتاج إلى وسيط أو مفسر، فما يقال عبر الموسيقى لا يمكن قوله بالحديث العادي.
3. في غالب الأحيان خاصة في المجتمعات التقليدية أو الشعبية، نجد أن المؤدون المشاركون في تنفيذ عمل فني محدد، نجدهم محاطون بالجمهور المتلقي وفي بعض المراحل يكون الجمهور جزء من مكونات عناصر الشراكة في أداء وتنفيذ العمل الفني، وهي دلالة قوية على أن الانسان يمارس الموسيقى بالفطرة.
4. الموسيقى تشتمل على ألق وإشعاع يشيران إلى قوة تأثيرها المباشر وغير المباشر، فعند أداء جزئية موسيقية محددة يكون نتاجها رد فعل طبيعي يترجم في تحريك الأيدي أو الابتسام والاحساس بالراحة النفسية أو التعبير بتحريك الرأس أو الأكتاف، وربما يكون رقصاً متوافقاً مع طبيعة نبضات الإيقاع الذي صيغت على

نسقه الأفكار اللحنية، وبالتالي يكون العرض الفني هو الوعاء الذي تنقل عبره الموسيقى بكافة صورها وأشكالها ومضامينها، فبدون عرض لا تصل الموسيقى إلى المتلقي ويصبح تأثيرها محصور في حيز المؤدي، لذلك فإن دور المؤدي يتكامل مع المتلقي وتظل هي الرابط القاسم المشترك بينهما.

5. تستخدم الموسيقى في كافة دول العالم كعنصر مشترك في حالة استقبال رؤساء الدول من خلال مؤلف معين يسمى السلام الجمهوري أو السلام الوطني، حيث يتم تنفيذ العمل والاستماع إليه بكل تركيز ودقة تامة لأنه يمثل رمز ودلالة وصفة اعتبارية تمثل البلد المعين، ويشترك في أداء السلام الوطني كافة أبناء الوطن، أما عندما يزور رئيس الدولة بلد معينة فإن تلك الدولة تستقبل الرئيس بعزف السلام الجمهوري بواسطة فرقة موسيقية عسكرية، وذلك لمزيد من الدقة والحرص والأمن الخاص بالرئيس الزائر، وفي تلك الحالة يقوم بالغناء مواطنو البلد الموجودين في البلد التي زارها الرئيس، وذلك ما يدل على أهمية الموسيقى المرتبطة بتلك المناسبة المهمة ولذلك سميت بالسلام الجمهوري لإعلاء مفهوم السلام، وليس ذلك فحسب بل تتفاعل الجاليات عند تقديم موسيقى بلادها.
6. للموسيقى دور مهم في توحيد مشاعر الناس خاصة في الأعياد، حيث يتم الترنم بأناشيد محددة يتفق فيها الكبار والصغار أثناء الصلوات والأعياد وغيرها من المناسبات.
7. يتفق الناس على إغاثة المنكوبين عند في نوائب الدهر، مثل حالات السيول والجدب والمجاعات والمرض أو الغرق أو الحريق، فقد تم تأليف ألحان كثيرة لمثل تلك الأغراض، فعلى سبيل المثال أغنية نحن العالم (We Are The World)، أو أغنية الحلم العربي.
8. تستخدم الموسيقى لدى الشعوب للدلالة على مفاهيم معينة كشعار لاتحاد مثل الاتحاد الأوروبي أو الاتحاد الافريقي، أو اتحاد دول الخليج العربي، أو الاتحاد الافريقي الكاريبي الباسيفيكي، وتقدم عند المشاركة باسم البلد في المحافل.

عناصر مهمة لممارسة الموسيقى :

مما تقدم يتضح أن المؤلفات والأعمال الفنية الموسيقية تتقيد بقواعد وأسس محددة في إطارها العام دون الخاص، ذلك أن الإطار الخاص يندرج في الذاتية والشخصية التي تعبر عن الهوية العامة مثل أن يقال ذاك لحن سوري أو لون مصري أو طابع مغربي أو مزاج إفريقي وغير ذلك من التصنيفات العديدة المرتبطة بفنون الموسيقى.

أما الإطار العام فهو ضرورة المعرفة والإلمام بقواعد الموسيقى ونظمها وأدبياتها التي تعنى بمعرفة الموازين والضروب الإيقاعية ومفاهيم الطبوع ومقاييس الدروب الموسيقية العديدة في جوانب التأليف ونوعية المقامات أو السلالم الموسيقية، بجانب تلازم وتناسب الألحان مع المختار من النصوص الشعرية الخاصة بالأغنيات ومضامينها المتنوعة بين العاطفة والوطن والطفولة أو أنواع أشعار ونصوص الأغاني الشعبية التراثية وغيرها، فالشعر يعالج قضايا عديدة، فمنذ القدم لم يتجه إنتاج مبدع النص اشعري لمخاطبة فئة محددة من الناس، كذلك مبدع ومؤلف الموسيقى لا يقصد بإبداعه فئة محددة، وكذا الحال بالنسبة للفنان التشكيلي أو المسرحي أو الراقص، فكل منهم يبدع ويبتكر مؤلفاته مستهدفا الإنسان في كافة مواقعه، وتلك هي إحدى أهم الحقائق الكامنة في علو وعظمة مكانة الفنون ودورها في المجتمع، وهو أمر يحتم على ممارسها التقيد بالأسس الصارمة لإنتاج النافع للمجتمع، وأن يضع نصب عينيه المجتمع هو المستهدف بالانتاج الموسيقي الفني.

إن دلالات على تأثير الموسيقى يكمن في وفرة عدد أنواع المؤلفات الغائية والموسيقية مثل الموشح، الدور، القصيدة، الطقطوقة، الموال*، فالابتكار والإبداع الفني الموسيقي لا يتقيد بقيود أو ضوابط محددة، إنما يخضع لطبيعة وأسلوب المؤلف ونوعيته، اعتمادا على ثقافة ومعارف وخيال المؤلف، لذلك جاءت تلك الأنواع العديدة من المؤلفات التي تطلق عليها المسميات والمفاهيم الخاصة لدى كل مجموعة أو شعب بما يعبر عنه، وهو المبدأ الذي تبنى عليه شخصية البلد المعين حيث تتصف الموسيقى بخصائص تميز البلد

* الموشح والدور، القصيدة، الطقطوقة، الموال هي بعض النماذج من صيغ وقوالب تأليف الموسيقى العربية.

ولا تتداخل مع أي خصائص أخرى، وهو اتجاه يعزز القومية في الموسيقى، حيث يعمل على استقطاب المستمع في الداخل والخارج معا، ويجعل باب الاجتهاد مفتوحا أمام الجميع وعلى أسس موضوعية قائمة على موسيقى الشعب وتراثه (الخولي 1992م، ص13).

لقد تطورت الفنون منذ وجود الإنسان على الأرض ويتم التغيير والتحويل في كل مرحلة أو حقبة زمنية بما يناسب ويلائم لغة تلك الحقبة المحددة، ويجيب على سؤال العصر المعني بكل مقوماته وعناصره ومكوناته ومواصفاته ومتطلباته التي استلاها ووظفها العاملون في مجال الإبداع بكل ألوانه.

إن الموسيقى كعنصر مهم وقوي في إذكاء لغة التفاهم والحوار بين الناس واستقرار وتنمية المجتمع، وفي السودان تستخدم أنواع عديدة من الموسيقى بكل عناصرها ومكوناتها، فهي الأقاليم والأرياف تستخدم في حل بعض مشكلات الاجتماعية مثل الزواج والختان وتدخل في المناسبات الاجتماعية العامة والخاصة، أما في في منطقة وسط السودان حيث المدنية فتستخدم الموسيقى في نفس الأغراض الاجتماعية وأبرز مثال لذلك تفاعل الناس في السودان لموسيقى المارشات العسكرية التي كان أول دخولها السودان مع القوات التركية (غندور 2007م، ص19)، أو الجلالات التي صيغت من منابع مختلفة في الجنوب والغرب والوسط، وعلى الرغم من أن غالبها يقدم في أشكال موسيقية مجردة من الكلمات، أو إذا استخدمت الكلمات فهي تكون بلغة غير اللغة العربية مثل لغة النوبة أو الشلك أو الفونج أو الفور وغيرها، ورغم ذلك فإن التفاعل معها جاء بصورة كبيرة جدا، وهي دلالة تؤكد دور الموسيقى في توحيد مشاعر الناس.

ولعل تناول الموسيقى في السودان بتلك الطرق يمكن توظيفها كعنصر جديد يسهم ويساعد في تذليل بعض الصعاب التي يستعصي حلها بالطرق المعتادة.

مما تقدم تتلخص أهم عناصر ومكونات ممارسة وتقديم الموسيقى في المجتمع السوداني في الضروب والمقامات ومضامين ومعاني الأشعار والقصائد والآلات

التي تستخدم ضمن الأدوات الغنائية، إضافة إلى عوامل التنفيذ التي وتلعب دوراً رئيساً في تنمية وتطوير وتسهيل فهم ممارسة الموسيقى في المجتمع. وتتمثل أبرز نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

1- تستخدم الموسيقى لدى كافة الشعوب لأهميتها وضروراتها الثقافية والاجتماعية، وبالتالي تساعد في استقرار المجتمع.

2- تشيع الموسيقى بين أوساط الأهالي والمواطنين العاديين - غير المتخصصين في الموسيقى - نسبة لما تتميز به من سهولة في الصياغة اللحنية وبساطة في التراكيب الإيقاعية، مما يدل على أهميتها ودورها الذي تؤديه في حياة الانسان.

3- تشيع الموسيقى بين أوساط الأهالي والمواطنين في المدن والأرياف نسبة لبساطة ووضوح وموضوعية الأغراض التي تؤلف من أجلها لأنها ترتبط بموضوعات إنسانية فعلية.

4- يشيع استخدام الموسيقى، خاصة الشعبية منها، بين الأهالي والمواطنين في المدن والأرياف نسبة لبساطة ووضوح المعاني المقصودة، مما يساعد على الحفظ والتلقين والترديد لأكبر مجموعة من الناس.

5- الموسيقى توحد مشاعر الناس ويتضح ذلك من خلال مظاهر الأعياد والمناسبات العامة والخاصة، وبما أن الجماعة ـ خاصة في المجتمعات الشعبية ـ لا تجتمع ولا تتفق إلا على فعل الخير فإن الموسيقى إحدى أعمال الخير التي يهبها الله لمن يشاء من عباده ليساعد بها أخيه الإنسان ارتقاء بوجدانياته وتجميلا لحياته.

الخاتمة:

إن موسيقى كل شعب هي عنوانه، فقد قال الحكيم الصيني كونفشيوس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد: (إذا أردت أن تتعرف في بلد الى نوع إرادته ومبلغ حظه من المدنية فاستمع إلى موسيقاه)، فالموسيقى هي أصدق لغة تستطيع الشعوب على اختلاف ألسنتها وألوانها أن تتخاطب بها دون كلفة ولا تحرج، فهي لغة ليس لها وطن ولا تنتمي الى شخص بعينه، فالإحساس أبوها، والذوق منميها والمشرف

على نضوجها وازدهارها، فتلك مفاهيم سادت عند الإنسان في مختلف مواقعه على الأرض، ونأمل أن تكون الموسيقى في الوطن العربي عامة والموسيقى السودانية خاصة، مواكبة للنهضة التي اكتنفت العالم، و سائرة في الطريق الصحيح، الذي يرجوه لها كل محب للفنون وراغب في أن تسير جنبا الى جنب مع ركب تطور الحياة، ومن ثم يمكن توظيفها لنمو الفرد وتنمية المجتمع.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الرواة

1. محمد الضي آدم 65: عازف كمان، مقابلة شخصية باتحاد الفنانين السودانيين للغناء والموسيقى، مارس 1998م بمكتبه.

مراجع البحث:

2. أحمد علي الحاكم (د.): هوية السودان الثقافية، منظور تاريخي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم 1990 ميلادية.
3. الشاطر بصيلي عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الشريف الأكاديمية للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009 ميلادية.
4. الفاتح الطاهر دياب (بروفيسور): أنا أم درمان تاريخ الموسيقى في السودان، الطبعة الأولى، شركة ماستر التجارية للنشر، الخرطوم 1995 ميلادية.
5. أسعد محمد علي: في أصول الموسيقى الفولكلورية، نقابة الفنانين العراقيين، بغداد، 1974م.
6. جمعة جابر البشاري: الموسيقى السودانية، تاريخ هوية نقد، شركة الفارابي للنشر والأدوات المكتبية المحدودة، الخرطوم 1986 ميلادية.
7. جعفر محمد علي بخيت (د.): الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان (1919 ـ 1939م.)، الطبعة الثانية، المطبوعات العربية للتأليف والنشر، الخرطوم 1987 ميلادية.

8. حسب الله محمد احمد: قصة الحضارة في السودان، دار يوليو للترجمة والنشر، القاهرة 1977 ميلادية.
9. ماكس بنشار: تمهيد للفن الموسيقي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1973 ميلادية.
10. محمد فوزي مصطفى عبد الرحمن: الثقافة العربية وأثرها على تماسك الوحدة الوطنية في السودان، الطبعة الأولى، الدار السودانية، الخرطوم، 1973 ميلادية.
11. عبد الحميد محمد أحمد: الشعر والمجتمع في السودان، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الخرطوم، 1987 ميلادية.
12. عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الخرطوم 1976 ميلادية.
13. خلف الله أحمد غندور: تاريخ الموسيقى العسكرية في السودان، الطبعة الأولى، المطبعة العسكرية، الخرطوم 2007 ميلادية.
14. سميحة الخولي: القومية في موسيقى القرن العشرين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992 ميلادية.
15. فؤاد إبراهيم زكريا: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، 1966 ميلادية.

قائمة نماذج البحث

رقم النموذج	عنوان النموذج	رقم الصفحة
	المقدمة الموسيقية لأغنية في الفؤاد ترعاه العناية	8
	المقدمة الموسيقية لأغنية يا جميل يا مدلل	10
	المقدمة الموسيقية لأغنية رسائل	11

ملاحق البحث

رقم الملحق	عنوان الملـــحق
	ألات الطنبور
	آلة الكوندي
	آلة كروبي
	آلة أم كيكي
	آلة بانمبو
	آلة وازا
	زمبارة
	آلة مثلث
	آلة الطار
	آلة قوقو
	آلة قوقو أثناء العزف.
	آلة طبلة
	دنقر
	نقارة
	آلة دلوكة
	آلة شتم

ملاحق البحث

ملحق رقم (1) آلات الطنبور

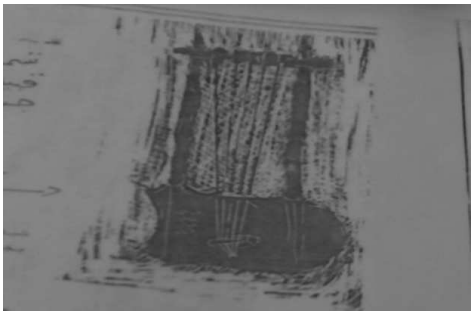

ملحق رقم (1- أ) آلة الطمبور

ملحق رقم (1- ب) ابنقرنق النيل الأزرق

ملحق رقم (1- ج) طمبور شرق السودان.

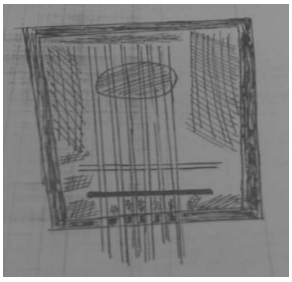

ملحق رقم (1- د) توم قبائل الشلك.

ملحق رقم (2) شكل آية الكوندي

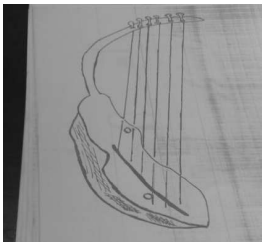

ملحق رقم(2) آلة الكوندي أثناء العزف

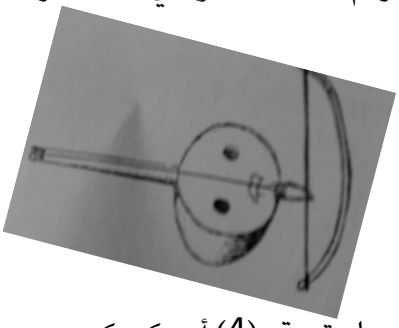

ملحق رقم (3) آلة كروبي

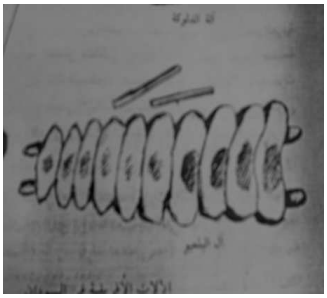

ملحق رقم (4) أم كيكي

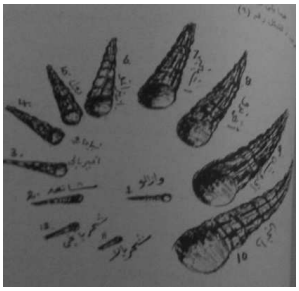

ملحق رقم (5) بانمبو

ملحق رقم (6) آلات الوازا

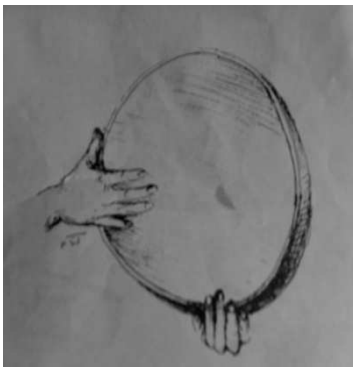

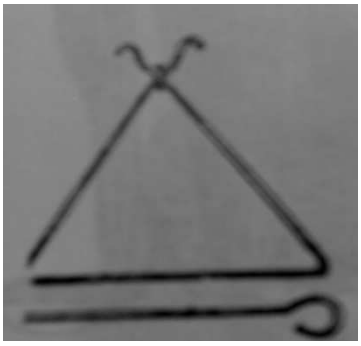

ملحق رقم (8) آلة المثلث

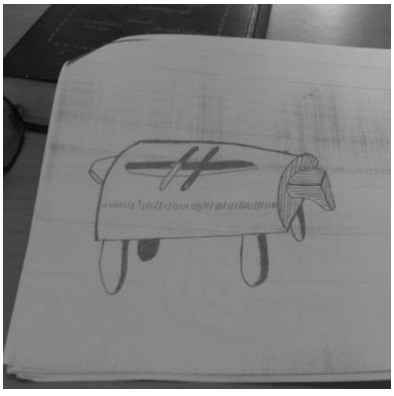

ملحق رقم (9) آلة الطار

ملحق رقم (10) شكل آلة قوقو

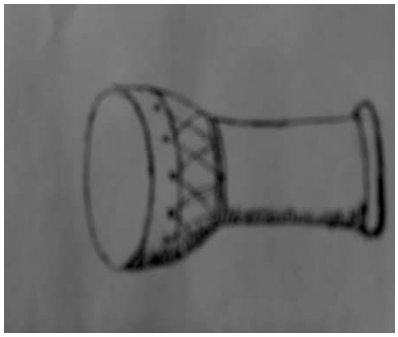

ملحق رقم (11) آلة قوقو أثناء العزف

ملحق رقم (12) آلة الطبلة

ملحق رقم (13) آلة الدنقر

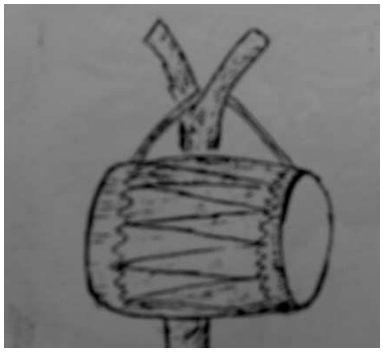

ملحق رقم(14) آلة نقارة

ملحق رقم (15) آلة الدلوكة

ملحق رقم (16) آلة الشتم

المؤسسات العلمية- الجامعية ودورها في ادارة المصادر الآثارية في السودان

حنان هجو الشيخ عبدالرحمن

محاضر جامعة بحري- كلية الآداب- قسم الآثار

ماهية المصادر الآثارية:

المصادر الآثارية هي الموروث الثقافي من المعطيات الهامة التى يتحدث عن تاريخ البشرية الغابر، وعن الاسلاف ونمط حياتهم وتفكيرهم ومدى براعاتهم، والذي يمكن التوصل اليها من خلال المخلفات المادية، خاصة المواقع والصروح، وذلك عن طريق دراستها وتحليل محتوياتها للتوصل الى ما كان علية الحال قديما.

نشأة ومفهوم إدارة المصادر الثقافية:

مؤكداً أن التطور السريع للعلم له أفضاله على حماية البشرية في جميع مجالاتها إلاً أن لهذا التطور أيضا سلبياته على التراث الإنساني وآثار حضارته القديمة مثل حدوث التغيير الكبير في أنماط المعيشة ووسائلها، بالرغم من أن هذا التطور قد أدى إلى إلحاق التشويه بما هو أثري إلاّ أن الاثاريين لم يرفضوا الأخذ بالوسائل الحديثة والدليل على ذلك توظيف العلم الحديث في خدمة التراث وصيانته حيث يعتمد الترميم والصيانة على العديد من العلوم الحديثة مثل علم الكيمياء ، الجغرافيا ، الهندسة والطب وغيرها، إذاً الاثاريين لا يرفضون الوسائل الحديثة بل يسعون للتطبيق المناسب منها حتى تكون هنالك موازنة بين الحديث والقديم.

بدأت إدارة التراث الثقافي في شكل قوانين وتشريعات صدرت عن عدد من الدول بغرض حماية مواقع داخل أراضيها، ومن أمثلة ذلك في السويد صدر إعلان ملكى في 1866م يقرر بان كل التحف والأثريات القديمة تعد من أملاك التاج الملكي ، كما صدر قانون في ايطاليا في مطلع القرن التاسع عشر بغرض حماية بعض المدن التي آلت إلى الهلاك، وفي 1863م انتبهت بريطانيا إلى الاهتمام بتراثها وكذلك في الدنمارك في 1873م ثم بعد ذلك أصدرت الولايات المتحدة قانون للآثار في 1906م (Fagan:1988:546) حيث دلت التجارب على أن إدارة التراث الثقافي نشأت نتيجة للمشاريع التي تقدمت بها السلطات الفدرالية حيث أنها مشاريع متطورة قانونياً لدراسة

المصادر البيئية والثقافية والتاريخية وتدرج الأمر إلى أن ظهر مصطلح إدارة المصادر الثقافية (Culture Resources Management)(C R M) لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية في 1972م وذلك للحاجة الفعلية لإدارة الموروث الثقافي بصورة علمية من أجل حمايته والحفاظ عليه، واتفق أن تشمل المصادر الثقافية كل الإرث الحضاري الأثري والفولكلور، كما اتفق على أن التراث الثقافي هو كل مادة ذات قيمة آثارية وتاريخية وفنية سواء كانت منقولة أو ثابتة تعبر وتبرز إبداعات الإنسان عبر المسيرة البشرية (Fagan:1988:544). وحديثاً أصبحت أقسام الآثار في الجامعات تساهم في هذه الحماية.

بالنظر لما سبق نجد أن إدارة التراث الثقافي تهدف إلى ربط المجتمع بالتراث وذلك لتحقيق فوائد علمية وثقافية وسياسية واقتصادية وغيرها، وللوصول لذلك يجب أن تلعب برامج إدارة التراث الثقافي دوراً فاعلاً في هذه المجالات. وبما أن التراث الثقافي ملك لكل البشرية فان مستويات إدارته يجب أن تتدرج على حسب حجم البشرية ابتداء من اصغر وحدة حتى أعلى مستوى للبشرية ويأتي ترتيب هذه المستويات على النحو التالي:

- المستوى المحلي وهو أضيق المستويات ويكون خاص بموقع بعينه مهما صغر حجم هذا الموقع، ثم يأتي المستوى الولائي حيث تتعدد المواقع مع مراعاة أن لكل موقع ظروفه الخاصة ومميزاته التي لا تشبه غيره.
- المستوى الدولي حيث يجب أن لا تتعارض تشريعات أي دولة من الدول مع التشريعات المتفق عليها عالمياً.
- المستوى القاري حيث تختلف كل قارة عن الأخرى في درجة الوعي ودرجة التطور التقني، فمثلا يوجد فرق كبير جداً في التطور التقني والوعي ما بين قارتي إفريقيا وأمريكا الشمالية، ومن هنا نخرج بأن القوانين والتشريعات لمثل تلك القارتين لابد أن تكون مختلفة بما يناسب كل قارة، كما نجد إن القارة نفسها تنقسم إلى أقسام في شكل لجان فمثلاً إفريقيا تنقسم إلى شرق إفريقيا ووسط

إفريقيا وشمال إفريقيا وهكذا إلاّ أنها تعمل بتشريعات موحدة عن طريق لجان إقليمية مختصة.

- أخيراً يأتي المستوى العالمي والذي يتم فيه وضع الخطوط العريضة للتشريعات التي يجب على كل الدول الالتزام بها وتدخل في هذا المستوى المنظمات الدولية مثل اليونسكو .

إدارة المصادر الآثارية: التاريخ والحاضر

إدارة المصادر الآثارية في العالم:

تعترف أكثر أمم العالم الآن بأنه من واجب الحكومات والسياسات أن يكون هنالك اهتمام فيما يتعلق بالمصادر الطبيعية والبقايا الآثارية ومن هذا المنطلق نجد إن معظم الأمم قد أصدرت بعض التشريعات لحماية تراثها، كما أنشأت المنظمات لحماية هذا التراث مهما كان حجم الضرر أو الدمار كبيراً حيث أنه في هذه الحالة يكون تنقيب الموقع جزئياً أو تسجيله قبل أن يختفي للأبد (Renfrew: 1996 : 521).

نموذج لبعض الدول في إدارة المصادر الآثارية:

أ) الولايات المتحدة الأمريكية مثلا نجدها قد طبقت قانون حماية المصادر الآثارية على المصادر الحكومية والمصادر الخاصة التي تكون ممولة من قبل الحكومة على السواء وبنفس القدر من الاهتمام. تطوّر أكثر المشاريع في الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلتين اولاً مسح الأرض المتأثرة بالمشروع وتقييم التأثر والدمار الذي يصيبها وثانيا وضع خطوات معينة ومحاولة البحث والإجابة عنها مثل هل يمكن للمشروع أن يخطط أو يعدل؟ وأي عمل إنقاذي يجب أن ينفذ ؟ وخير مثال لذلك مشروع ممر تينسي المائي وعن طريق المسح كشف عن 682 موقع وبعد الدراسة توصلوا إلى أن 27 موقع سيؤثر عليها الممر المائي تماماً، و17 موقع تتوفر لديها إمكانية بحث جديدة، و24 موقع تتوفر لها معلومات وبيانات شاملة، كما أن هنالك 12 موقع يمكن أن تبقى كما هي إذا عدل برنامج البناء قليلاً.

ب) يرجع تاريخ إدارة المصادر الثقافية في ألمانيا إلى بداية القرن التاسع عشر، فمنذ نهاية القرن الثامن عشر بدأ علماء التاريخ الالتفات إلى مهددات مواقع التراث

الأثرى باعتبارها المصدر الاساسى لكتابة التاريخ ، ومع بداية القرن التاسع عشر بدأ إصدار القوانين والتشريعات، ففي 1808م أصدر قانون منع الاتجار في الآثار، ،وفى 1828م أصدر قانون حماية الآثار ومنع إجراء التنقيب بطرق غير شرعية.

وقد صدر أول قانون لحماية وصون الآثار في 1902 م ويسمى (The concerning of monuments protection 1902) وتبع ذلك إصدار العديد من التشريعات والقوانين في الأعوام (1911، 1920، 1921، 1929، 1934) وذلك يدل على أهمية التراث الثقافي للشعب الالمانى.

بعد الحرب العالمية الثانية ونتيجة للتدهور الذي لحق بمواقع التراث الاثرى فقد أصدر قانونا لحماية وصون الآثار في 1949م وعرف باسم " Monuments Protection Act 1949" وقد تبع هذا القانون إصدار عدد من القوانين القومية لحماية وصون التراث الاثرى في الأعوام (1955، 1980، 1983، 1993)

ج) كما وضعت استراليا قوانين لحماية كل التراث الأولى ما قبل 200عام الموجود في أراضيها المتمثل في البقايا الأثرية والمادية. وتسمى إدارة المصادر الآثارية في استراليا باللجنة الاسترالية للتراث والتي تم إنشاءها في عام 1976م ووضعت التشريعات لحماية المقومات الثقافية والبيئة الطبيعية وأولى الخطوات كانت تسجيل العقارات القومية ونشر الكشوفات، وفي عام 1981م تم تسجيل 6600 موقع من المواقع الأثرية المهمة وحمايتها من تطوير المشاريع الجديدة، إضافة إلى تعريف وتوثيق المواقع وتأسيس الخلفية الثقافية لاستراليا.(المصدر السابق نفسه: 524).

د) بأخذ نيجيريا كمثال لإدارة المصادر الثقافية في أفريقيا، فقد تأخر الاهتمام بإدارة المصادر الثقافية في أفريقيا نسبة لعدم وجود التوعية بأهمية التراث الاثرى ودوره في تنمية وازدهار ثقافة الشعوب الأفريقية ذات الحضارات الضاربة بجذورها في التاريخ الإنساني .

في نيجيريا يعود تاريخ إدارة المصادر الثقافية إلى عشرينات القرن العشرين ، وقد صدر أول قانون لحماية التراث الاثرى في 1939م إلا انه لم يعتمد رسميا من قبل الدولة نسبة لظروف الحرب العالمية الثانية ، ثم صدر قانون الآثار للعام 1953م وتم إنشاء مصلحة الآثار الوطنية وقد عرف هذا القانون الأثر "بالإعمال الفنية ذات الجذور الوطنية والتي يرجع تاريخها إلى ما قبل 1918م" .ثم صدر في 1957م قانون "نظم تصدير الآثار" " Antiquity Export Regulations"، كما صدر" قانون الآثار لعام 1974م" والذي اهتم ببيع وشراء الآثار عن طريق وكلاء معتمدين دون الاهتمام بحمايتها وصونها مما أدى إلى تدميرها.

برجوع نيجيريا للحكم المدني في 1979م تم الانتباه للتراث الاثرى كشاهد لتوثيق التاريخ الثقافي للشعب النيجيري فأصدر قانون 1979م وتم إنشاء اللجنة القومية للآثار والمتاحف "The National Commission For Museums and Monument "

هـ) يمكن أخذ المملكة العربية السعودية كمثال للدول العربية، فنجد إدراكا من الدولة لأهمية الآثار فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم 727 في 1964م بالموافقة من حيث المبدأ على إيجاد دائرة للآثار ترتبط بوزارة المعارف، وفي 1973م صدر المرسوم الملكي بالموافقة على تشكيل المجلس الأعلى للآثار لرسم الخطوط العريضة للإدارة والإشراف.

رغم الجهود التي تبنتها المملكة متمثلة في وزارة المعارف إضافة إلى إدارة الآثار، إلا أن النظام الإداري للآثار لم يوضح الجوانب المالية كما إن مشاريع الآثار من مسح وتسجيل وتوثيق وترميم وغيرها مرهونة بتوافر المال حيث انه لم يكن هنالك بند مالي مخصص للآثار منفصل عن باقي شئون الدولة الأخرى، إضافة إلى إن مشاريع الآثار في المملكة ارتبطت بموافقة مجلس الوزراء بناء على توجيه من المجلس الأعلى للآثار مما يؤدي إلى تأخير الإجراءات في الوقت الذي تتعرض فيه الآثار للتخريب والتدمير والنهب.

وقد تنبهت الوزارة إلى العقبات التي تعترض تطوير الآثار فوضعت بعض الحلول المبدئية وأهمها ما يلي:

- تخصيص بند دائم لأعمال ومشاريع الآثار على أن تكون الصورة مرهونة بالميزانية السنوية.
- إعادة النظر في نظام الآثار ليتناسب مع تطلعات الدولة في الآثار.
- أتاحت الوزارة فرصة لمنسوبي وكالة الآثار للمشاركة في المؤتمرات العلمية على الصعيد الدولي والقاري. كذلك أتاحت فرصة للأبحاث والتدريب.
- إنشاء ما يسمى بالهيئة الوطنية للآثار والمتاحف.

إدارة المصادر الآثارية في السودان

يعتبر السودان من الدول الغنية بثروات آثارية ضخمة حيث تقف مواقع التراث الأثرى المنتشرة فى معظم مدنه شاهدا على تواصله الحضارى بدء بعصور ماقبل التاريخ وحتى الديانات السماوية، وستبقى الحضارات السودانية بتراثها الأثرى المتمثل فى معابدها واهراماتها وقصورها ومدنها وتحصيناتها واديرتها وكنائسها ومساجدها وخلاويها رمزا للهوية السودانية. ويجب العمل على حماية وصون هذا التراث الأثرى من الضياع والدمار حتى يظل رمزا وطنيا وقوة كامنة يمكن أن تلعب دورا فعالا فى بناء الأمة وتوحدها وتشكيل هويتها الثقافية والوطنية.

تاريخ إدارة المصادر الآثارية فى السودان:

كانت البداية للاهتمام بالتراث الأثرى فى السودان مع بداية الحكم الثنائى فى 1898م ، أما قبل ذلك ففى كل من العهد التركى (1821- 1881) وفترة المهدية (1885- 1898) بالنسبة للإنسان تعتبر عبارة عن مباني قديمة مهجورة ومكمن للشياطين يجب الابتعاد عنها، ونتيجة لتلك الأفكار تركت هذه الآثار ولم يحاول الاقتراب منها .

أما نظرة السلطة الحاكمة لمواقع التراث ، فالعهد التركى تميز باهمال هذه الأماكن وتركها للمغامرين والباحثين عن الكنوز يسرقون مقتنياتها ،ففى عهد خورشيد(1826- 1839) قام الايطالى فرلينى فى 1834 بتدمير جزء كبير من اهرامات البجراوية بحثا عن الكنوز، وقد ظل التراث السودانى على ذلك الاهمال والتخريب لفترات طويلة.

لم يقتصر التدمير على الافراد فحسب بل ساهم فى ذلك المسئولين أيضا حيث استعمل خورشيد باشا طوب موقع سوبا لبناء الخرطوم، كما قام عبد اللطيف عبد الله باشا (1850- 1852) ببناء قصره (القصر الجمهوري الحالي) من طوب الآثار المسيحية بأبى حراز (Stevenson:1966:10) .

كذلك الأمر فى الفترة المهدية حيث نجد أن الخليفة عبد الله التعايشى قد قام ببناء بيته(الآن متحف بيت الخليفة) من طوب موقع سوبا.

ومع بداية الحكم الثنائى بداء الاهتمام بماهية الآثار حيث وصف نعوم شقير الذى رافق حملة كتشنر آثار وادى حلفا وذكر وجود اطلال لمدينة قديمة بمدينة فرس.(نعوم شقير:1972: 94) . وفى 1902م بدأ العمل الأثرى بالفحص الذى قام به بدج.

ثم أصبح الحاكم العام الأنجليزى مسئول عن الآثار حتى صدور قانون الآثار 1905م والذى نظم ادارة التراث الأثرى بتعيين محافظا انجليزى للآثار يتبع لادارة التربية والتعليم يتولى مسئولية الأشراف على جميع مواقع التراث الأثرى. (نجم الدين:بدون تاريخ:6) وبهذا بدأت تتغير نظرة الدولة للآثار بأنها تراث انسانى يجب المحافظة عليه،كما تغيرت نظرة الأفراد وبدأت ازالة التفسيرات الخرافية وادراك اهميتها العلمية.

أيضا عمل بدج (Budge) فى 1905 على جمع مادة أثرية لمتحف الخرطوم (بكر:1971: 11)،كما قام جارستانج (Garstang) فى الفترة ما بين 1904- 1914م بعمل حفريات بالبجراوية وأصدر تقارير وكتاب عن مروى (المصدر السابق:11) ،وفى 1906 قام جيمس هنرى (Jams Henry) بجمع وتصوير وأخذ معلومات عن المواقع الأثرية من الشمال حتى سوبا، أما كروفوت (Crowfoot) فأجرى حفريات تجريبية فى البعصة فى 1907 وأصدر تقرير بذلك.(شتيك:1955: 1).

ثم تطور أمر إدارة التراث الأثرى فى السودان بانشاء مصلحة الآثار السودانية فى1938 وتعيين أ. ج. أركل (Arkell) أول مدير لها، وفى 1939 ألحقت مصلحة

الآثار بوزارة المعارف. ثم عدل قانون 1905 بقانون 1952م لتوفير رعاية وحماية أكثر للتراث الأثرى. وتم تعيين بيتر شينى (P.L.Shinnie) مديرا لمصلحة الآثار بادارة قائمة بذاتها تتبع مباشرة لوزارة التربية والتعليم، وتخلى شينى عن منصبه فى 1955م

نسبة لقرار لجنة السودنة الذى يشير لتعيين اجنبى من دولة محايدة فى حالة عدم وجود سودانى له الكفاءة لملء هذا المنصب ،فتم تعيين الفرنسى جان فيركوتير (J.Vercouter) مديرا للمصلحة.

بدأ السودانيون يأهلون أنفسهم فى هذا المجال حتى 1960م حيث الأستقلال الثقافى الحقيقى للبلاد بتعيين السيد ثابت حسن ثابت كأول مدير سودانى لمصلحة الآثار السودانية، وبه بدأت روح الثقافة الوطنية تدب فى اوصال الوطن وادارته الثقافية. وفى 1969م تم تعيين نجم الدين محمد شريف مديرا للمصلحة، وفى 1971م ألحقت مصلحة الآثار بوزارة التعليم العالى، أما فى 1974م ألحقت المصلحة بوزارة الثقافة، فى 1988عين أسامة عبدالرحمن النور مديراً وفى اواخر 1988- 1989 عين خضر آدم عيسى مديرا ثم أسامة عبد الرحمن النور مرة أخرى حتى 1990 حيث خلفه أحمد محمد على حاكم لإدارة المصلحة ثم حسن حسين والذى مازال موجوداً حتى الآن، وقد شهد عام 1992 تحويل مسمى مصلحة الآثار السودانية الى الهيئة القومية للآثار والمتاحف ، وبنهاية القرن العشرين أضيفت الهيئة لوزارة السياحة والتراث القومى وصدر قانون حماية الآثار لعام 1999م، ومع مطلع القرن الحالى أصبحت الهيئة تتبع لوزارة الثقافة والشباب والرياضة.

دور الهيئة القومية للآثار المتاحف في ادارة المصادر الآثارية:

باعتبار الهيئة هى الجهة المنوط بها الكشف عن الآثار وصونها وحمايتها وعرضها، لآبد لها من القيام بالعديد من المهام التى يمكن ذكر بعضها فيما يلى:

1. الحفاظ على جميع الآثار المنقولة والثابتة وصيانتها بأحدث الوسائل العلمية للصيانة.
2. القيام بأعمال الكشف والتنقيب الآثارى فى كافة السودان.
3. نشر كافة النتائج العلمية التى يتوصل لها البحث الأثرى.

4. إمداد المتاحف بالآثار المنقولة بعد دراستها وتصنيفها وتوثيقها بغرض العرض المتحفي.
5. التوسع فى انشاء المتاحف الآثارية والتاريخية والأثنوغرافية الإقليمية.
6. الاهتمام بتطوير المواقع الآثارية وتجميلها لتصبح بمثابة مواقع سياحية.
7. تقديم المساعدات للباحثين والدارسين بتسهيل مهامهم بالحصول على ما يحتاجونه من معلومات.
8. إصدار التراخيص للتنقيب عن الآثار وتجديدها وفق شروط القانون الآثاري.
9. متابعة اعمال البعثات الأجنبية وأبحاثها ونشراتها العلمية.
10. تدريب العاملين بالداخل والخارج.

نجد أن نظم الحكم والتشريعات القانونية فى السودان هى التى تحدد طبيعة نظام ادارة التراث الثقافى فيه، فالنظام الفدرالي فى السودان يتيح قدرا من الذاتية للولايات فى ادارة شئون تراثها الثقافى، الا أنه يجب التنسيق بين الادارات الولائية والهيئة القومية للآثار والمتاحف باعتبارها الجهة المركزية للادارة من اجل تفادى التضارب فى القوانين والصلاحيات وحتى لا ينعكس ذلك سلبا على التراث الأثرى. كما تفتقر ادارة التراث الأثرى لوجود ادارة قائمة بذاتها تختص بادارة التراث الثقافى بها متخصصون فى هذا المجال حيث يؤدى ذلك الى رفع مستوى الأداء عند تنفيذ خطط الحماية والصيانة وغيرها وذلك بمواكبة تطورات التشريعات والقوانين الأقليمية والدولية فى مجال ادارة التراث الأثرى.

دور الجامعات فى إدارة المصادر الأثارية:

تقوم أقسام الآثار بالجامعات المختلفة بمهمة تعليمية تدريبية لتعليم علوم الآثار والعلوم المرتبطة بها .ويعتبر قسم الآثار بجامعة الخرطوم والذى تأسس منذ عام 1963م هو الأول من نوعه فى السودان والثانى فى أفريقيا جنوب الصحراء بعد نيروبى، وحتى الآن خرج هذا القسم "32" دفعة وقد تراكمت خبراته عبر هذا الطريق فى ترسيخ المصدر الثقافى والآثارى للطلاب، وبهذا يعتبر قسم الآثار بجامعة الخرطوم هو الرائد فى مجال إدارة المصادر الثقافية عامةً والآثارية خاصةً.

دعا قسم الآثار بجامعة الخرطوم الى مؤتمر الحضارات الأفريقية عام 1999م،وفى هذا المؤتمر صدرت توصية مباشرة من مدير الجامعة تشير لأن الجامعة تضيف الى اعباءها ومهامها المحافظة على الآثار وترميمها وصيانتها، وأن تشارك الجامعة (متمثلة فى قسم الآثار) الهيئة القومية للآثار والمتاحف (الجهة الحكومية) فى أداء هذا العمل لأن طبيعة الأدارة الحكومية للآثار وطبيعة ميزانيتها المهيئة لها لا تساعد الهيئة فى أداء مهامها من حماية وصيانة وترميم،حيث أن معظم اعتمادها على المال والخبرة الأجنبية للقيام بمهامها.

السؤال الذى يطرح نفسه: ما هى المساهمات المباشرة التى تستطيع أقسام الآثار تقديمها لادارة المصادر الآثارية،بجانب تعريف هذه المصادر علميا واكاديميا وميدانيا ومعمليا؟ وما هى آليات الجامعات لتنفيذ هذه المساهمات؟

نجد اهم ما يمكن أن تقدمه الجامعات هو المساهمة فى اعمال الترميم، الصيانة، التنقيب والمحافظة، وآلياتها لذلك تكون على مستويين:

أولا :الآثار المنقولة والتى يمكن أن تبنى لها الجامعات متاحف تعليمية وتدريبية حيث يتعلم الطلاب كيفية التعامل مع المادة الأثرية فى المعمل ، وذلك يختلف عن التعامل مع هذه المادة فى الحقل والذى تجرى به بعض التحوطات على المواد وخاصة المواد الهشة ، وأيضا يتم توثيق المادة فى محيطها الأصلى حتى نستطيع دراستها لاحقا، وهذه المادة تذهب للمتاحف للتخزين أو العرض بعد أجراء اللازم لها ، وفى حالة تدريب الطلاب على المادة التى يضرها التداول يجب عمل بعض التحوطات أما بعمل نماذج للمادة أو التدريب عليها دون لمسها.

ثانيا :الآثار الثابتة ويأتى دور الجامعات هنا من خلال العمل الميدانى حيث تتم دراسة الأثر الثابت وتحديد وظيفته الكلية تفسير أجزاءه المختلفة،ثم دراسة المهددات حول الموقع من طبيعية وبشرية وادارية واقتراح الحلول لها ،وتحديد الأجزاء التى تحتاج للترميم والصيانة. ومن أمثلة ذلك قيام قسم الآثار بجامعة الخرطوم فى ديسمبر 2006م بترميم قبة أبو فاطمة فى اطار مشروع المسح الأثارى لمنطقة المحس.

الدساتير والقوانين الحامية للمواقع الآثارية

1- دساتير السودان السابقة:

أولاً: دستور 1958م لم يرد بهذا الدستور نصاً صريحاً بخصوص التراث الثقافي أو الآثاري ووجوب حمايته أو كيفية التعامل معه. (اللجنة القومية للدستور: 5/1/1).

ثانياً: دستور 1964م المؤقت أيضاً لم يرد به نصاً صريحاً بشأن التراث الآثاري. (اللجنة القومية للدستور 9/2/1).

ثالثاً: دستور 1968م في الباب السابع الفصل الأول المادة "أ" سلطة التشريع لمجالس الأقاليم حيث يكون لمجلس الإقليم التشريع في الإدارة الإقليمية والمحلية في إقامة المعارض والتنقيب عن الآثار دون المساس بحق السلطات القومية في ذلك المجال. (اللجنة القومية للدستور: 17/4/1).

رابعاً: الدستور الدائم لجمهورية السودان الديمقراطية 1973م في باب المقومات الأساسية للمجتمع السوداني في المادة "25" من إحدى المقومات تعتني الدولة بالتراث الوطني وتعمل على رعاية ونشر الثقافة والأدب والفنون.

خامساً: دستور 1985م وهو دستور انتقالي فى شكل وثيقة يحكم بها السودان حتى وضع الدستور الدائم، ولم يرد به نصاً صريحاً عن التراث الآثاري، إنما ورد به استمرار القوانين القائمة والمعمول بها قبل العمل بهذا الدستور مباشرة ما لم تلغى او تعدل بواسطة السلطة المختصة. أي استمرار ما جاء في دستور 1973م بشأن التراث الآثاري. (النائب العام – التشريع).

سادساً: دستور جمهورية السودان 1419هـ - 1998م في المادة "17" في بند السياسة الخارجية حيث تنص على "العمل بعزة واستقلال وانفتاح وتفاعل من أجل بلوغ المصالح العليا" ومن هذه المصالح حوار الحضارات. وفي المادة "27" حرمة المجموعات الثقافية حيث "يكفل لأي طائفة حقها في المحافظة على ثقافتها الخاصة". وفي المادة "110" "تمارس الأجهزة الاتحادية السلطة تخطيطاً

وتشريعاً وإنقاذاً في عدد من الشئون" من بينها الآثار والمتاحف الأثرية. (الهيئة القضائية - "ملحق نمرة 1").

سابعاً: الدستور الانتقالي 2005م في المادة "13" في الفصل الثاني من الباب الأول حيث "تشجيع الدولة على ازدهار الثقافات وتحمى التراث السوداني والآثار والأماكن ذات الأهمية القومية أو التاريخية أو الدينية". وفي المادة "17" من نفس الفصل "تشجع الدولة على حوار الحضارات". في الفصل الرابع في المادة "190" "يجب الاستقلال الأمثل للبترول بوصفه مصدراً طبيعياً غير متجدد بما يتفق مع السياسات القومية للبيئة، وأسس المحافظة على التنوع الحيوي ومبادئ حماية التراث الثقافي". (دليل القوانين السودانية – 2007م).

2- قوانين الآثار:

أول قانون صدر بشأن التراث الآثارى في فترة الحكم الثنائي للبلاد في سنة 1905م، ثم صدر قانون آخر في نهاية عهد المستعمر في سنة 1952م، وما أن نالت البلاد استقلالها حتى تم تعديل هذا القانون في سنة 1959م، ثم عدل ثانية في 1992م وأخيراً صدر قانون حماية الآثار لسنة 1999م وهو القانون الثابت حتى الآن.

العقوبات فى القوانين الثلاثة:

العقوبة في قانون 1905م

نص العقوبة: أي شخص يقوم بتدمير أي أثر ثابت متعمداً أو يقوم بأي فعل يؤدي إلى ضرر الأثر أو يغير من طبيعته يعاقب بالسجن لمدة لا تتعدى سنة أو بالغرامة أو العقوبتين معاً.

وضع هذا القانون في فترة الاستعمار أي إن الذين وضعوه ليست أهل السودان أو أصحاب هذا الإرث الذي يسعون إلى حمايته وبالتالي لا تكون لديهم غيرة وطنية لحماية إرث غيرهم.

هذه العقوبة غير رادعة لحماية الإرث الحضاري إذ أنه أقصى درجة لها لا تتعدى السنة سجن، فكيف يكون ذلك إذا ألحق الضرر بموقع أثري كامل؟ فهل يكفي

السجن لعام كعقاب لفقد موقع آثري بأكمله أو تشويه معالمه الهامة؟ مع ملاحظة عدم وجود وعي آثري في تلك الفترة وهذا يعني أن مقدار الضرر الواقع على الإرث الحضاري كبير جداً فمن المفترض أن تكون العقوبة أقصى من ذلك حتى تمنع هؤلاء من العبث بالمواقع. فهل السجن لعام تعويض عن ضياع حلقة كاملة من سلسلة التاريخ الحضاري؟

العقوبة في قانون 1952م:

العقاب في حالة إلحاق الضرر أو التدمير بالآثار أو المواقع التاريخية:

تنص المادة على:

يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة أو بالغرامة لا تزيد عن عشرين جنيهاً سودانياً أو بالعقوبتين معاً كل من تعمد إلحاق ضرر أو تدمير أي آثر أو موقع تاريخي بغير أذن المدير. وكل من ينقل بدون إذن المذكور أي مواد يسبب نقلها ضرراً أو تدميراً لأي آثر أو موقع تاريخي، وكل من يستعمل أي آثر أو موقع تاريخي أي استعمال يحتمل إحداث ضرر له أو تدمير أو تغيير لمعالمه.

وضع هذا القانون بعد مضي "47" عاماً من القانون السابق 1905م إلا أن العقوبة لم تزل مدتها لا تتجاوز سنة. فكيف تظل مدة العقوبة كما هي بعد مضي فترة "47" عاماً علماً بتغيير واضافة كثير من البنود لهذا القانون، كما أنه ومن المؤكد أن الوعي الأثري قد تغير بعض الشيء وأن المواطنين قد ألموا بشيء من معنى التراث والمحافظة عليه، والذي كان يخرب التراث دون وعي قبل "47" عاماً قد أصبح يخربه في هذه الفترة وهو على دراية ولو بعض الشيء بمعنى التراث ، إذاً فكيف تكون العقوبة بنفس الدرجة؟ فإذا اخذنا موقع النقعة كمثال وأن أحدهم قام بتخريب جميع أجزائه فهل يعاقب بالسجن لمدة عام فقط! أو هل يغرم من المال ما هو في حدود عشرين جنيهاً باعتبار قيمتها في تلك الفترة ، فهل تكفي هذه القيمة المالية لصيانة ما تضرر من هذا الموقع! من المؤكد أن موقع كالنقعة ضياعه لا يقدر بالمال لما يمثله من حلقة تاريخية هامة من سلسلة الحضارة السودانية.

ولهذا نجد أن هذا البند الخاص بالعقوبات لم يكن رادع ولا ينهي هؤلاء من إلحاق الضرر بالمواقع. وربما يكون هون هذه العقوبة قد تسبب في كثير من الضرر الذي نشاهده الآن بالمواقع والضياع الذي يعاني منه إرثنا الحضاري.

العقوبة في قانون 1999م:

إتلاف الآثار أو هدم بناء آثري:

تنص المادة على:

(أ) كل من يهدم موقعاً أثرياً مسجلاً أو أكتشف حديثاً أو جزء منه أو نأخذ شيء من أحجاره أو زخرفة أو يحدث ما يغير معالمه يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن ثلاثة سنوات أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً.

(ب) إذا كان مرتكب الجريمة المنصوص عليها في البند "أ" أحد العاملين بالهيئة أو في مجال الآثار أو كان الأثر هاماً، أو من الآثار البارزة التي يؤدي إتلافها أو هدمها إلى إزالة وضياع جزء من التراث الأثري للبلاد فيعاقب بالسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات أو الغرامة أو بالعقوبتين معاً.

بالنسبة للبند "أ" من هذه المادة نلاحظ أن العقوبة ما زالت ضعيفة جداً، ونحن نعلم أن ضياع الأشياء القيمة لا يمكن تعويضها وأن أقل خسارة فقدان رابط أو حلقة تاريخية. فكيف نفرط في حلقة تاريخية بهذه السهولة ونحن من نبحث وننقب لفترات طويلة للبحث عن حلقة تاريخية مفقودة.

قد أصبح هنالك وعي اثري كبير والغالبية العظمى تعلم ماذا يعني الموروث الحضاري بالنسبة للشعوب ، مما يؤكد أن معظم الذين يقومون بإلحاق الضرر بالمواقع هم ممن يعرفون القيمة الحقيقية لهذه الآثار وأغلبهم أن لم يكن جميعهم يفعلون ذلك بدافع السرقة أي أنهم على دراية بما يعود عليهم من قيمة مادية نظير ذلك ولهذا من المفترض أن تكون أقل مدة تحدد في القانون طويلة إلى أقصى ما تكون حتى تصبح مصدر خوف وحذر لمن يفكر أن يقوم بمثل هذه الأفعال.

أما البند "ب" وبما أن مرتكب التخريب من الذين لهم صلة بمجال الآثار في حين أنه من المفترض أن يكونوا هم الذين يحمونها فأن عقوبة السجن يجب أن تكون قاسية وأن تكون الغرامة مقرونة مع السجن وليست إحداهما مع ضخامة المبلغ و بعد انتهاء مدة العقوبة عدم السماح له بالعمل في مجال الآثار.

2- قانون حماية البيئة لسنة 2001م

يسمى هذا القانون قانون حماية البيئة لسنة 2001م. وتعني البيئة من منظور هذا القانون مجموعة النظم الطبيعية بمكوناتها الأساسية كالماء ، الهواء ، التربة ، النباتات ، الحيوانات والكائنات الحية الأخرى. وأيضاً تشمل النظم الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى.

ومن أهم أهداف هذا القانون حماية البيئة وحفظ توازنها الطبيعي ومنع تلوثها، وأيضاً الاستخدام المرشد لمواردها الطبيعية حتى تضمن استدامتها وضرورة الربط بين القضايا البيئية والتنمية.

لتطبيق الأهداف السابقة تم إنشاء "المجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية" ، من أهم اختصاصاته حصر الموارد الطبيعية وترشيد استخدامها وحمايتها من التدهور بما يؤمن العطاء المستدام لها ورصد التغيرات التي تطرأ عليها وتحديد المناطق المعرضة للأخطار كالزحف الصحراوي والتلوث البيئي، وحتى يتم تطبيق ما ورد بصورة أمثل تم وضع برنامج طويل المدى للاستخدام المتوازن للموارد الطبيعية مع المراجعة الدورية للتشريعات ذات الصلة للتأكد من مدى مواكبتها للمعايير الدولية لتنمية البيئة والموارد الطبيعية واستخدامها وصيانتها ، ووضع خطة اتحادية لترقية الوعي البيئي والاستخدام المستدام للموارد الطبيعية وتضمين ذلك في المناهج التعليمية والإعلامية.

لتطبيق هذه الاقتراحات لابد من توفر الأموال اللازمة، وعليه تم رصد ميزانية مستقلة للمجلس تتكون مما تخصصه له الدولة من اعتمادات زائد التبرعات وأي مواد أخرى يوافق عليها الوزير ، ولتسهيل عملية مراقبة البيئة في الولايات تم إنشاء المجالس الولائية لممارسة الاختصاصات الواردة في القانون الولائي.

إضافة إلى المجالس الولائية هنالك جهات معنية بحماية البيئة مثل الوزارات والمؤسسات الاتحادية المعنية بصحة وحماية البيئة في المجالات الصحية والزراعية والصناعية والإسكانية والاقتصادية وغيرها وفقاً للسلطات الممنوحة لها. وأيضاً الجمعيات والمؤسسات الوطنية والأجنبية المختصة بترقية وحماية البيئة المصرح لها بالعمل في الدولة باعتبار أن حماية البيئة عمل شعبي يقتضي تمكين المجتمع من لعب دوره في تنظيم الجهد الشعبي على المستويين الاتحادي والولائي.

من أهم السياسات لهذا القانون ولضمان متابعة حماية البيئة وعلى الرغم من أحكام أي قانون آخر بشأن التصديق على المشاريع ، يجب على كل من يرغب الدخول في أي مشروع من المرجح أن يؤثر سلباً على البيئة والموارد الطبيعية أن يتقدم بدراسة جدوى بيئية موقع عليها من قبل "لجنة التقويم والمتابعة" التي يمتلكها المجلس، على أن توضح الدراسة الأثر المتوقع للمشروع المقترح على البيئة والآثار السالبة للمشروع والتي يمكن تفاديها عند تنفيذه والبدائل المتاحة للمشروع المقترح.

من أهم واجبات السلطة المختصة في مراعاة السياسات البيئية لحماية وترقية البيئة أن تعمل على المحافظة على مصادر المياه ، الهواء ، الغذاء ، التربة والغطاء النباتي وحمايتها من التلوث وأيضاً للمحافظة على الحيوانات والكائنات الحية وحمايتها من الانقراض بالصيد الجائر ، تطوير برامج التعدين والتنقيب وفقاً للمعايير البيئية السليمة ، للمحافظة على المواقع الأثرية والسياحية وحمايتها من التدهور والاعتداء عليها، وهنا نرى أن هذا القانون قد اعتبر المواقع الأثرية ضمن مكونات البيئة التي يجب المحافظة عليها وحمايتها من الضياع بصيانتها بما لا يشوه مظهرها الطبيعي الأثري.

كما يجب نشر الوعي والثقافة البيئية بين المواطنين وتضمين مناهج العلوم والثقافة البيئية ضمن البرامج التعليمية بالمدارس والجامعات والمعاهد حتى يتم انتشار الوعي البيئي وذلك لأن البيئة هي أساس كل الحياة فإذا ما أختل توازنها يعني اختلال توازن الحياة أجمع.

يمثل دستور السودان الانتقالي لسنة 2005م نقلة نوعية في قسمة السلطات والموارد بين مستويات الحكم، وباعتبار قضية البيئة والموارد الطبيعية قضية محورية لا تحتمل العمل في جزر معزولة عن بعضها مما يستوجب التنسيق بين هذه المستويات.

بالنظر لبنود هذا القانون نجدها تكفل جميع السبل التي تضمن الحماية والمحافظة على البيئة والموارد الطبيعية مع وجود تنمية مستدامة وذلك بمراعاة وتنفيذ السياسات البيئية التي من شأنها توفير هذه الحماية. وكذلك وجود المجالس الولائية تضمن لنا مداركة الأخطار في الولايات بصورة أوسع. أيضاً من الضروري عند قيام المشاريع التنموية أن تمر هذه الخطط على لجنة التقويم والمتابعة حيث أننا نرى يومياً مشروع تنموي جديد ، ولكن الأهم هل كل هذه المشاريع قد خضعت للمراجعة من لجنة التقويم والمتابعة البيئية؟ وخير مثال التلوث الذي يحدث لمياه الشرب كل حين والآخر في الآونة الأخيرة ،أيضاً المحافظة على التربة بعدم استخدام المخصبات الكيميائية التي تفقد المنتجات الزراعية كثير من خواصها إضافة إلى ضررها بالنسبة للإنسان. وعموماً يجب على الجهات المختصة تنفيذ الواجبات المناط بها وباعتماد الجودة التي تؤدي إلى حماية البيئة ومن ثم حماية جميع الكائنات الحية التي تعيش على سطحها. إضافة إلى مسئولية الجهات المختصة أيضاً واجب كل مواطن أن يحافظ على البيئة الطبيعة ومكوناتها سواء كان ذلك بمنع نفسه عن فعل ما من صفته أن يضر بالبيئة أو مكوناتها أو منعه لغيره من فعل ذلك.

كما صدر بنفس الدستور في المادة "208 – 4" في عقود النفط السارية أنه إذا قدر أن عقود نفط سارية من شأنها تسبب مشكلات اجتماعية أو بيئية، فعلى الحكومة القومية اتخاذ التدابير التصحيحية اللازمة

3ـ التشريعات الولائية والمحلية:

في اتفاقية نيفاشا – كينيا – 26/مايو/2002م في بند سلطات الولايات نجد الاختصاصات التنفيذية والتشريعية الحصرية لكل ولاية من ولايات السودان منها البند "33" المواقع الثقافية والتراثية والمتاحف وغيرها من المواقع التاريخية الأخرى

بالولاية ،وكذلك البند "38" السجلات والآثار القديمة والنصب التذكارية على الصعيد الولائي.

في الفصل الخامس في حسم النزاع في ولايتي جنوب كردفان وجبال النوبة والنيل الأزرق، من المبادئ العامة التي اتفق عليها الطرفان كأساس لحل سياسي وإداري واقتصادي واجتماعي للنزاع في تلك المناطق، ورد في البند (1- 2) تطوير وحماية التراث الثقافي المتنوع. ومن الصلاحيات التنفيذية والتشريعية الحصرية للولايتين في الجدول "أ" البند "32" المواقع الثقافية والتراثية ومتاحف الولاية وغيرها من المواقع التاريخية ،كما ورد في البند "39" المحفوظات والآثار والمعالم التاريخية الولاية. (مكتبة الهيئة القضائية)

المراجع والمصادر:

- نجم الدين محمد شريف : مصلحة الآثار . رسالة المتحف رقم "4".
- نعوم شقير :جغرافية وتاريخ السودان . بيروت . دار الثقافة . 1972م
- شتيك. هـ . ن: تقرير عن أعمال مصلحة الآثار . 1955م.
- (اللجنة القومية للدستور: 5/1/1).
- (اللجنة القومية للدستور 9/2/1).
- (اللجنة القومية للدستور: 17/4/1).
- . (النائب العام – التشريع).
- (مكتبة الهيئة القضائية - "ملحق نمرة 1").
- (دليل القوانين السودانية – 2007م).

المراجع الأجنبية:

- *In the Beginning ,an Introduction to.* Fagan.Brian.M. *1988 archaeology*. London.
- Renfrew ,C ,G, Bahn,P . 1996: *Archaeology, theories, methods, and Practice*.
- Stevenson.R.C..1966: Old Khartoum 1827.1885 *S N R*. 47

تأمين الآثار والمتاحف السودانية ومصادر الوعي بأهميتها

د. الرشيد محمد إبراهيم

أ. مساعد – قسم الآثار - كلية الآداب – جامعة دنقلا

مقدمة :

يعد تأمين الآثار والمتاحف من جهة، ومصادر الوعي بأهميتها من الجهة الأخرى، من المواضيع فائقة الضرورة للمحافظة على التراث والمقتنيات الأثرية؛ فالتراث الأثري رمز محفز للترابط والتلاحم والتواصل بين أفراد الأمة، ما يجعلها متماسكة وقوية الكيان. تدرك الأمم التي تسعى لإثبات ذاتها، أهمية التراث الحضاري الذي لا يقتصر على إبراز الإنجازات التي حققها أسلافهم، بل تتخذ منه أيضاً عاملاً رئيساً للنهضة الوطنية التي يمكن تحقيقها من خلال معرفة نتائج البحث الأثري وتوظيفها بطريقة ايجابية. إن تراثنا الأثري شاهد على ماضينا المرتبط بحاضرنا الذي نتطلع من خلاله لاستشراف المستقبل؛ لذا لا بد من حمايته وصونه والحفاظ عليه بوضع الخطط والسياسات الأمنية المحكمة، ورفع درجة وعي المواطنين به عبر الوسائل المختلفة، ليظل التراث الأثري مصدراً من مصادر تاريخ الأمة، يؤمل في نقله للأجيال القادمة من خلال المناهج العلمية والخطط والسياسات التي تعمل على حمايته والحفاظ عليه.

تهتم معظم الدول بالآثار والمواقع الأثرية، والمحافظة عليها من خلال حمايتها بجهاز أمني مدرك لأهميتها والأخطار التي تهددها. ونظراً لأن المواقع الأثرية تنتشر في أنحاء مختلفة من السودان، خاصة في ولايتي الشمالية ونهر النيل حيث تكثر "المواقع الأثرية الشاخصة" - وبما أن إدارة هذه المواقع تتبع لوزارة السياحة والآثار والحياة البرية - فإن تحقيق الأمن بفاعلية لهذه الآثار يتطلب مهارات أمنية ونشر الوعي الأثري والإلمام بمهدداته المتمثلة في السرقة والتخريب وغيرها. إزاء ذلك لم يعد تأمين المتاحف والآثار أمراً عشوائياً خاضعاً للتقدير الشخصي أو العمل حسب مقتضيات الحال، بل صار أمراً يحتاج إلى وضع الخطط اللازمة والكفيلة بحماية هذه المنجزات بشكل مستدام، وفي ذات الوقت لم تعد المتاحف مجرد صالات للعرض فحسب، بل

تضم مختبرات للترميم والصيانة وأماكن لتخزين المقتنيات الأثرية والمواد والوسائل ذات الصلة، إضافة إلى الأرشيف والمكتبات والوسائل التعليمية وغيرها.

ينقسم أمن الآثار والمتاحف إلى قسمين هما:

القسم الأول : حماية الأثر في موقعه. ويجب الأخذ في الاعتبار عملية حفظ القطع الأثرية عند مناقشة مشروع التنقيب، مع إعداد المتطلبات المالية والتقنية اللازمة. وقبل الكشف عن القطع الأثرية بشكل عام يجب علينا التركيز بشكل تفصيلي على كيفية حفظها في البيئة الملائمة (دونيه جيومار 2002م ، ص 521).

أما القسم الثاني: فهو أمن المتاحف، وهذا أمر عظيم الأهمية يتطلب إيلاء جهود كبيرة وملاحظة دقيقة من قبل الحراس والعاملين في أمن المتاحف، الذين يحتاجون إلى معدات وأدوات تساعدهم على أداء عملهم، من بينها أنظمة المراقبة الداخلية عن طريق الدوائر المغلقة، وكاميرات المراقبة الإلكترونية المساعدة - أو أنظمة الإنذار الأولية - وبوابات التفتيش وأنظمة مكافحة الحريق، ومن ثم وضع الخطط الأمنية التي تغطي كافة المتطلبات الحيوية.

مخاطر ومهددات الآثار والمتاحف السودانية:

يزخر السودان بالعديد من المواقع والمتاحف الأثرية، فموقعه الجغرافي المتفرد، بالإضافة إلى الحراك البشري - بأبعاده الفكرية والثقافية - الذي شهدته أرضه عبر حقب تاريخية طويلة، جعلته واحداً من أغنى دول القارة الإفريقية في مجال التراث الأثري، حيث شهدت أرضه وأسهم إنسانه في تشكيل التراث الحضاري دون انقطاع منذ ما قبل التاريخ حتى دخول الإسلام في العصور الوسطى. فمواقع الآثار المنتشرة في مختلف ربوعه تقف شاهداً على التواصل الحضاري بدءً بعصور ما قبل التاريخ ومروراً بالمجموعات الحضارية النوبية وحضارة كرمة ومواقع الحضارة الكوشية الثانية (نبتة ومروى) وحضارة ما بعد مروى ثم مواقع آثار الحضارات ذات الصلة بالمسيحية والإسلامية.

المقتنيات الأثرية التي جمعت من المواقع عن طريق البحث، معظمها تم عرضه في المتاحف، لأن المتاحف هي الوعاء الحافظ لذاكرة الأمة التي تحكي

إنجازات الشعوب وتبرز سماتها الحضارية ومكوناتها الثقافية. وتعكس المتاحف الواجهة الحضارية للدول، إلا أن المواقع الأثرية والمتاحف ظلت تتعرض للمخاطر والمهددات الطبيعية والبشرية متمثلة في السرقة ومشاريع التنمية التي تقوم على حساب المواقع الأثرية والخطط السكانية التي تجرى دون إجراء مسوح أثرية، بالإضافة إلى عوامل التعرية والزحف الصحراوي، كل هذه الأخطار والعوامل تلعب دوراً في تلف وتدهور المواقع الأثرية وضياع المقتنيات الأثرية من المتاحف، وكثير من ذلك يعزى لقلة الوعي بأهمية الآثار والمتاحف في السودان.

مفهوم الوعي بأمن الآثار :

الوعي بأمن الآثار يجب أن يبنى على الإحساس بقيمة الأثر، لأن الإحساس مهم في عملية التوعية، حتى تصير مسألة أمن الآثار ناجحة، ولا تكون مجرد عملية نقل للمعلومات؛ لذلك فإن الوعي الأثري يعرف بأنه "ادراك من قبل الإنسان المعني بالآثار وأهميتها، بحيث يفتح هذا الإدراك السبل أمام العناية والمحافظة بهذا التراث، كما أن مفهوم الوعي بأمن الآثار يعني الإدراك بأن الآثار ثروة وطنية يجب الحفاظ عليها، وهذا لا يتأتى إلا من خلال عملية توعية شاملة (سعيد أحمد حسن 1406هـ ، ص 7).

أهداف الوعي بأمن الآثار :

يتمثل الهدف الرئيس للوعي بأمن الآثار في المحافظة على هذه الآثار وحمايتها من أي أخطار قد تتهددها. ولأن الآثار تشكل التراث الحضاري الذي يحكي تاريخ الإنسان عبر العصور المختلفة، فالمحافظة عليها مسؤولية تكاملية تقع على كاهل البشرية جمعاء من خلال الأفراد والمنظمات والمؤسسات والجهات الرسمية والشعبية، لكونها إرثاً بشرياً تتعدى مهمة حمايته أي إدارة أو منظمة بعينها. وبما أن إمكانات إدارات الآثار تقف عاجزة أمام تقديم حماية شاملة للآثار، فإن أجهزة الدولة وجميع الأفراد معنيين بالمحافظة عليها وحمايتها، وهذا يتطلب نشر الوعي الأثري في أوساط المجتمع ليكون خط الدفاع الأول في عملية الحماية. فالوعي بأهمية الآثار يخلق لدى الفرد والجماعة وازعاً يقف حائلاً دون العبث بها أو الاعتداء عليها، وبالتالي يصبح

الجميع رعاة للآثار (منى الحديدي 1984م، ص28). هنالك عدة عوامل تؤدى إلى نجاح السيطرة الأمنية على الآثار والمتاحف أهمها :

أ) السيطرة الأمنية بفاعلية على الآثار تقتضي الحضور الشرطي، وهذا يعني الوجود المستمر لرجال الشرطة في المواقع.

ب) اتخاذ الإجراءات المانعة لارتكاب الجريمة، بوضع ترتيبات وقائية مثل توعية المواطن بأهمية الآثار والمحافظة عليها، إضافة إلى الحضور الشرطي المستدام وتحديد مسؤوليات أفراد الحراسة(محمد جمال الدين مختار 1973م، ص 253).

ج) القيام بحملات تفتيشية على المواقع التي تحتاج إلى تعزيزات أمنية بالتعاون مع أجهزة الدولة الأخرى وتبادل المعلومات، وتفعيل قنوات الإتصال بين هذه الأجهزة لإحكام السيطرة الأمنية، وهذا يتطلب تبادل المعلومات الصحيحة بشأن الآثار، لذلك ينبغي تجميع المعلومات ذات الصلة بأمن الآثار. وفي حال حدوث تعديات على المواقع الأثرية أو المتاحف، يلزم مواجهتها على وجه السرعة دون تراخ (بوروبة بومدين 1986م، ص 31). كما يجب العمل على نشر الوعي بأمن الآثار، وينبغي أن تكون هناك أكثر من جهة تقوم بهذه المهمة بحيث ينبثق من هذا الوعي دور فاعل وملموس في تأمين الآثار والمتاحف، الأمر الذي يتطلب وجود صلة دائمة ومباشرة بين تلك الجهات والجمهور. وضمن تلك الجهات المعنية بمخاطبة قطاعات واسعة من الجمهور: أجهزة الإعلام ووسائطه المختلفة، بالإضافة إلى مؤسسات التعليم والمؤسسات الثقافية الأخرى (سعيد أحمد حسن 1406ه، ص 25).

بناءاً على ما سبق فإن قدرة كل جهة من الجهات السابقة في نشر الوعي بأمن الآثار تختلف وفقاً لاختلاف الوسائل والإمكانات؛ فعلى سبيل المثال تختلف وسائط الإعلام، بطبيعة الحال، من حيث قدرتها على نشر الوعي الأثري عن المؤسسات التعليمية والتربوية، وهذه بدورها تختلف في مقدرتها على نشر الوعي بأمن

الآثار عن المؤسسات الثقافية والاجتماعية والرياضية. المهم في الأمر أن تهتم كل الجهات، بوسائلها وإمكاناتها المختلفة، بنشر الوعي بأمن الآثار، فبدون هذا الوعي لا يمكن المحافظة على الآثار والمتاحف مهما كانت فاعلية النظم واللوائح الصادرة للحفاظ عليها، ومهما كانت كفاءة أجهزة الحفاظ على الآثار ودرجة فاعلية الحماية التشريعية أو الإدارية أو الأمنية. إن الوعي بأمن الآثار يرمي إلى تجنيد كل فرد في المجتمع للحفاظ على الآثار والمتاحف والعمل علي حمايتها (منى الحديدي 1984م، ص32).

مصادر الوعي بأمن الآثار :

هناك العديد من مصادر الوعي بأمن الآثار، لعل أبرزها يتمثل فيما يلي:

1/ وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وتلفاز وغيرها.

2/ المؤسسات التربوية كالمدارس والمعاهد والجامعات.

3/ المؤسسات المجتمعية الثقافية والاجتماعية والرياضية.

4/ مصادر أخرى مثل إدارات الآثار والمتاحف وأقسام الآثار بالجامعات.

وفيما يلي تفصيل عن دور كل مصدر من المصادر السابقة في نشر الوعي بأمن الآثار:

أ: وسائل الإعلام :

لقد تطور الإعلام في الآونة الأخيرة تطوراً كبيراً بسبب التقدم العلمي والتطور في تكنولوجيا الاتصال، ما أدى لاتساع قنواته، وهذا التنوع في الوسائل الإعلامية لازم الإنسان عبر التاريخ، ومن هنا فإن التنوع يلعب دوراً كبيراً في نشر الوعي بأهمية الآثار. ويتمثل دور وسائل الإعلام في نشر الوعي الثقافي والمحافظة على الآثار بطرح قضية التراث الحضاري على المجتمع، حيث تبرز أهمية هذا التراث لكونه مخزوناً لتجربة بشرية طويلة استفاد منها الإنسان كثيراً، ويمكن أن تستمر الاستفادة منها على مر الزمن، بالإضافة إلى غرس الإحساس بالانتماء لدى الفرد والمجتمع (سعيد أحمد حسن 1406ه، ص 18). ولكل وسيلة من وسائل الإعلام دور في التوعية، فعلى سبيل المثال:

1/ **التلفاز** :

جهاز له قدرة فائقة على تشكيل أنماط السلوك وتكوين الاتجاهات والمعارف. وقد أثبتت العديد من الدراسات الدور الذي يقوم به التلفاز في التأثير على المشاهد وتكوين قناعاته ووعيه. فالتلفاز يمكن أن يقوم بدورٍ في عملية التوعية بأمن الآثار من خلال عرض أفلام وثائقية ومادة إعلانية خاصة بمقتنيات المتاحف والآثار، مع التعريف بالفترات التي تعود إليها ودورها في هذه الفترة، إلى جانب عرض المواقع الأثرية والمباني التاريخية والدور والمستوى الحضاري الذي ساد وقتها، مع التركيز على أهمية الآثار وضرورة المحافظة عليها، بالإضافة إلى إعداد أفلام ومسلسلات وبرامج تهدف لنشر الوعي بأمن الآثار، وتضمين أسئلة عن الآثار في المسابقات التي ينظمها التلفاز في المواسم والمناسبات المختلفة (منى الحديدي 1984م، ص 33).

2/ **الإذاعة** :

تمثل الإذاعة الوسيلة الإعلامية القديمة الموجهة إلى كافة قطاعات المجتمع، ولازال للإذاعة قدرات تأثير عالية على المستمعين خاصة أنها تتميز على التلفاز بسهولة اقتناء جهاز المذياع وسهولة التقاط البث الإذاعي، خاصة في المناطق التي لا تصلها الكهرباء، فهنالك محطات إذاعية حكومية تدعمها الدولة وتوجهها لما يخدم أهدافها القومية التي من بينها الحفاظ على التراث الأثري، لذلك فإن الأمر يحتاج إلى وضع خطة تهدف لتحقيق الأفضل في استخدام الإذاعة في نشر الوعي الأثري، بحيث تكون هذه الخطة علمية ولها أهداف محددة تصب في رفع وعي المواطن بأمن الآثار والمحافظة عليه (إبراهيم إمام 1985م، ص 145- 147).

3/ **الصحف** :

يمكن للصحافة أن تمارس دوراً فاعلاً في خدمة قضية نشر الوعي الأثري من خلال ممارسة نشاطات صحفية مختلفة، مثل إجراء تحقيقات صحفية تجذب القارئ وتشد انتباهه ، على أن يكون موضوع هذه التحقيقات نشر الوعي الأثري بين المواطنين، كما يمكن للصحافة عقد ندوات صحفية متخصصة تسهم فيها جهات عديدة، تطرح فيها قضية الآثار وأهميتها وضرورة حمايتها. وبإمكان الصحفيين

إعداد مقالات مدعومة بصور تطرح موضوع الأخطار التي تهدد الآثار، وتستفز الحس الوطني والإنساني لدى القارئ بضرورة حماية الآثار. رغم ذلك يجب الإعتراف بأن الصحافة لا تزال تعاني من بعض المعوقات التي تؤثر على دورها في نشر الوعي الأثري، منها النقص في المراسلين لتغطية الأحداث في الولايات، بالإضافة إلى عدم انتشار الصحف على نطاق واسع في المناطق النائية والريفية، لذلك فإن الأمر يستدعي فهماً أكبر لدور المسؤولية الجماعية والاجتماعية من جانب الصحفيين (عصام سليمان الموسى 1998م، ص 249).

4/ **الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)**:

أصبحت شبكة الاتصال العالمية "الانترنت" في ظل الثورة الاتصالية والمعلوماتية ظاهرة من ظواهر الإعجاز العلمي الحديث، وبحكم إنها وسيلة اتصال واسعة الانتشار، فهي توفر مجموعة من الخدمات المعلوماتية إذا ما أحسن استخدامها، وهي تسمح بالتنقل بصورة حرة بين المواقع وتتميز بالسرعة الفائقة والضخامة.

تعرف شبكة الانترنت بأنها شبكة ضخمة تتكون من أجهزة الحاسب الآلي والأقمار الصناعية المرتبطة ببعضها البعض، والمنتشرة حول العالم. وهنالك خدمات كثيرة يمكن الاستفادة منها في هذه الشبكة التي تعد أهم وسيلة إعلامية على الإطلاق في الوقت الراهن، لعالميتها وسهولة استخدامها، إضافة إلي غزارة ما تحويه من معلومات ذات مصادر متنوعة. وينظر إلي شبكة الانترنت الآن على أنها الوسيلة الأهم والأكثر فاعلية في عملية التفاعل والاتصال المحلي والعالمي عبر نوافذ التواصل الاجتماعي المختلفة. وبمقدور هذه المواقع نشر معلومات عن الحضارات السودانية والمتاحف والمواقع الأثرية، من أجل بث الوعي بأهمية الآثار (عبد الله بن عبد العزيز الموسى 2006م، ص595- 601).

أصبح من المستحيل تجاهل دور الانترنت كوسيلة إعلامية، فالناس يدركون – على نطاق واسع - أهميته. وصارت هذه التقنية الحديثة وسيلة اتصال جماهيري عظيمة التأثير، لذا لا بد من توظيفها في نشر الوعي بأهمية الآثار والمتاحف وكيفية

الحفاظ على هذا الإرث الحضاري عبر نشر مادة جاذبة للقراء والمشاهدين، خاصة أن شبكة الانترنت تعمل على مدار الساعة وليست لها محددات جغرافية (الحضور العالمي).

ب: المؤسسات التعليمية والتربوية :

يقع على عاتق المؤسسات التعليمية دور مهم في تزويد الأجيال الناشئة بالمعارف الأثرية، وأن تنمي فيهم الدافع المعرفي تجاه ما تحتويه البلاد من معالم ومنجزات حضارية من الأهمية بمكان المحافظة عليها. وأهم المؤسسات التعليمية والتربوية التي يمكن أن تلعب دوراً فاعلاً في نشر الوعي بأمن الآثار: المدارس والمعاهد والجامعات. وكي يتسنى لهذه المؤسسات أداء ذلك الدور ينبغي أن تجعل ذلك ضمن أهدافها، وترمي أهداف التعليم في بلادنا للعناية بالفرد من جميع الجوانب متمثلة في الأخلاق والفكر والطبيعة، ليكون مواطناً صالحاً ومنتجاً وناجحاً، معتزاً بوطنه وملماً بالمعرفة العلمية (سعد بن عبد العزيز الراشد 1418هـ، ص 32)، لكن هل هذه الأهداف محققة على أرض الواقع ؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل يمكن القول بأن الإسهامات التي بمقدور المؤسسات التعليمية والتربوية أن تقدمها خدمة لهذا التراث في مجال نشر الوعي الأثري، يتمثل أهمها في تضمين مادة التاريخ عرضاً وافياً لكل الحقب عبر عصورها الحضارية المختلفة، وأن تهتم هذه المؤسسات بالآتي:

1. تنظيم رحلات مدرسية للمواقع الأثرية المختلفة.
2. تنظيم زيارات للمتاحف لمشاهدة إبداعات الإنسان وانجازاته الفنية والتقنية على مر العصور.
3. تنظيم محاضرات عامة في المؤسسات التعليمية تتناول أهمية التراث الحضاري وضرورة المحافظة عليه.
4. تضمين فقرات عن التراث الحضاري في المسابقات الثقافية التي تنظم للطلاب.
5. عرض مسرحيات تاريخية تسلط الضوء على التاريخ الحضاري لمواقع أثرية تعرف الطلاب بها وتحثهم على حمايتها.

6. تشجيع الطلاب لإنشاء جمعيات طلابية للآثار والتراث.

ج: المؤسسات الثقافية والاجتماعية والرياضية :

تشمل هذه المؤسسات الأندية الرياضية والاجتماعية والجمعيات الثقافية وجمعيات الشباب الوطنية، فضلاً عن المؤسسات الدينية كالمساجد. ولا ريب أن للمساجد دور مهم في التوعية الأمنية بوجه عام والتوعية بأمن الآثار بوجه خاص . والمسجد له دور مؤثر بصفة عامة، لذلك ذكر الله المساجد - التي هي بيوته في الأرض - في ثمانية وعشرين آية من القرآن، ورغب في عمارتها. وجعل الرسول صلي الله عليه وسلم المسجد مركزاً لربط القلوب ومكاناً للتوجيه والإرشاد ومجمعاً للمسلمين ليتداولوا فيه كافة أمورهم، لذلك كان المسجد ولا يزال، من أعظم محاضن التربية للمسلم. ومن هنا يمكن للمسجد أن يؤدي دوراً كبيراً في نشر الوعي الأثري من خلال الخطب المنبرية والدروس الدينية والحلقات العلمية (محمد بن صالح السيف 1993م، ص 66) .

تشكل هذه المؤسسات مجتمعة، بواسطة التآزر والتكاتف والتنسيق المتناغم، صمام الأمان لحماية المجتمع من كافة التعديات، فضلاً عن قيامها بدور رائد في النشر والوعي الأمني الأثري. ويقع على الفرد دور في حماية الآثار والمحافظة عليها بالنصح والإرشاد والتوعية بأهميتها، ومساعدة رجال الأمن في تتبع المعتدين على الآثار والمواقع الأثرية، والتبليغ عن نواياهم ومخططاتهم. فالمسؤولية الأمنية ليست شرطية فقط، بل تقع أيضاً على كاهل الأفراد والمجتمع.

قد يتحدد دور هذه المؤسسات في نشر الوعي الأثري والمحافظة على التراث الأثري من خلال الأنشطة التالية:

1. إقامة الندوات والمحاضرات عن الحضارات السودانية وأهميتها.
2. تنظيم رحلات للمواقع الأثرية والمتاحف، للوقوف على بعض النماذج الأثرية.
3. تنظيم مسابقات لإعداد دراسات وبحوث ومقالات عن تراث المناطق وآثارها.
4. تضمين المكتبات العامة بعض المؤلفات الخاصة بالتراث الأثري.
5. عرض الأفلام الوثائقية التي تظهر أهمية التراث الحضاري.

6. وضع لوحات على الملاعب الرياضية والأندية الثقافية والاجتماعية تحمل عبارات دالة على أهمية الآثار وضرورة المحافظة عليها.
7. الاستفادة من المناسبات والمهرجانات الوطنية لنشر الوعي بأمن الآثار.

د: الهيئة العامة للآثار والمتاحف :

يقوم قطاع الآثار والمتاحف بدور مميز في المحافظة على أمن الآثار ونشر الوعي الأثري انطلاقاً من مسؤولياته. ويمكن له أن يزيد من اسهامه في هذا المجال من خلال عدة طرق، أهمها :

1. العمل على نشر وإصدار طوابع تحمل صوراً لمباني أثرية بالتنسيق مع وزارة الثقافة والإعلام.
2. العمل على إنشاء المزيد من المتاحف في المدن والقرى، لتعريف المواطن في هذه المناطق بما في بلاده من تراث أثري.
3. العمل على إقامة متاحف متنقلة بين المناطق لتسهل على المواطن مهمة مشاهدة الآثار والإلمام بأهميتها.
4. إقامة أسابيع ثقافية تحوي معارض وأفلام ومحاضرات وندوات تسهم في تعريف المواطن بالآثار ونشر الوعي الأثري بينهم.
5. عمل مجسمات للآثار وإعداد صور فوتوغرافية للمواقع الأثرية وبيعها بأسعار رمزية في المتاحف.
6. إصدار النشرات التثقيفية عن الآثار وتوزيعها على كافة أجهزة الدولة.
7. العمل على تفعيل الدور التعليمي والتربوي للمتحف بحيث يصبح مكاناً لنشر الوعي الأثري.
8. تعريب المؤلفات الأجنبية عن الآثار السودانية ونشرها في المؤسسات والمكتبات العامة والخاصة.

بمقدور الهيئة العامة للآثار والمتاحف أن تعقد دورات في نشر الوعي الأثري عبر هذه النقاط وغيرها. وعند النظر إلى متاحف الآثار في السودان نجد أنها لم تقم بواجبها التعليمي والتثقيفي والإعلامي بالشكل المطلوب، فكل ما تقوم به هو مجرد

اجتهادات من قبل إداراتها لتبليغ رسالة المتحف إلى زائريه من فئات المجتمع المختلفة، دون امتلاكها خطة تخضع للقياس والتقويم الدوري.

ه: السياحة :

للسياحة دور كبير في نشر الوعي الأثري. وقد أدرك قطاع الآثار والمتاحف هذا الدور، لذلك صار يشارك في المناسبات الثقافية والسياحية لتفعيل التظاهرات التراثية خدمة للتراث الأثري الوطني والإسهام في نشر الوعي الأثري بين الأفراد والمجتمع، عن طريق اقامة معارض الآثار لتنشيط السياحة في عدد من المناطق، وخدمة للحركة الثقافية في البلاد.

بمقدور السياحة أن تسهم في نشر الوعي الأثري من خلال مجالات عديدة، كتشجيع السياحة الداخلية، بزيارة المواقع الأثرية والمتاحف، ما يجعل المواطن يقف على الإنجازات الحضارية لبلاده. ومن هذه المجالات اعداد مطبوعات وملصقات عن المواقع الأثرية والمتاحف عن طريق مكاتب السياحة. وباستطاعة القطاع الإداري في مجال السياحة الاسهام في نشر الوعي الأثري، ويحبذ أن تنشئ الهيئة العامة للآثار والمتاحف وحدة للسياحة الأثرية ضمن هيكلها التنظيمي لتطوير أعمال السياحة في هذا المجال، بما يتوافق مع احتياجات المجتمع، وهذه الوحدة ينبغي أن تقوم بالآتي:

1/ تسهم في الإشراف على كل ما يتصل بشؤون السياحة الأثرية.

2/ إقامة المعارض الأثرية للتعريف بالآثار والمتاحف ونشر الوعي الأثري.

3/ إصدار تصاريح زيارة المواقع الأثرية للوفود السياحية.

4/ إعداد كتيبات ونشرات إعلامية عن كل موقع أثري.

كل ذلك يخدم، بطبيعة الحال، الوعي بأمن الآثار؛ على أن تسعى الهيئة العامة للآثار والمتاحف لتوظيف واستثمار المواقع الأثرية سياحياً، وتبرز الأهمية الحضارية والثقافية للتراث الأثري، مع ضرورة وضع ضوابط الاستثمار السياحي للمواقع الأثرية للحفاظ عليها وإبرازها إعلامياً والتعريف بها والعمل على نشر الوعي بقيمة الآثار، والحد من الأضرار الطبيعية والبشرية على المواقع الأثرية، ووضع النظم والقواعد العلمية والفنية لأعمال الصيانة والترميم للمعالم الأثرية، وتطبيق التشريعات الصادرة للمحافظة على الآثار، وعدم تعريضها للخراب والتشويه والسرقة، والمساهمة

في نشر الوعي الثقافي للحفاظ على هذا الإرث الحضاري السوداني (كباشي حسين قسيمة 2012م، ص 43).

الخلاصة :

يمكن القول بأن بلادنا تزخر بموروث أثري ثرٍّ وعظيم التنوع، إلا أن هذا التراث معرض للتدهور والدمار، ما يتطلب تضافر الجهود لتأمينه بعدة طرق أبرزها رفع الوعي بأهمية الآثار والمتاحف، والعمل على حماية تلك المصادر الثقافية من خلال أعمال التأمين بأشكاله المختلفة والمتعددة .

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم إمام 1985م، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، ط2، دار الفكر العربي، بيروت.
- بوروبه بومدين 1986م، مساهمة المنطقة الدولية للشرطة (انتربول) في مكافحة سرقة التحف الفنية، المجلة الدولية للشرطة الجنائية (الانتربول)، العدد 395، ص ص 30- 37.
- دونيه جيومار 2002م، الحفظ في علم الآثار، (ترجمة) محمد أحمد الشاعر، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة .
- سعد بن عبد العزيز الراشد 1418م، آثارنا . . الوعي ودور الدولة، ودور المواطن، مطابع الفرزدق، الرياض.
- سعيد أحمد حسن 1406ه، الوعي الثقافي، مؤسسة الوعي الثقافي، بيروت.
- عبد الله بن عبد العزيز الموسى 2006م : مقدمة في الحاسب والانترنت، ط4، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- عصام سليمان الموسى 1998م، حراسة الآثار والمحافظة عليها، دار الكتابي للنشر والتوزيع، القاهرة.
- كباشي حسين قسيمة 2012م، التنمية السياحية المستدامة ، أسس ومبادئ عامة، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم.
- محمد بن صالح السيف 1993م، تربية الطفل في السنة النوبية ؛ ط1، تبوك.
- محمد جمال الدين مختار 1973م، حراسة الآثار والمحافظة عليها من الأسسكو، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
- منى الحديدي 1984م، الإعلام والمجتمع، مكتبة غريب، القاهرة.

اثنواركيولوجيا الفخار التقليدي في شمالي ووسط السودان

د. أحمد أبوالقاسم الحسن – جامعة حائل – المملكة العربية السعودية

مقدمة:

خلال العشرة آلاف سنة الماضية تبوأ الفخار - بالتدريج - صدر قائمة المواد الأثرية الأكثر وفرة في المواقع الأثرية، وذلك لما تجتمع فيه من خواص لا تتوفر لأي مادة أثرية أخرى، أقلها قابليته الفائقة للتهشم في أجزاء صغيرة ذات قدرة فائقة على البقاء ومقاومة عوامل التعرية، وإلى جانب ذلك من ميزات، يأتي الفخار مباشرة بعد السجلات الكتابة في الأهمية، وربما يفوقها مصداقية وتفصيلاً من حيث توفير معلومات عن المجتمعات البشرية القديمة، تشمل جوانب وظيفية وتقنية وفنية ومؤثرات وصلات حضارية إلى جانب ترتيب المراحل الحضارية ونحو ذلك. لذا فإنه يبقى مؤشراً ثقافياً ومرتكزاً أساسياً يحتل مساحة واسعة في الدراسات الاثارية والحضارية والتراثية كما تشير الأدبيات المنشورة في هذه المجالات.

سجل ابتكار صناعة الفخار نقطة تحول في مسيرة الحضارة البشرية. ويرجح أن أقدم استخدام بشري للطين كمادة خام قد تم خلال العصر الحجري القديم الأعلى (35000 - 10000 ق.م) حيث استخدم في صناعة الدمى وحرقها منذ نحو 26000 سنة من وقتنا الحالي، وفقاً للدليل الأثري المتاح من شرق أوروبا (Rice 1987 , 8; Vandiver et. al. 1989). غير أنه ليس من المستبعد أن ترصد محاولات سابقة لاستخدام الطين غير المحروق، أو ما يعرف بالطين اللبن، في صنع كتل طينية لبناء الأكواخ أو الاستعانة به في تماسك وربط الحجارة في أساسات المباني ونحو ذلك.

أدرك الإنسان وقتها أنه أمام مادة سهلة التشكيل يكسبها الحرق متانة وقو، وبالتالي توفرت له مادة خام تملك خواصاً لم تكن متوفرة لغيره من حجارة ومواد عضوية كالأخشاب والعظام. غير أن فترة طويلة لابد وأن انقضت من عمر التجربة قبل أن يصنع الإنسان أول آنية فخارية. ولا يبدو أن صناعة الفخار قد تمت في مكان واحد ولا زمان واحد. فالأدلة الأثرية تظهر تبايناً جغرافياً وتاريخياً في مراكز الصناعة للحد

الذي يصعب معه تصور أن صناعة الفخار قد بزغت من مركز واحد انتشرت بعده إلى بقية المناطق.

تأتي أقدم الإدلة المتوفرة حالياً من شرقي آسيا حيث كشف عن فخار في مواقع في اليابان وجنوبي الصين وشرقي روسيا يتراوح تاريخه بين نحو 11000 - 10000 ق.م (Nakamura et. al. 2001; Kuzmin 2006). ومن وسط مالي بغربي أفريقيا كشف عن فخار من ترسبات تعود إلى نحو 9400 ق.م (Bradley 2007). وكذلك عثر على فخار جيد الصنع على النيل الأوسط يتراوح تاريخه بين 9000 - 7000 ق.م (Mohammed-Ali and Khabir 2003; Elamin and Mohammed-Ali 2004). ومن شرقي الصحراء الأفريقية كشفت مواقع عن فخار مشابه يعود إلى ذات الفترة (Wendorf and Schild 1980). ومن الأناضول يشير الدليل إلى صناعة الفخار بدءاً من منتصف الألف التاسع ق.م، نحو 8500 ق.م (Mellaart 1964, 1965).

حدثت نقلة تقنية هائلة في صناعة الفخار في نهاية الألف الرابع ق. م حين ابتدعت وسيلة العجلة (الدولاب) التي لم ترفع من معدلات مستوى الصناعة فحسب بل أدت إلى سرعة الإنتاج ومضاعفته حيث تحول دور الأيادي البشرية إلى توجيه تشكيل الإناء بدلاً عن القيام بمهمة التشكيل التي اطلعت بها العجلة.

يعود الاهتمام بالفخار الأثري إلى فترة سابقة لنشأة علم الآثار حيث عمل صائدو الكنوز وجامعو التحف إلى نبش المواقع الأثرية وجمع المصنوعات الفخارية الجميلة بغرض بيعها للأثرياء كتحف تأخذ مكانها في قصورهم. أعقب ذلك مرحلة (القرن الخامس عشر إلى الثامن عشر الميلادي) قام خلالها البعض بوصف الأواني الفخارية ذات البعد الجمالي وإبراز خصائصها الفنية، ثم تحول الاهتمام بها لتصبح جزءاً من تاريخ الفن. ثم ما لبثت أن تحولت دراستها إلى حضن الدراسات الأثارية حين شبت الأخيرة عن طوقها خلال القرن التاسع عشر الميلادي (دانيال 2000) وتطورت دراسات الفخار الأثري عبر عدد من مناهج التصنيف والتحليل العلمي الذي تضمن

الاستعانة بعلوم الطبيعة والرياضيات وذلك في سبيل كشف الأنماط التقنية والنوعية ودلالاتها الحضارية.

مع بروز التيار الحديث في علم الآثار خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين وتعديل أهداف علم الآثار والمناهج الخاصة به بزغت الاثنوارکيولوجيا بديلاً للمقاربة الاتنوغرافية كمنهج يمكن أن يساهم في تسليط الضوء على الكثير من القضايا الأثارية. ولعل الهدف الأساسي من الدراسات الاثنوارکيولوجية هو جمع كم من المعلومات، في إطار النظام الخاص بها، من مجتمع معاصر في موضوع ما للمساهمة في فهم وتفسير السجل الأثري الخاص بذلك الموضوع. ويمكن جمع هذا الكم المعلوماتي بعدة وسائل منها، العمل الميداني المباشر من أماكن ممارستها في مجتمع ما، أو جمعها من معلومات منشورة عن مجتمع قام آخرون بجمعها ورصدها عنه. كما يمكن أن تجمع عبر استخلاصها عملياً من التجربة فيما يعرف بعلم الآثار التجريبي. ولعل الوسيلة الأولى، أي جمع المادة عبر عمل ميداني، هي أنجعها بحكم أنها أكثر الطرق مباشرة ودقة. وبحكم أن التعريفات التي طرحت للاثنوارکيولوجيا، وإن لم نتفق تماماً، فإنها تجتمع على ربطها بالعمل الميداني.

يلخص بنفورد تلك المهمة في قوله أن فهمنا للسجل الأثري يرتكز على قدر معرفي يربط النشاط البشري بنتائج ذلك النشاط (Binford 1983, p.19) لكشف العلاقة بين السلوك البشري والمخلف المادي عبر ربط ظاهرة معاصرة معروفة بأخرى قديمة تتجسد جزئياً في السجل الأثري. وهنا تبرز الاتنوارکيولوجيا كأنجح الوسائل للقيام بتلك المهمة حيث تربط مباشرة بين السلوك البشري ونتائجه. فالمادة الاتنوغرافية توفر وسائل تربط السلوك البشري المعاصر بالمنتج المادي الحالي. والتشابه بين المنتج المادي المعاصر ورصيفه القديم يمكن أن يصل بنا بدوره إلى السلوك القديم الذي أدى إلى ذلك المنتج (Sinopoli 1991, pp. 71 - 72). وأن كان لعلم الآثار أن يسعى للوصول إلى سلوك مجتمعات بائدة أكثر من بحثه عن نتائج ذلك السلوك، تبقى

الاثنواركيولوجيا هي الوسيلة الأكثر ملاءمة لربط السلوك البشري بالحضارة المادية، رغم ما يواجه ذلك من انتقاد (Hodder 1986 , pp.103 - 115).

منذ أن تبلور علم الآثار استخدم الآثاريون المقاربة الأثنواغرافية (Ethnographic anology) لتفسير الظواهر الأثرية. فبحكم الوحدة النفسية عند البشر فإن مسيرة الحضارة في الماضي والحاضر على تباينها تسير من البساطة إلى التعقيد، كما نادت المدارس التطورية. فمجتمعات الصيادين والسمَّاكة والرعاة الحرفيين المعاصرة تمدنا بنمط سلوكي خاص بممارساتهم يمكن أن تسلط الضوء على رصفائهم في الماضي. تلك الملاحظة أشار إليها بعض الآثاريين الأوائل حيث يذكر جون لوبك " ... بدراساتنا للمجتمعات البدائية المعاصرة يمكن أن نحصل على صورة حقيقية لحياة الإنسان القديم ونتعرف على المراحل التي عبرت بها حضارتنا البشرية" (Lubbock 1865). واستمر الآثاريون في استخدام هذا المنهج في أعمالهم لفترة طويلة خاصة حين عمدت المتاحف الأوربية إلى إثراء مقتنياتها الاثنواغرافية وتسليط الضوء على آثار ما قبل التاريخ الأوربي بإرسال بعثات إلى أمريكا لجمع مادة اثنوغرافية عن الهنود الأمريكيين (دانيال 2000) وما يعرف بالمجتمعات "البدائية" في أفريقيا واستراليا. قام البعض بوصف حياة تلك الشعوب بجوانبها المادية والمعنوية، وقدمت معلوماتهم خدمة جليلة للآثاريين وهم يحاولون فهم وتفسير المادة الأثرية.

تستند هذه النظرة على افتراض وجود تشابه في كل مناحي التكيف البيئي بين المجتمع "البدائي" المعاصر ورصيفه القديم، دون ملاحظة أن درجة التشابه بين المجتمعين قد لا تصل إلى الحد الذي يمكننا من افتراض تطابق مباشر بينهما، بحكم اختلاف الزمان والمكان وتباين الأحوال البيئية وجوانب التكيف. وتلك ملاحظة تنبه لها الانثروبولوجي الأمريكي فرانز بواز منذ عام 1896م في مقال له بعنوان "محدودية المنهج المقارن في الانثروبولوجيا " (Lauer 1970, p.176) ممهداً الطريق لنقد منهج المقاربات الاتنوغرافية.

لقد أدرك الآثاريون أن المقاربات البسيطة التي تستند على أن التشابه بين المجتمعات المعاصرة ورصيفاتها القديمة في بعض الجوانب يفترض تشابهًا في بقية الجوانب، وهو أمر لا يمكن الاعتماد عليه بشكل تام في تفسير السجل الأثري. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بين هذه الفرضية وفرضية الاستمرارية الحضارية التاريخية. وعليه أصبح إسقاط نماذج الحاضر لفهم السلوك البشري في الماضي لا يخلو من اشكالات (Freeman 1968, pp.62 - 67). غير أن تلك المقاربة تبقي ضرورة ويبقي الحل في كيفية استخدامها. جاءت الاثنوارکيولوجيا منهجاً يطرح توجهاً بديلاً محاولاً فهم السلوك الذي يقف خلف المنتج الحضاري.

كان الفخار - بدوره - قد نال حظه من الدراسات الاثنوغرافية مع التحولات التي شهدتها أهداف ومناهج علم الآثار خلال النصف الثاني من القرن العشرين في العديد من مناطق العالم، شملت الشرق الأدنى وشبه القارة الهندية (Rye 1981; Sinopoli 1991, pp.33-42) وأفريقيا، شمال وجنوب الصحراء (Mclntosh 1974; Hudson 1997) ، وكذلك أمريكا الوسطى والجنوبية (David & Kramer 2001, p.28) . وقد عرضت تلك الدراسات للكثير من جوانب الفخار، مثل التقنية والوظيفة والطراز والحرق والتسويق والاستهلاك ونحو ذلك (Stark 2003, p.202) . كان بعض تلك الدراسات شمولياً حيث شملت جيمع المراحل بدءاً من جلب المادة الخام إلى مرحلة الاستخدام، وتركز بعضها على جوانب محددة كأن تختص الدراسة بالتشكيل أو الحرق أو التسويق، دون بقية الجوانب (Ibid., pp. 202 - 210).

أما في السودان، فخلال الأعمال الآثارية المبكرة لاحظ الآثاريون أن الفخار التقليدي اليدوي لازال يصنع حول المواقع التي يعملون بها، وأن النساء دون الرجال هن من يقمن به (Randall - Maclver 1905, p.22 ; Reisner 1923, p.324) وعزا البعض ذلك لاحقاً إلى كونه تقليداً موروثاً وإلى الطبيعة المحافظة للمرأة في تلك المجتمعات (Adams 1964, p.130 ; Shinnie 1955, p.81; Ibid. 1967, p.

(116 وأنه يصنع داخل كل بيت للاستخدام المحلي (Adams 1964, p.130). غير أن أول دراسة اثنوغرافية للفخار هي تلك التي قام بها كروفوت في دارفور بغربي السودان (Blent and Crowfoot 1924; Crowfoot 1925). أعقب ذلك دراسة أخرى مشابهة في ذات المنطقة قام بها آركل (Arkell 1939). وعلى الرغم من أن صناعة الفخار التقليدي اليدوي قد عرفت في مناطق عديدة من السودان إلا أن تلك الأعمال المبكرة قد فتحت الباب واسعاً أمام الدارسين للتركيز على أماكن صناعة الفخار التقليدي في دارفور أكثر من سواها.

ضمن تلك الدراسات ما قام به عبد المجيد أحمد عبد الرحمن من دراسة اثنوغرافية لمجموعات عرقية في جنوبي دارفور تتبع فيها صناعة الفخار التقليدي اليدوي بدءاً من جلب التربة واعداد الشوائب وخلطها ، دون تحديد نسب هذه العناصر. ثم الانتقال إلى مرحلة البناء، وأن لم يحدد منهج البناء. ثم ينتقل الباحث مع الصانع إلى مرحلة معالجة السطح وتنفيذ الزخرف ووصف مرحلة الحرق التي تتم في أفران مفتوحة يستخدم فيها وقود سريع الاشتعال وتغطي بكسر الفخار وقطع معدنية. بعدها تنتقل الأواني إلى أسواق القرى بغرض بيعها أو مبادلتها بسلع أخرى (Abdu- Al-Rahman 1984).

قام جمال جعفر عباس الحسن (1996م) بإعداد بحث تكميلي عن الفخار المروي تعرض فيه لدراسة اثنوغرافية للفخار التقليدي في منطقة مروي - كريمة ومنطقة أمدرمان. كذلك قامت إيلينا غارسيا بدراسة اثنوغرافية حين زارت مركزين لتصنيع الفخار التقليدي اليدوي في شمالي السودان يقعان ضمن الإطار الذي يتناوله هذا البحث، تتبعت الباحثة في دراستها مراحل الإنتاج في المركزين بدءاً من جلب المادة الخام وإضافة الشوائب إلى تشكيل الأواني وحرقها. لم تذهب الدراسة إلى مراحل ما بعد الحرق كما أنها لم تسلط الضوء بشكل مباشر على أية من قضايا الفخار الأثري (Garcea 2004, pp.95 - 102). عليه فإن هذه الدراسات بقيت في إطارها

الاثنوغرافي ولم تنتهج منهجاً اثنوارکيولوجياً يعالج قضايا الفخار الأثري بشكل مباشر.

هدف يحث في المجال الاثنوارکيولوجي أجراه جاك روبرتسون وعباس محمد علي (Robertson & Mohammed Ali 1976) إلى : 1 - اختبار جدوى المقاربة الاثنوغرافية في دراسة الفخار القديم 2 – والتساؤل عما أن كان استمرار إنتاج الفخار التقليدي نتاج لموروث سائد أم لوظائف سائدة؟ 3 – والتساؤل أيضاً عن الوضع الاجتماعي لصنَّاع الفخار من المجتمع الذي يعملون فيه. أجرى الباحثان دراسة على صناعة الفخار التقليدي اليدوي حول مدينة مروى القديمة (شكل 1) عاصمة دولة كوش التي حكمت شمالي ووسط السودان خلال الفترة بين نحو (590 ق.م - 350م). خلصت تلك الدراسة إلى كشف قصور منهج المقاربة الاثنوغرافية. كما أوضحت أن الاستمرار في إنتاج الفخار التقليدي اليدوي جاء لسد حاجة وظيفية من مجتمع لم يعرف معدات الطبخ والتبريد الحديثة، أكثر من كونه تقليداً سائداً. أما العاملون بالمهنة فهم أفراد وافدون يعملون في مهنة لا ينظر إليها المجتمع حولهم بعين الاحترام رغم اقتناعه بضرورتها.

امتداداً للعمل في دارفور أجرت راندي هالند دراسة اثنوارکيولوجية وسط قبيلة الفور في مركزين قرب مدينة نيالا، سعت من ورائها إلى كشف بعض الغموض في جوانب فخار العصر الحجري الحديث في أواسط السودان، وكذلك إلى تسليط الضوء على مكانة صناع الفخار بالمجتمع المحلي(Haaland 1978, pp.47-61).

تتبعت الباحثة عملية الإنتاج بدءاً بإعداد المادة الخام مروراً بمرحلة التشكيل ومعالجة السطح ثم الحرق، وأن غابت فيها جوانب التوزيع والاستخدام والاستهلاك. توصلت الدراسة إلى استنتاجات ساهمت في الكشف عن بعض تلك الجوانب (Haaland 1978, pp.47 - 61; 1981, pp.162-4, 186-190).

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التوصل إلى نتائج قد تساهم في إزالة بعض علامات الاستفهام الخاصة بصناعة الفخار قديماً. حقيقة أن دراسات سابقة، عامة وخاصة،

وعلى أكثر من صعيد قد سلطت الضوء على الكثير من قضايا الفخار القديم، إلا إن بعضها لا يزال معلقاً. ولا يذهب هذا البحث إلى أبعد من كونه محاولة لكشف بعض من جوانب الغموض تلك، منها ما طرح نفسه على الآثاريين خلال عدة سنوات من التعامل مع فخار أثرى يعود إلى حقب حضارية متباينة من حضارات السودان تمتد من العصر الحجري الحديث حتى الفترة الإسلامية.

تساؤلات البحث

إن الفخار فيما نحسب، هو أكثر المعثورات الأثرية تعقيداً، ليس فقط بحكم ما يختزنه من معلومات تعكس الكثير من الجوانب، كما ذكرنا، بل بحكم العدد الهائل من المتغيرات (Variables)، رئيسية وفرعية، التي يحويها، والكيفية التي تتداخل فيها معاً مكونة ذلك النسيج المعقد.

وبعيداً عن تلك المتغيرات فهناك من القضايا ما تعجز المادة الفخارية الأثرية بمفردها عن الإجابة عليه، مما تطلب اللجوء إلى الاثنوارکيولوجيا، من بين تلك القضايا:

1. هل يتم تشكيل الإناء الفخاري في مرحلة واحدة أم أكثر من مرحلة؟
2. هل يتم التشكيل عبر صانع واحد أم أكثر من صانع؟
3. هل الصانع متفرغ للمهنة أم ان له أعمال مهنية أخرى يقوم بها؟ هل المهنة موسمية وما هي الأسباب ؟
4. هل هناك مواسم يكثر أو يقل فيها الإنتاج دون غيرها، وما هي العوامل التي تقف وراء ذلك؟
5. هل هناك ما يميز صناعة أو زخرفة مركز معين بحيث يمكن تتبع توزيعه؟
6. هل يمكن أن تتواجد تقنيات مختلفة ومتباينة لتشكيل الفخار في المنطقة الحضارية الواحدة ؟

منهج البحث:

منطلقين من دراسة ميدانية واستناداً على منهج إثنوارکيولوجي قمت بزيارة ميدانية لعدة مراكز لتصنيع الفخار، في قرى ومدن، على أمل الوصول إلى إجابات

على تلك الأسئلة وغيرها. وقد تمت هذه الدراسة الميدانية للعينات المختارة في الأسبوع الأول من شهر يوليو من عام 2007م.

وقع اختيارنا على بعض مراكز صناعة الفخار في شمالي ووسط السودان. فالسودان أحد أقدم مراكز صناعة الفخار، ليس في أفريقيا فحسب بل وفي العالم القديم بوجه عام (Mohammed-Ali and Khabir 2003; Elamin and Mohammed - Ali 2004) إضافة إلى أنه يحوى تبايناً إثنياً هائلاً انعكس في ثراء اثنوغرافي شكَّل بنيته الثقافية الحالية. بعد مسح أولى كان اختيارنا لأربعة ورش (مصانع) لتصنيع الفخار التقليدي تتباين في طرق الصناعة. اثنان منهما من منطقة كريمة (قريتي: تنقاسى بالضفة الجنوبية والبركل بالضفة الشمالية) بشمالي السودان (شكل 1) يعملان في تصنيع الفخار يدوياً، وأن اختلفا في تفاصيل التشكيل. والاثنان الآخران في ضواحي مدينة امدرمان بوسط السودان (شكل 1) يقومان بتصنيع الفخار بواسطة العجلة، أو ما تعرف بالدولاب. وفي كل الحالات أمضينا وقتاً مع الصنَّاع تتبعنا خلاله كل مراحل الصناعة وطرحنا على الصناع الأسئلة التي تحتاج إلى توضيح، كما قمنا بتوثيق العمل بالتصوير والرسم والوصف مع الملاحظة الدقيقة. والملاحظ أن مهنة صناعة الفخار في منطقتي الدراسة قد إقتصرت على الرجال دون النساء.

1 ـ التصنيع اليدوي

في إطار العينة التي وقع عليها اختيارنا لحظ أن التصنيع اليدوي التقليدي يتم بإحدى طريقتين : تصنيع يدوي كلى وتصنيع يدوي جزئي.

أنشأت في ورشة متواضعة مقامة في الهواء الطلق، على مساحة لا تتجاوز 20م × 10م عند الطرف الغربي لقرية تنقاسي (نحو 18 كلم أسفل النيل من كريمة) قرب موقع سوقها الأسبوعي - وهو سوق تقليدي محلي قديم يعود إلى مئات من السنين وينشط يوم الثلاثاء من كل أسبوع وتفد إليه مجموعات محليه ومجموعات من بدو الصحراء - وعند حدود الرقعة الزراعية على الضفة الغربية للنيل يقوم شخصان بتصنيع الفخار يدوياً، امتداداً لتقليد توارثوه عن أسلافهم.

1ـ1 هوية الصنّاع وتاريخ الصناعة:

كان لابد من الاستفسار عن هوية القائمين على هذه الصناعة وتاريخها، وبسؤالهم عن هويتهم ذكروا أنهم " من أهل المنطقة ولا يعرفون لهم جذوراً غيرها ". أما أهالي القرية فكان لهم رأى آخر، إذ يرون " أن هؤلاء ينتمون إلى سلالة نزحت إلى القرية منذ ثلاثة أجيال أو أكثر، وليس لهم جذور محلية". وبذلك يعنون أن ليس لهم أبناء عمومة أو أقارب بين أهل القرية ولا يمتلكون أراضٍ زراعية فيها. وليست لهم أية حرفة أخرى يعملون بها سوى صناعة الفخار. يفيد هذا التضارب في الإجابة، فيما نحسب، بأن الجميع على حق. فالصناع لا يعرفون جذوراً غير تنقاسى التي ولدوا فيها وولد فيها آباؤهم. وأهل القرية يدركون بأن هذه المجموعة ليست جزءاً من نسيجهم الأثنى، خلافاً لنظرتهم الدونية لهذه الصناعة.

أما تاريخ الصناعة في المنطقة فيبدو أنه أقدم مما يمكن أن تحده الذاكرة. فالصناع وأهل القرية لا تذهب ذاكرتهم لأكثر من ثلاثة أجيال ومنذ ذلك الحين والصناعة قائمة. ونحسب أن سوق تنقاسى كان عامل الجذب الرئيس لهذه الصناعة. فالسوق ظل حتى وقت قريب أكبر أسواق المنطقة. وجاء ذكره في عدد من كتابات الرحالة خلال القرن التاسع عشر. ولا يستبعد إذاً أن تنمو وتزدهر صناعة وتجارة الفخار عنده. أما الآن فقد هبط السوق إلى المركز الثاني بعد سوق مدينة كريمة الحديثة، وهبطت معه تجارة وصناعة الفخار نسبياً بسبب زحف المعدات الكهربائية والأواني المعدني والبلاستيكية على بعض الوظائف التي كانت تؤديها الأواني الفخارية، حيث اختصر استخدام الأواني الفخارية حالياً على حفظ وتبريد ماء الشرب إلى جانب وظائف جانبية مثل تخزين الحبوب وزراعة شتول الزينة ونحوها.

يتركز العمل في مكان بسيط بعيداً عن المنطقة السكنية، على ضفاف النهر، في ساحة صغيرة وسط أشجار النخيل، تتوافر فيه المقومات اللازمة للعمل من ظل وتهوية وإضاءة مناسبة ومكان يميل إلى الرطوبة نوعاً (لقرب الموقع من النيل) مما يساهم في عدم تشقق المصنوعات الفخارية نتيجة الجفاف السريع.

2ـ1 **إعداد العجينة**:

يعنى بالعجينة هنا المادة الخام المعدة للصناعة والتي تتكون من التربة والشوائب والماء. وتبدأ بجلب التربة الطينية من شاطئ النهر وهي مادة طينية لزجة تعود أصولها إلى الهضبة الأثيوبية، جرفتها مياه النهر المنحدرة من هناك بعد موسم الأمطار لتترسب على ضفاف النهر سنوياً خلال موسم الفيضان.

تجلب التربة الطينية من ضفاف النهر وعادة ما تكون شديدة اللزوجة مما يعرض الإناء لاحقاً للتشقق أثناء تجفيفه أو حرقه. لذا يقلل الصانع من درجة اللزوجة تلك بإضافة ما يعرف بالشوائب وهي أما تربة أكثر خشونة أو القليل من روث الحيوانات أو التبن للموازنة بين درجتي اللزوجة والخشونة في العجينة. قبل الخلط تنقي التربة أولاً من أية مواد عضوية ظاهرة أو حصى اختلط بها، ثم تخلط بالشوائب بشكل جيد، ويضاف إليها الماء وتعجن بحيث تخلو من الجيوب الهوائية حتى تصبح متماسكة (لوحة 1). وعادة ما يتم الخلط بنسب معروفة للصانع أكتسبها بالخبرة كأن يضع أربعة مقادير من التربة مع مقدار واحد من الشوائب وخلطها بالماء. توضع هذه العجينة في شكل كتلة على سطح نظيف في منطقة شبه مظللة (تحت ظل شجرة) ثم يغطي بغطاء مسامي أو فرشة حصير بحيث تجنبه أشعة الشمس المباشرة وتسمح فقط بدخول الهواء. تترك هذه الكتلة الطينية من منتصف اليوم حتى صبيحة اليوم التالي ليبدأ البناء، أي تشكيل الأواني، في الصباح الباكر.

3ـ1 **البناء**:

يعني الاعداد الأولي للإناء والذي يتداخل فيه متغيرا الشكل والحجم ، كما تتداخل فيه طريقتان للتشكيل. يحدد الصانع نظرياً شكل وحجم الإناء الذي يود تشكيله. ويذكر الصانع أن ذلك يتم حسب الطلب أو في الغالب الأعم حسب حاجة السوق.

يتم البناء على مرحلتين بينهما فارق زمني قصير نسبياً، فيبدأ بتشكيل النصف العلوي من الإناء حيث يعد لوحتين من الطين، يحول كل منهما إلى نصف دائرة ويضعهما على مكان نظيف ومسطح تحت ظل شجرة بعيداً عن أشعة الشمس

المباشرة، وفي مكان يمر عبره تيار هوائي. فالظل يحول دون التشقق والهواء يؤدي إلى التجفيف البطيء. يعمل الصانع على إلتحام اللوحتين ليشكل دائرة تصبح لاحقاً هي محيط وسط الإناء. بعد إلتصاقهما يمسك الصانع في يده اليمنى بقطعة محدبة من الخشب أو كسرة من غشاء القرع تعرف بالخراطة. ويضع يده اليسرى داخل الجدار الدائري ويبدأ في سحب العجينة إلى الأعلى ويسير حول محيط الإناء. وبذلك يقلل من سمك الجدار ويزيد من إرتفاعه ليصل به إلى السمك المطلوب. بعدها يتجه إلى العجينة الطينية ويشكل حبلاً طينياً رقيقاً ليكفي نصف المحيط أو المحيط بكامله إن كان الإناء صغير الحجم. وهنا نلاحظ أنه انتقل من استخدام الألواح الطينية إلى اللفائف الحبلية. يضع اللفائف على أعلا الجدار وبعد أن تلتحما بالجدار يعمل على سحبها إلى أعلا كذلك بحيث يتناسب سمكهما وسمك الجدار. وفي ذات الوقت يعمل على سحب الجدار إلى الداخل ليصل به إلى منطقة العنق والفوهة التي يضيق محيطها عن محيط الوسط. يواصل الصانع إضافة اللفائف الحبلية وسحب العجينة حسب حجم الإناء حتى يبلغ الفوهة وبذلك يصل إلى تشكيل النصف العلوي للإناء (لوحة 2). خلال هذه العملية يحتفظ الصانع إلى جانبه بإناء صغير ذي فوهة واسعة به ماء. وبين الحين والآخر يدخل فيه يده والخراطة للتخلص من بقايا العجينة من ناحية وإضافة القليل من الماء إلى سطح الإناء للمزيد من التماسك. وتلعب الكف اليسرى التي تبقى داخل الإناء الدور الأساسي في التشكيل بأن تحول دون ضغط الخراطة والكف اليمنى من الخارج. عند اكتمال بناء النصف العلوي يقوم الصانع بعملية تمليس أولية بالخراطة للسطح الخارجي والداخلي للإناء ويتركه في مكانه لمدة ثلاث ساعات تقريباً ليجف قليلاً ويصبح قادراً على تحمل بناء النصف الآخر (السفلي).

يستغل الصانع هذا الوقت لبناء المزيد من الأجزاء العليا لأواني أخرى أو القيام بأي أعمال أخرى تتعلق بعمله. يعود بعد ذلك لتكملة تشكيل الإناء الأول بعد أن يكون قد جف. يبدأ بقلب نصف الإناء العلوي حيث تكون الفوهة إلى أسفل. يضع لفائف حبلية على محيط جدار الإناء وبنفس الاسلوب يواصل البناء. الكف اليمنى

تمسك بالخراطة واليسرى من الداخل وسحب العجينة بالشكل الذي يتناسب وسمك الجدار مع سحبه إلى الداخل في إتجاه قاعدة الإناء حتى يصل إلى نقطة لقاء الجدار التي لا تتجاوز حجم الأصبع في أسفل الإناء وهناك يقوم بإغلاقها بقطعة من العجينة. خلال كل ذلك يمارس الصانع عملية التمليس الأولى.

4ـ1 معالجة السطح:

بعد ذلك يتحول الصانع لتكملة تشكيل إناء آخر تاركاً النصف السفلي من الإناء الأول ليجف قليلاً، يعود بعدها لإجراء عملية التمليس النهائية عليه بإستخدام خرقة مبتلة بالقليل من الماء. ويترك الإناء ليجف تدريجياً بشكل تام لمدة ثلاثة أيام. ولا يميل الصانع لتنفيذ أية زخرفة على السطح كما لا يعمل على إضافة عنصر لمعالجة السطح ليبقي على مسامات الإناء للتبريد، خاصة أواني تبريد مياه الشرب. ويمكن ملاحظة الفرق بين لوني السطح في الجزء العلوي والجزء السفلي من الإناء (لوحة 3).

5ـ1 الحرق:

يتم حرق الأواني في أفران سطحية يعدها الفخاري بنفسه، وهي حفرة بسيطة تحت السطح، لا يزيد عمقها عن متر، بيضاوية الشكل (Garcea 2004, p.101, pl. 14). ينظف الفرن من آثار الحرق السابق سواء كان رماداً أو كسر فخارية ويوضع الوقود الذي يتكون من التبن أو الروث أو أغصان الأشجار على سطح قاعدة الفرن وإلى الجانبين. ثم توضع الأواني على جنباتها ويوضع المزيد من الوقود عليها وحولها وبينها وتغطى تماماً بالوقود وتشعل النار بعد أن توضع بعض الكسر الفخارية بين الأواني المراد حرقها لتثبيتها.

تظل الأواني في الفرن المشتعل لنحو ثلاث ساعات. في بعض الحالات يمكن إضافة المزيد من الوقود. وتترك الأواني لمدة يوم كامل حتى تبرد تدريجياً وتوضع إلى جانب الفرن بهدف ترحيلها إلى السوق.

يلاحظ في مثل هذه الأفران أن السطح الخارجي للإناء يأخذ لوناً أحمراً بحكم تسرب الكربون بسهولة إلى الخارج إذ أن الفرن لا يتحكم في حبس الكربون

بالداخل. كذلك فإن الاشتعال عادة يكون قصيراً في زمنه ودرجة الحرارة لا تتناسق في كل الفرن إذ يصعب التحكم فيها.

1ـ6 التسويق:

ينعقد السوق الاسبوعي في قرية تنقاسي يوم الثلاثاء. لذا يتم الحرق عادة يوم الاثنين. وفي صباح يوم الثلاثاء تنقل الأواني إلى مكان محدد في السوق اعتاد الصناع على عرض الأواني فيه. ويتم النقل على الكتف أو على عربة تجرها الخيل أو الحمير بحكم قرب السوق لمركز الصناعة. ويشترك الفخاري مع غيره في تسويق الانتاج.

يعتقد الصناع أن هذه الأواني تعمر لفترة طويلة قد تصل إلى عشر سنوات. بعدها قد يغلق طول الاستخدام المسامات، ويمكن بعدها أن تتحول هذه الأواني لجرار لتخزين مياه لغير أغراض الشرب أو لتخزين البذور والتمور ونحو ذلك. أما في حالة التهشم فيلقى بالقطع الصغيرة، أما الكبيرة فيوضع فيها الماء في أقفاص الدواجن والحمام.

2 – الصناعة بالقالب:

تحت مجموعة من أشجار النخيل قرب النهر في قرية البركل على الضفة الغربية للنيل وعلى مسافة نحو 4 كيلومترات من مدينة كريمة تقيم مجموعة من شخصين أيضاً مركزاً لتصنيع أواني فخارية.

1ـ2 هوية الصناع وتاريخ الصناعة:

يدير مركز البركل شخصان تجمع بينهما صلة قرابة، ولا يزعمان أن لهما صلة بأهل المنطقة، فقد وفد أسلافهما من منطقة سنار. وقد تعلما الصناعة من الجيل السابق لهما. غير أن تاريخ الصناعة في البركل لا يعود إلى تاريخ طويل شأن المركز السابق في تنقاسي، إذ لا يعود لأكثر من جيلين. غير أن أهل القرية يذكرون أن جذور هذه المجموعة تعود إلى غرب السودان وهي منطقة اشتهرت تاريخياً بصناعة الفخار. وقد نزح أجدادهم إلى البركل منذ جيلين. ويرى هؤلاء أيضاً شأن رصفائهم في تنقاسي أن دور الأواني الفخارية قد تقلص كثيراً عما كان عليه في الماضي بسبب انتشار الأواني البلاستيكية والمعدنية مما حصر دور الأواني الفخارية في وظائف محددة.

2.2 إعداد العجينة:

تعد العجينة بذات الطريقة التي تعد بها في حالة البناء اليدوي الكامل التي عرضناها أعلاه. وهي جلب التربة الطينية من ضفاف النهر القريب وتتم تنقيتها من الحصى والمواد العضوية الظاهرة، إن وجدت. ثم توضع في حوض أرضي محفور على السطح. بعدها تضاف إليه الشوائب التي يوتى بها من مزراعي القرية وهي غالباً ما تتكون من روث الحيوانات وتخلط بنسبة تقدر 4:1 (أي مقدار من الشوائب مقابل أربعة مقادير من التربة) وإن كانت هذه النسبة ليست ثابتة إذ قد تزيد أو تنقص حسب لزوجة التربة ونوع الشوائب. بعد ذلك يضاف إليها الماء وتعجن بالأرجل أولاً حتى تتماسك ثم تستخدم الأيدي للمزيد من التماسك وإخراج فقاعات الهواء من داخل العجينة إذ أن لها آثاراً سلبية عند الحرق. توضع بعدها العجينة في شكل كتلة طينية على سطح نظيف تحت الظل وتغطى بخرقة لتحول دون جفافها استعداداً لتشكيل الأواني.

3.2 البناء:

يستخدم الصانع قوالب طينية تتقارب في أشكالها وتتباين في أحجامها، وهي مصنعة من عجينة طينية غير محروقة شكلت على هيئة النصف السفلي للإناء الفخاري. وفي الوقت الذي تبدأ فيه الصناعة اليدوية السابقة بتشكيل النصف العلوي للإناء أولاً، كما رأينا، يسير العمل في الإتجاه الآخر حيث يبدأ بتشكيل النصف السفلي للإناء، أي أن الصانع يبدأ باستخدام القالب.

يضع الصانع القالب في مكان مسطح ونظيف بعيداً عن أشعة الشمس المباشرة وفي مجرى تيار هوائي. وتوضع قاعدة القالب المسطحة التي تشكل وسط الإناء إلى أسفل مرتكزة على سطح الأرض وقاعدة القالب إلى أعلا (لوحة 4). يأخذ الصانع قدراً من العجينة ويضعه على القاعدة في أعلا القالب. ثم يبدأ بضغط العجينة بكلتا يديه على سطح القالب ويسحبها إلى أسفل بيديه مستخدماً القليل من الماء من وعاء إلى جانبه والاستعانة بالخراطة أحياناً. ونحن نراقب هذه العملية برز لدينا سؤال يتعلق بالكيفية التي يتحكم بها الصانع في سمك جدار الإناء، إذ ليس من سبيل لمعرفة السمك خلال

عملية ضغط العجينة على سطح القالب. غير أن الخبرة الطويلة وتراكم التجربة لدى الصانع هما المعياران الوحيدان في ذلك.

حين يصل بالعجينة إلى أسفل القالب يقم بتمليسها بشكل أولي، ثم يترك القالب وعليه نصف الإناء ملتصقاً به لفترة تتراوح بين الساعتين والثلاثة في مكانه للتجفيف ولتحمل بناء النصف العلوي للإناء وكذلك لإنفصال نصف الإناء عن القالب (لوحة 5). يذهب الصانع بعدها لإعداد نصف إناء آخر على قالب آخر، ثم يعود بعد أن يجف الإناء الأول نسبياً لسحب نصف الإناء من القالب. ثم يضع قاعدة الإناء إلى أسفل في حفرة صغيرة في الظل أيضاً يثبت فيها الإناء بقاعدته المخروطية ويصبح جاهزاً لتكملة بناء الجزء المتبقي من الإناء (أي النصف العلوي) الذي يرتكز عليه.

يتم تشكيل بناء النصف العلوي بوضع لفائف حبلية من العجينة فوق جدار النصف السفلي وسحبها إلى أعلا بذات الطريقة المتبعة في البناء اليدوي السابق بوضع الكف اليسرى على سطح الجدار من الداخل والكف اليمنى ممسكة بالخراطة على السطح الخارجي حتى يصل إلى منطقة العنق حيث يضيق الإناء قليلاً عند العنق والفوهة. وهنا تجدر الإشارة إلى وجود نوع آخر من القوالب، في بعض المراكز في المنطقة، يصنع على هيئة آنية بمختلف الأحجام والأشكال. ويتكون من عدة أجزاء قابلة للتجميع، لا قطعة واحدة، يقوم الصانع بصب العجينة بداخلها لتأخذ العجينة شكل القالب. وبعد أن تجف يعمل الصانع على تفكيك أجزاء القالب، فيبدو الإناء الفخاري متخذاً شكل القالب. بعدها يعمل الصانع على معالجة سطحه وتكملة بقية مراحله (جمال جعفر عباس الحسن: إفادة شخصية).

تقترب هذه الطريقة من أسلوب آخر يستخدم أحياناً في المنطقة وفي مناطق أخرى حيث تعد حفرة تمثل الشكل السفلي للإناء في أرض صلبة ويغطى السطح الداخلي للحفرة بحصيرة، ثم توضع العجينة على الحصيرة على قاعدة وجانبي الحفرة وتطرق لتأخذ شكل الحفرة. وبذلك يتشكل النصف السفلي للإناء. وبعد أن يجف يستكمل بناء الجزء العلوي يدوياً عبر اللفائف الحبلية.

4.2 معالجة السطح:

بعد اكتمال البناء تتم معالجة السطح بذات الأسلوب السابق في معالجة الأواني التي تشكل يدوياً بشكل كامل. وقد تنفذ عليها زخارف بسيطة بالحز أو التمشيط تأخذ شكل خطوط هندسية متوازية.

5.2 الحرق:

لا تختلف طريقة الحرق في هذا المركز عن طريقته في الحالة السابقة (Garcea 2004, p.99, pl. 8). هنا أيضاً أعدت حفرة مخروطية أو دائرية الشكل تحت السطح بقليل حيث لا يزيد عمقها عن متر ولا يزيد أقصى قطرها عن ثلاثة أمتار، تغطي جوانبها وقاعدتها بالوقود الذي يتكون من أغصان رفيعة أو التبن. توضع الأواني بعد ذلك وتغطى بذات الوقود وتوضع عليه بعض الألواح المعدنية والكسر الفخارية الناتجة من توالف عمليات الحرق السابقة.

6.2 التسويق:

يتم التوزيع عن طريق التسويق ولا يملك الفخاريون محالاً لتسويق منتجاتهم . وعادة ما يحضر إليهم التجار والزبائن من كافة المناطق المجاورة. وأغلب ما يتم إنتاجه يتم تسويقه محلياً.

3. الصناعة بالعجلة (الدولاب):

وقع الاختيار على موقعين لصناعة الفخار بالعجلة من منطقة شرق أم درمان على الضفة الغربية للنيل، شمالي الخرطوم وتعرف المنطقة باسم أبوروف القماير. وكلاهما يعملان في ورش داخل منازل شعبية قديمة قرب شاطيء النيل، يملك كل منهما شخص يعمل معه نحو عشرين من العمال في مجال معين من الصناعة.

أفادنا أحد مالكي ورش الفخار بأن صناعة الأواني الفخارية كانت مزدهرة في السابق لحاجة الناس إليها إلا أن تطور الحياة ودخول الأواني المصنوعة من الألمونيوم والبلاستيك قلل من استخدام الأواني الفخارية وبذلك انخفض الدخل من هذه الصناعة. وعليه تحول الكثيرون إلى وظائف أخرى وتناقص عدد مراكز صناعة الفخار. وتعد قلة الأيدي العاملة سبباً لهجرة أصحاب المراكز لهذه الصناعة.

3ـ 1 هوية الصناع وتاريخ الصناعة:

هنا أيضاً كان لا بد لنا من معرفة هوية الصناع وتاريخ هذه الصناعة في المنطقة. يذكر الصناع أنهم أتوا من غرب السودان وهي منطقة كما ذكرنا اشتهرت بصناعة الفخار التقليدي. وقد عرفت صناعة الفخار بالعجلة في السودان منذ عهوده الحضارية القديمة إذ عثر على الكثير من الفخار الدولابي في حضارات كوش التي تؤرخ إلى بداية الألف الأول ق.م وحتى القرن الرابع الميلادي، غير أن المعلومات الآثارية من الحقب المتأخرة (نحو 1500- 1800م) شحيحة ولم تمدنا بما يكفي عن تلك الصناعة. ثم كان أن ازدهرت الصناعة في أواسط السودان مع بداية حقبة الحكم العثماني (1820- 1885م) واستمرت بعد ذلك. ورغم أن الصناعة قد حافظت على الأنماط القديمة والتقليدية من الأواني الفخارية إلا أنها ادخلت أنواعاً جديدة جاءت الحاجة لها لتشغل حيزاً في المجتمعات الحديثة في المدن كمجامر البخور والزهريات والقوارير والتحف الفخارية.

يتوزع العمل بين الصناع بحيث تقوم كل مجموعة منهم بأداء مرحلة محددة خلافاً لما هو الحال عند أصحاب الفخار اليدوي حيث يقوم الصانع بكل مراحل العملية. هنا تقوم مجموعة بإعداد المادة الخام، وأخرى بتجهيزها بشكل نهائي وثالثة بالتشكيل على العجلة، ومجموعة رابعة بزخرفتها وتزيينها والكتابة عليها أحياناً، ومجموعة خامسة بوضعها في مكان أمين للتجفيف التدريجي، ومجموعة أخرى للإشراف على حرقها وإخراجها من الفرن في اليوم التالي. ولعل من يجلس خلف العجلة هو أكثر العمال مهارة وأرفعهم مكانة.

الدولاب مصنوع من الخشب ويتكون من أجزاء بسيطة حيث يوضع في حفرة تحت سطح الأرض أبعادها نحو متر واحد X 45 سم. وللدولاب قرصين، قرص خشبي من الأسفل يخترقه عمود في الوسط يرتكز في أسفله على "بلي" يسهل عملية الدوران وقرص معدني في الأعلى يرتكز على أعلا العمود توضع عليه الكرة الطينية المراد تشكيلها (شكل 2). يجلس الصانع على حافة الحفرة ويضع قدميه على القرص الأسفل والضغط عليه لتحريكه. ويتحرك القرص الأسفل في حركة دائرية أفقية

يتحرك معها العمود ليحرك القرص الأعلى بدوره. وهذا القرص الأخير العلوي توضع عليه الكتلة الطينية التي يمسك بها الصانع. ولكن قبل القفز إلى التشكيل علينا تتبع مراحل الصناعة من بداياتها.

تتكون التربة التي تشكل جزءاً من المادة الخام من أكثر من نوع واحد ومن أكثر من مصدر. هناك تربة طينية تجلب من شاطيء النهر. وهذه عادة ما تكون شديدة اللزوجة (قريرة). وهناك تربة رملية خشنة نسبياً (سافوت) يؤتى بها من مصادرها، إضافة إلى تربة حديدية جيرية حمراء (رقيطة) (لوحة 6). وحسب إفادة مالك الورش فإن هذه التربة تجلب بواسطة سيارات النقل من منطقة الفتيحاب بجنوب غرب أمدرمان. ويكفي الدور الواحد عمل اسبوع كامل.

2.3 إعداد العجينة:

تخلط التربة الطينية والرملية معاً بنسبة 10 إلى 25 بالتوالي ثم تضاف إليها أربعة مقادير من التربة الجيرية الحمراء، بعد خلطها جيداً تنقل إلى الحوض الأول من حوضين متجاورين ، يعرف بحوض الغسيل تصل أبعاده إلى 3م X 2م بعمق متر إلى مترين. هنا تغسل الخلطة بالماء بتحريكها في الحوض بمسحاة لإزالة ما بها من شوائب طبيعية غير صالحة ثم تنقل إلى الحوض المجاور الذي تصل أبعاده إلى 3م X 2م X 80م والذي يعرف بحوض التصفية. ويمر الطين عبر غربال (منخل) معدني ويفرز الحصى والمواد الصلبة. بعدها يبقى الطين في حوض التصفية لمدة يوم كامل. يتحول بعدها إلى خلطة شبه جاهزة للعمل ، تترك لمدة يومين تحت الظل مغطاة لتصبح أكثر صلابة. تنتقل العجينة الطينية بعد ذلك إلى مرحلة العجن بالأرجل (لوحة 7) لجعلها متجانسة من حيث الرطوبة والشوائب وإزالة الكتل والشوائب الغريبة، ثم إعادة العجن بالأيدي (لوحة 8)، حيث توضع العجينة على فرشة أرضية مبنية من الطوب الأحمر. وبين حين وآخر توضع القليل من التربة (تعرف بالبدار) على فرشة (دكة) الطوب خلال إعادة العجن كي لا تلتصق العجينة بالفرشة. وتهدف هذه العملية إلى إفراغ العجينة من فقاعات الهواء المحتبسة في داخلها والتي تخلق فراغات غير مرغوب فيها في عمليتي

البناء والحرق لاحقاً. توضع الطينة بعد ذلك في جوال أو تغطى به لمنع تسرب الهواء إليها ولكي لا تجف. بنهاية هذه المرحلة تكون العجينة جاهزة للتشكيل.

3ـ3 البناء:

تؤخذ العجينة في شكل كتل كروية إلى العجلة (لوحة 9؛ شكل 2) حيث يقوم الصانع بوضعها على القرص العلوي ويضغط في وسط العجينة لادخال إحدى كفيه وتبقى الكف الأخرى ممسكة بالعجينة من الخارج (لوحة 10). ويبدأ دوران القرص ومعه يبدأ تحريك الأيادي لتشكيل العجينة. ويحتفظ الصانع إلى جانبه بقطعة خشبية هي الخراطة التي يستخدمها كل صناع الفخار بالمنطقة وإناء فخاري صغير فيه القليل من الماء لاستخدامها في التشكيل وتماسك العجينة. ويلاحظ هنا أن العجينة هي التي تدور في حركة دائرية وليس الخراطة ولا الصانع كما هو الحال عند تشكيل الفخار بالأيدي، الأمر الذي يوفر جهداً ووقتاً هائلين، وبالتالي يضاعف الانتاج بدرجة كبيرة.

تتباين وتتعدد مراحل بناء الأواني بالعجلة، فالأواني الكبيرة يتم تشكيلها في مراحل عدة خلافاً للأواني التي يمكن أن تشكل في مرحلة واحدة. كما أن الأواني مسطحة القاعدة مثلاً لا بد أن تتم في مرحلتين حيث تبنى القاعدة أولاً ثم يلحق بها الجدار.

4ـ3 معالجة السطح:

عند اكتمال مرحلة ما من البناء يوضع الجزء المكتمل من الإناء في الظل ليجف قليلاً ويصبح قادراً على إرتكاز الجزء المتبقي عليه وإلتحامه به. وعند اكتمال إلتحام الأجزاء تتعرض لمعالجة السطح النهائية التي تتم عبر إضافة بطانة عليه وهي عبارة عن كمية قليلة من الطين اللزج تخلط بكمية وافرة من الماء لتصبح مادة لزجة سائلة تتم إضافتها بالسكب أو عبر قطعة قماش تبلل بالسائل ثم يمسح بها على السطح الخارجي.

عند إكتمال تشكيل الإناء يعرض للتجفيف. ويتم ذلك عبر وضعه في الظل في غرفة لا تصل إليها أشعة الشمس الحارقة وتيارات الهواء القوية حيث يبقى هناك لمدة

أربعة أيام إذ إن التجفيف السريع تحت أشعة الشمس يؤدي إلى التشقق وحينما يصبح شبه جاف يوضع تحت أشعة الشمس في فترة ما بعد الظهر وقبيل الغروب بعيداً عن درجة الحرارة العالية حتى تمتص الحرارة ما تبقى من رطوبة ليصبح بعدها جاهزاً للحرق. وتتم عملية الزخرفة في بعض الحالات بين مرحلتي التجفيف حيث يوضع الإناء على طاولة ويقوم عامل آخر غير الصانع (مختص في الرسم والكتابة). وفي غرفة مجاورة لغرفة التجفيف باستخدام إحدى وسائل تنفيذ الزخرف بأدوات معدنية حادة بوضع حزوز تشكل أشكالاً هندسية أو نباتية أو كتابية على جدر الإناء أو عند العنق أو على الفوهة (لوحة 11).

5.3 الحرق:

يتكون فرن الحرق من غرفتين شيدتا من الطوب اللبن غرفة سفلى لوضع الوقود وغرفة عليا توضع فيها الأواني الفخارية (لوحة 12). والغرف أسطوانية الشكل: السفلى تسير في إتجاه أفقي والعليا في إتجاه رأسي. وتوصل بين الغرفتين فتحات مباشرة تنقل تيار الحرارة (الحمل) للأواني. ويحتاج الحرق إلى مهارة عالية ومراقبة لصيقة إذ أن أي خلل في كمية الوقود أو فترة الحرق أو طريقة وضع الأواني يمكن أن تؤدي إلى نتائج سلبية.

نسبة لإرتفاع سعر الخشب (الوقود) يستخدم الصانع في الحرق حطب الحراز والطلح والسنط والأخشاب الشوكية الأخرى الرخيصة (لوحة 6). ويجلب الحطب من السوق الذي يقع أيضاً على ضفة النيل بالقرب من ورش الفخار تحت الدراسة. ويجلب بواسطة عربة نقل يجرها حمار. وهي وسيلة نقل رخيصة مقارنة بالوسائل الأخرى الحديثة. وتحتاج عملية الحرق الواحدة إلى نحو خمسة وعشرين قنطاراً من الحطب (القنطار يمثل مئة رطل، اي نحو أربعة وأربعين كيلوجراماً). ويفضل الصانع حطب الطلح الذي يعطي حرارة عالية. يتم الإعداد للحرق منذ الصباح الباكر، إذ أن إعداد الفرن وتنظيفه من آثار الحرق السابق ورص الأواني فيه يأخذ وقتاً. ويتم الحرق عادة في الظهيرة. ويقوم بعملية الأعداد والإشراف الحرق ثلاثة أشخاص.

توضع الأواني في الغرفة العليا بحيث ترص الأواني الثقيلة والكبيرة الحجم كالجرار أولاً مرتكزة على قواعدها ومستندة على بعضها البعض. ثم يوضع صف آخر من الأواني فوق الصف السفلي وهكذا. وتملأ الفراغات بين صفوف الأواني المراد حرقها بالأواني المتصدعة التالفة وبالكسر الفخارية التي نتجت عن عمليات الحرق السابقة (لوحة 12). ويغطى الصف العلوي من الأواني بطبقة من قطع الفخار المكسرة ثم تغطى الفجوات بين الأواني الفخارية المراد حرقها كذلك، بالكسر الفخارية والأواني التالفة والطين، للإحتفاظ بحرارة الحرق لفترة أطول. ويوضع الوقود في الغرفة السفلى وتشعل النار لتنتقل تيارات الحمل الحرارية عبر الفتحات المباشرة إلى الغرفة العليا حيث الأواني الفخارية. وتستمر عملية الحرق لمدة اربع ساعات على الأقل، منها نحو ساعتين لتسخين الفرن تدريجياً. ويضيف الصانع المزيد من الحطب كلما أحس بضرورة ذلك. ويتعرف الفخاري على نضج الفخار واكتمال عملية الحرق من ملاحظة ألوان الأواني الفخارية الموجودة في الصف العلوي.

وحسب إفادة العامل المشرف على الحرق فإن نسبة التالف في كل عملية حرق للأواني الفخارية لا تزيد عن 10٪، ويحفظ التالف من الفخار للإستفادة منه أيضاً في عمليات الحرق اللاحقة.

بعد إكتمال عملية الحرق تترك الأواني في الفرن لتبرد تدريجياً. ويتم تفريغ الفرن من الأواني في اليوم التالي. ويستفيد الصانع من حطب الوقود الموجود في الفرن والذي يصير فحماً بعد إكتمال عملية حرق الفخار. ويعبىء الصانع الفحم في جوالات لعرضها للبيع في سوق الفحم المجاور لسوق الحطب القريب من ورش صناعة الفخار.

ويجدر بالذكر أن هناك أفران خاصة بالمباخر (المجامر) وهي تشبة أفران الأواني الفخارية إلا أنها أصغر حجماً (لوحة 13). وتقل عمليات الحرق في موسم الأمطار والعواصف وبالتالي يقل إنتاج الفخار في فصل الخريف. وحسب إفادة الصناع يقل الطلب أيضاً على الجرار الفخارية في فصل الشتاء حين تقل الحاجة للماء البارد.

6ـ3 التسويق:

تنقل المنتجات الفخارية بواسطة عربات النقل الصغيرة وترص بحيث لا تلتصق ببعضها فتتكسر وتتصدع أثناء النقل. ويمتلك أصحاب المصانع محلات تجارية خاصة بهم في أسواق المدينة يعرضون فيها إنتاج الورش من مختلف الأنواع. وفي بعض الحالات تعمل الورش على تنفيذ طلبات تأتي من أفراد أو مؤسسات داخل المدينة أو المدن والقرى المجاورة، وأحياناً من مناطق أبعد من ذلك. ويقدم بعض السياح والزوار إلى شراء بعض الأواني الصغيرة وأخذها كهدايا أو إقتنائها كتحف للزينة.

الخاتمة والنتائج:

عمل هذا البحث على دراسة وتوثيق صناعة الفخار التقليدي لجمع معلومات من خلال المشاهدة الميدانية المباشرة عن هذه الصناعة (في محيطها البيئي والاقتصادي والإجتماعي) التي يتسارع زوالها نتيجة للتحولات الاقتصادية والحضارية التي تشهدها المجتمعات في أواسط وشمال السودان. وقد قامت الدراسة على تسجيل الملاحظات عن خطوات التصنيع بدءاً من جمع المادة الخام حتى مرحلة توزيع وتسويق المنتجات.

عرضت الدراسة لإسلوبين من أساليب صناعة الفخار، هما الفخار اليدوي والقالبي من شمال السودان بكريمة (البركل وتنقاسي) والدولابي بوسط السودان (منطقة أمدرمان في مكان يعرف بأبي روف - القماير). ويتضح التباين في المنطقتين في تقنية الصناعة (التشكيل، الزخارف، الحرق، المنتجات الفخارية وأشكالها ووظائفها). وأسباب هذا التباين في أساليب الصناعة غير معروفة وفي حاجة لمزيد من التقصي، والدراسة تبحث في تلك الأسباب، عما إن كانت تتعلق بالوظيفة مثلاً أو بعوامل أخرى. ويشير البحث إلى إمكانية وجود هذا التباين الثقافي ربما لاتساع الرقعة الجغرافية بين منطقتي الدراسة، وربما لتباين االمحيط الاقتصادي والاجتماعي بهما، غير أن الأمر يظل في إطار كونه فرضية. وتشير الدراسات الاثنوارلوجية إلى إمكانية وجود هذا التباين حتى في المكان الواحد، أي في رقعة جغرافية واحدة. فالتقاليد الفخارية قد تكون متجاورة ولكنها متباينة وغير متجانسة. ويشير البحث إلى تركز صناعة الفخار التقليدي بمنطقتي الدراسة على ضفاف النيل لتوفر الماء والمادة الخام

(التربة) والشوائب العضوية وغير العضوية التي تضاف للتربة والماء وحطب الوقود. وتشكل ضفة النيل منطقة ملائمة للصناعة لتوفر عوامل أخرى مثل تركز الكثافة السكانية المستهلكة للمنتجات الفخارية والقرب الجغرافي للسوق. ويكفي الإنتاج المحلي كل منطقة بحيث لا يوجد فخار مجلوب أو مؤثر من منطقة إلى أخرى.

وقد تساعد مجمل نتائج هذه الدراسة في فهم ومعرفة ما يمكن أن يعكسه الفخار عن صناعته وإنتاجه في المجتمعات القديمة بصورة عامة أوطرح بدائل للتفسيرات التلقائية التي يقدمها الآثاريون بحكم تجاربهم وخبراتهم.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- دانيال، غلين 2000م، *موجز تاريخ علم الآثار*، ترجمة محمد علي، عباس سيد أحمد، دار الفيصل الثقافية، الرياض.

- جمال جعفر عباس الحسن 1996م، *الفخار المروي الاستمرارية والتغير دراسة اثنوأثرية*، بحث تكميلي لنيل درجة بكالاريوس مرتبة الشرف، غير منشور، جامعة دنقلا، كلية الآداب والدراسات الانسانية، قسم الآثار.

ثانياً: **المراجع غير العربية**

- Abdal Rahman, Abdalmageed Ahmad 1984, *The Ceramics of Southern Darfur*, A Thesis Submitted in partial Fulfillment of the requirements for the Degree of the Master of Arts (Folklore) of the University of Khartoum, Department of Folklore, Institute of African and Asian Studies.

- Adams, W. Y. 1964," An Introductory calssification of Meroitic pottery", *Kush* vol. XII, pp. 126-173.
- Arkell, A. J. 1939, "Darfur Pottery", *Sudan Notes and Records* 22, pp.79-88.

- Bently, O. and C. W. Crowfoot 1924, "Nuba Pots in the Gordon College", *Sudan notes and Records* 7/2, pp.19-27.
- Binford, L.R. (1983) *In Pursuit of the Past*, London: Thames 8 Hudson.
- Crowfoot, J. W. 1925, " Further notes on pottery", Sudan Notes and Records, 8, pp. 125-36.
- David, N. and Kramer, C. 2001, *Ethnoarchaeology in Action*, Cambridge University Press, Cambridge.
- Elamin, Y. M. and Mohammed – Ali. 2004, Umm Marrahi: An Early Holocene Ceramic Site, north of Khartoum (Sudan), *Sahara* 15, pp. 97-110.
- Freeman, L. G. 1968, A theoretical framework for interpreting archaeological materials, in *Man the Hunter* (eds. R. Lee and I. De Vore), pp. 262-67, Aldine, Chicago.
- Garcea, E. A. A. 2004, "Two different pottery productions in Northern Sudan", *Sudan & Nubia*, vol. 8, pp. 95-102.
- Haaland, R. 1978, Ethnographical observations of pottery-making in Darfur, western Sudan, with some reflections on archaeological interpretation, *Studies in Scandinavian Prehistory and Early History*, vol. 1, Copenhagen, pp. 47-61.
- Haaland, R. 1981, *Migratory Herdsmen and Cultivating Women*, Bergen.
- Hodder, I. R. 1986, *Reading the past*, Current approaches to interpretation in Archaeology, Cambridge University Press, Cambridge.
- Hudson, J. 1997, Urban pottery workshops in North Africa, in Freestone, I., and Gainster, D. (eds.), *Pottery in the*

Making: Ceramic Traditions, Smithsonian Institution Press, Washington, DC, pp. 134-139.

- Kuzmin, Y. V. 2006, "Chronology of the earliest pottery in East Asia: progress and pitfalls". *Antiquity* 80, pp. 362-37.
- Lauer, P. K. 1970,"Amphlett Islands pottery trade and the Kula", *Mankind* 7, pp.165-76.
- Lubbock, J. 1865, *Pre-Historic Times*, Williams & Norgate, London.
- McIntosh, R. J. 1974, Archaeology and mudwall decay in a West African village, World Archaeology 9, pp.154-71.
- Mellaart, J. 1964, Excavations at Catal Huyuk, third preliminary report, 1963, *Anatolian Studies* 14, pp. 39-119.
- Mellaart, J. 1965, "Anatolian pottery as a basis for cultural synthesis" in *Ceramics and man*, (ed.), F. R. Matson, Aldine, Chicago, pp.218-239.
- Mohammed-Ali and Khabir, 2003, "The wavy line and dotted wavy line pottery in the Prehistory of the Central Nile and the Sahara-Sahel Belt", *African Archaeological Review* 20 (1), pp. 25-58.
- Nakamura, T. Taniguchi, Y., Tsuji, S. , Oda, H. 2001, “Radiocarbon dating of charred residues on the earliest pottery”, *Radiocarbon* 43, pp.1129-38.
- Randall-MacIver, D. 1905, *Journal of the Anthropological Institiute of Great Britain and Ireland* 35, pp. 20-29.

- Reisner, George A. 1923, *Excavations at Kerma, 1-3. Harvard African Studies*, vol. 5, Mass, African Department of the Peabody Museum of Harvard University, Cambridge.
- Robertson, J. H and Al-Abbas Mohammed. 1976, Meroitic Modelled Potttery, in *Canadian Archaeology Abroad*, (ed.) P. L. Shinnie, John H. Robertson and Francois J. Kense, Alberta: University of Calgary, Archaeological Association of the Department of Archaeology, Calgary, pp.85-96.
- Rice, P. M. 1987, *Pottery Analysis; A Sourcebook*, University of Chicago Press, Chicago.
- Rye, O. S. 1981, *Pottery Technology: Principles and Reconstruction*. Taraxacum, Inc. Washington, D. C.
- Shinnie, P. L. 1955, *Excavations at Soba*, Sudan Antiquities Service Occasional papers, no. 3, Khartoum.
- Shinnie P. L. 1967, *Meroe: A Civilization of the Sudan*, Thames and Hudson, London.
- Sinopoli, Carla M. 1991, *Approaches to Archaeological Ceramics*, Plenum Press, New York.
- Stark, Miriam T. Sep. 2003, "Current Issues in Ceramic Ethnoarchaeology", *Journal of Archaeoligical Research*, Vol. 11, No. 3, pp.193-242.
- Stiles, D. 1977, Ethnoarchaeology: A Discussion of Methods and Applications. *Man* 12, pp. 87-103.
- Tobert, Natalie. 1984, "Ethno-Archaeoloy of pottery firing in Darfur, Sudan", in *Oxford Journal of Archaeology*, vol. 3, issue 2: 141-156.

- Vandiver, P. B., Soffer, Olga, Klima Bohuslav & Svoboda, Jifi. 1989, The *Origins of Ceramic Technology at Dolni Vestonice, Czechoslovakia*. S. 246 (24), Cambridge MA.
- Wendorf. F and Schild R. 1980, *Prehistory of the Eastern Sahara*. NewYork.

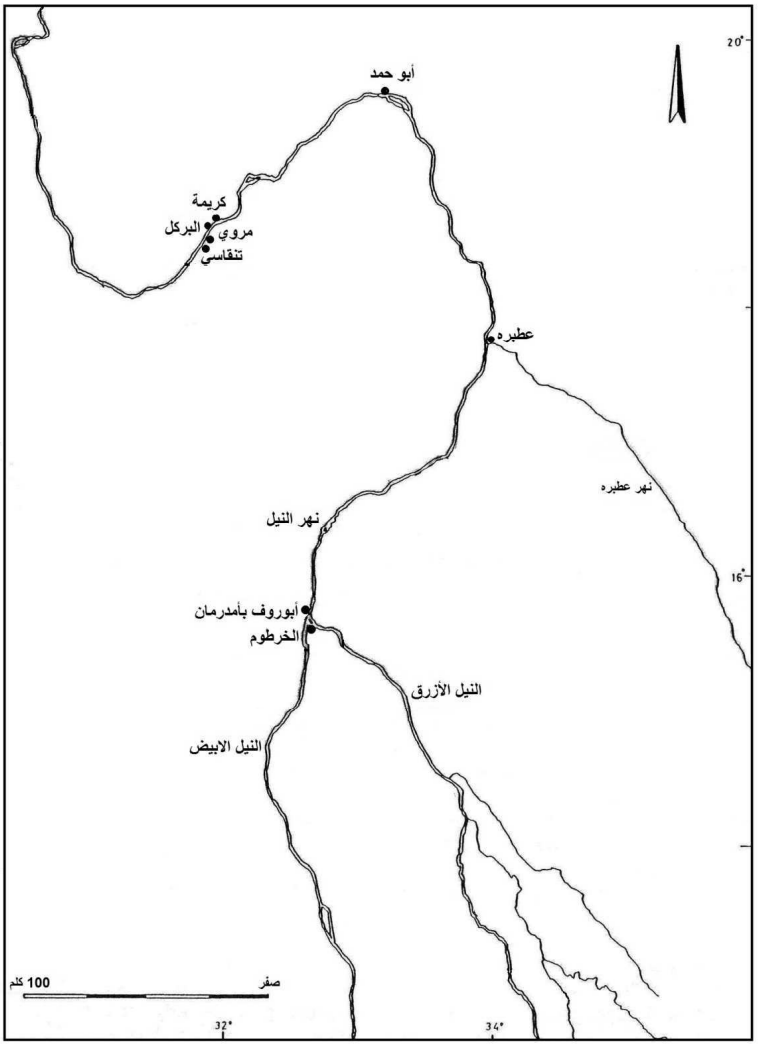

شكل 1: خريطة توضح منطقتي الدراسة في شمال ووسط السودان

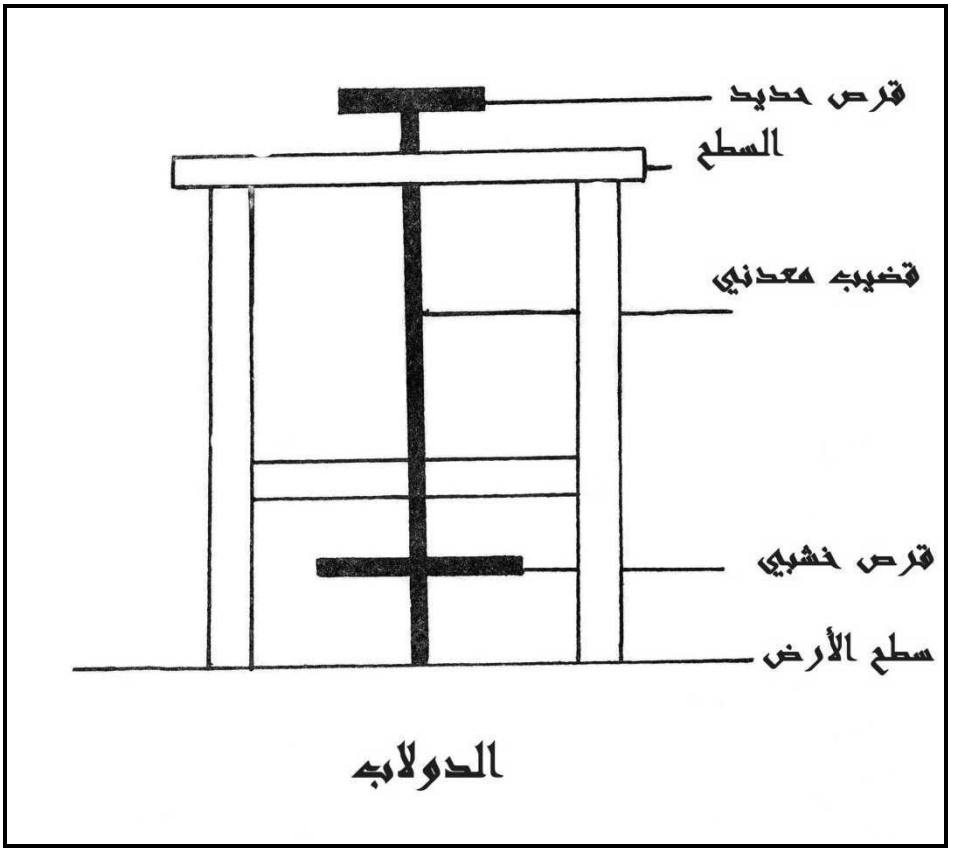

شكل 2: رسم توضيحي يبين اجزاء الدولاب

لوحة 1: إعداد الطين والشوائب- تتقاسي لوحة 2: تشكيل النصف العلوي للجرار - تتقاسي

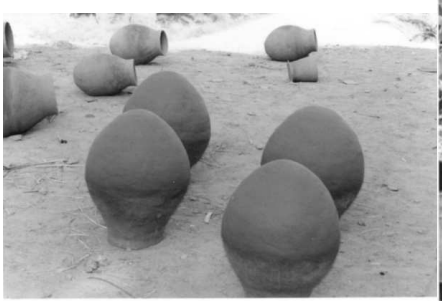

لوحة 3 :أشكال من الجرار - تتقاسي لوحة 4 تشكيل الجزء العلوي من الجرة بلفيفة- البركل.

لوحة 5: جرار (الجزء العلوي) بجانب قوالب لتشكيل الجزء السفلي- البركل

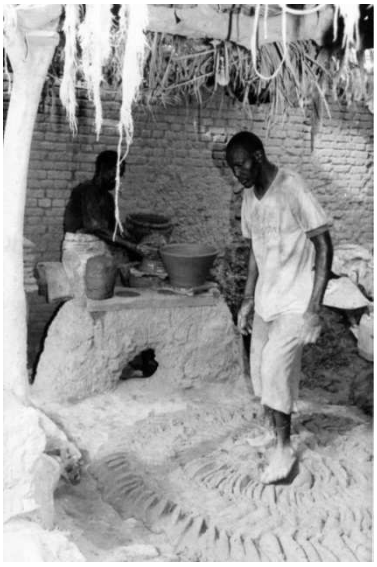

لوحة6 : الرقيطة وحطب الفرن – أمدرمان لوحة 7 : عجن الطين بالأرجل – أمدرمان

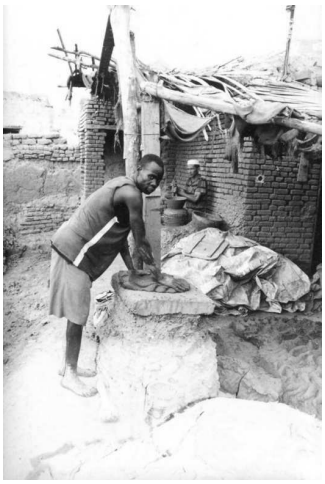

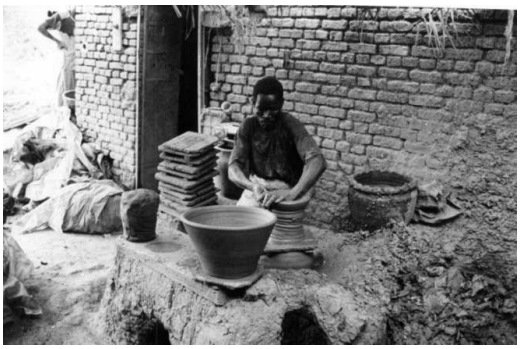

لوحة 8: عجن الطين بالأيدي –أمدرمان لوحة: 9 فخاري يشكل الأواني على الدولاب - أمدرمان

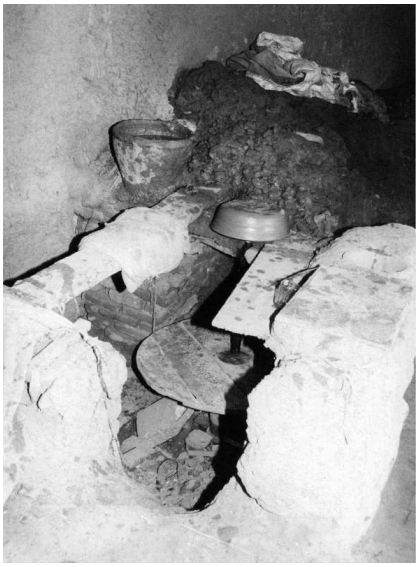

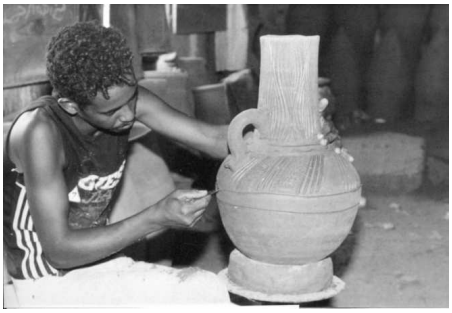

لوحة 10: دولاب صناعة الفخار –أمدرمان لوحة :11 رسام يزخرف دلال القهوة - أمدرمان

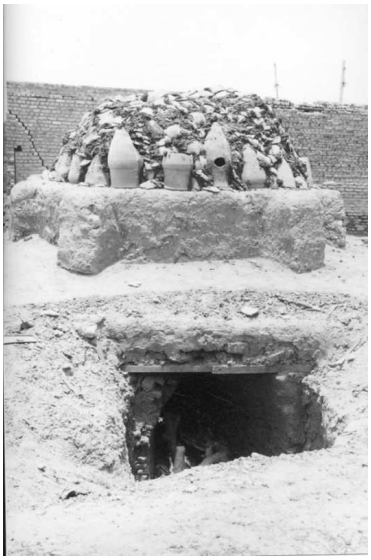

لوحة 12: فرن بحرق سفلي غير مباشر – أمدرمان لوحة 13: فرن خاص بحرق المباخر - أمدرمان

تأثير ظاهرة غسيل الأموال على اقتصاديات الدول

كلية السياحة والآثار- جامعة الملك سعود

د. محمد العطا محمد

الكلمات المفتاحية: غسيل الأموال،القطاعات الاقتصادية، التنمية، الاستثمار، أساليب غسيل الأموال، اقتصاديات الدول.

ملخص البحث :

يقدم البحث عرضاً وتحليلاً عن تأثير عمليات غسيل الأموال علي اقتصاديات الدول،وانعكاس ذلك على مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية لأفراد المجتمع، مسترشدين في ذلك جهود المجتمع الدولي المتمثلة في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية لعام 1988م، ومساهمات منظمات المجتمع المدني، وتجارب بعض الدول العربية والأجنبية في محاربة جريمة غسيل الأموال.

تناولت الدراسة الظاهرة وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي علي ستة محاور،توصلنا في نهايتها إلى عدد من الاستنتاجات التي تثبت صحة الفروض الموضوعة، والتي توضح أثر الظاهرة على التنمية الاقتصادية، وعلى تنمية المجتمع المحلي، وقد خلصت الدراسة إلى توصيات نوعية تسهم في حل المشكلة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من أن عمليات غسيل الأموال أصبحت لها تأثيراً مباشراً علي كافة القطاعات الاقتصادية في الدولة، ويظهر ذلك من خلال الاختلال الذي يحدث في توزيع الدخل القومي، وعلي الادخار، وعلي قيمة العملة المحلية، مما ينسحب سلباً على التنمية المستدامة وعلى مناخ الاستثمار.

فرضية الدراسة:

1. إن جريمة غسيل الأموال لها تأثيرات سالبة على مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلدان .

2. وضع تشريعات وآليات مشتركة بين الدول تؤدي إلى محاربة ظاهرة غسيل الأموال .

منهجية الدراسة:

تهدف الدراسة، إلى توضيح الأسباب التي أدت إلى نمو واتساع ظاهرة غسيل الأموال في كثير من دول العالم، و كشف ملابساتها وتأثيرها علي التوازن التنموي، كما تهدف الدراسة إلى التعرف على الجهود الدولية والآليات المشتركة بين الدول، للحد من جريمة غسيل الأموال .

لتحليل وتشخيص مدي صحة الفروض المتبناة، تم تنفيذ الدراسة في ضوء المنهج الوصفي التحليلي، لتحليل الحقائق والوقائع المتوافرة في البيانات والمعلومات التي تم الحصول عليها، كما تمت الاستعانة بالمنهج الاحصائي، الذي يساعد في تعزيز الجانب الوصفي التحليلي للدراسة الاجتماعية، وكذلك تمت الاستعانة بطريقة تحليل المضمون، لتحليل عدد من التجارب والاستراتيجيات لبعض البلدان العربية والأجنبية في محاربة ظاهرة غسيل الأموال .

نطاق الدراسة:

تناول الباحث الدراسة على ستة محاور هي:

- ❖ مفهوم غسيل الأموال ومراحله.
- ❖ أساليب غسيل الأموال.
- ❖ مصادر الأموال المغسولة.
- ❖ الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية لعمليات غسيل الأموال.
- ❖ الإجراءات والجهود الدولية لمكافحة غسيل الأموال.
- ❖ تجارب بعض الدول العربية والأجنبية في مكافحة غسيل الأموال .

أولاً: مفهوم غسيل الأموال ومراحله

(أ) مفهوم غسيل الأموال:

تعد فترة نهاية الثلاثينات ومطلع الأربعينيات من القرن الماضي نقطة البداية لظهور مصطلح غسيل الأموال، حيث بدأ هذا السيناريو بمدينة شيكاغو بالولايات

المتحدة الأمريكية بتكتيك وتدبير منظم من عصابات المافيا وقتئذٍ . ومنذ ذلك التاريخ باتت جريمة غسيل الأموال تمثل إحدى الظواهر التي تهدد الاستقرار الاقتصادي، والاجتماعي، على مستوى دول العالم، خاصةً الدول النامية، والدول الأقل نمواً (عبد الحميد، 2001م: 234).

إن مصطلح غسيل الأموال (تبيض الأموال) (**Money Laundering**) يعني أي فعل أو الشروع فيه بهدف إضفاء المشروعية علي الأموال المتأتية من مصادر غير مشروعة، أو إخفاء أو تمويه حقيقة الأموال أو مصدرها أو طريقة التصرف فيها أو ملكيتها مع العلم بأنها مستمدة من جريمة مثل بيع المخدرات .

كما يعرّف مصطلح غسيل الأموال بأنه عمليات متتابعة ومستمرة في محاولات متعددة لإدخال الأموال القذرة الناتجة عن الأنشطة الخفية غير المشروعة، التي تمارس من خلال مايسمى بالاقتصاد الخفي في دور النشاط الاقتصادي الرسمي، أو الظاهر لإكسابها صفة شرعية عبر الجهاز المصرفي، أو اجهزة الوساطة المالية الأخرى (عوض الله، 2003م: 8).

وقد عرّف صندوق النقد الدولي (IMF) عمليات غسيل الأموال بأنها تعني إعادة ضخ وتدوير أموال غير مشروعة في الاقتصاد وفي المشروعات المالية والقانونية، أو هي عملية يلجأ إليها من يعمل في نشاط غير مشروع بغرض إخفاء المصدر الحقيقي للدخل غير المشروع والقيام بأعمال أخرى للتمويه وإضفاء المشروعية (بشير و إبراهيم، 2011م:9).

كما عرّف **Jeffrey Robinson** عملية غسيل الأموال بأنها " مسألة مهارة"، وهي عبارة عن دوران دورة من شأنها أن تغسل ثروات وتتمثل القوة المحركة له في الاتجار غير المشروع بالمواد المخدرة، وأفعال النصب، وتهريب البضائع، واحتجاز الرهائن، وأسواق السلاح، والإرهاب (الفاعوري، 2002م :18).

نلاحظ مما سبق تعدد وتنوع تعاريف مصطلح غسيل الأموال، إلا أن جميعها يتفق علي أن ظاهرة غسيل الأموال تمثل جريمة الغرض منها تطهير الأموال غير المشروعة المتحصلة، واستثمارها وضخها في الدورة الاقتصادية .

وحفاظاً على نظام الاستثمار الداخلي والخارجي كان هناك إلتزام وتعاهدات من قبل الدول، والمنظمات الدولية، والمراكز المالية الكبرى، لمجابهة جريمة غسيل، الأموال التي ترتبط بأنشطة، وعمليات غير مشروعة، تدر دخولاً طائلة تؤثر سلباً على معدلات النمو والتوازن في اقتصاديات الدول، وبعيدة عن حدود سريان القوانين والنظم المناهضة للفساد المالي والإداري، وقد تمخض عن ذلك إصدار العديد من القوانين والنظم الخاصة التي تحد من تدفق الأموال المشبوهة إلى داخل الدول.

وتشير بعض التقارير إلى أن حجم عمليات غسيل الأموال قد بلغ حوالي (510000) مليار دولار في عام 1991م (جدول رقم 1).

جدول رقم (1) تقدير حجم عمليات غسيل الأموال في بعض الدول عام 1991م المبالغ بمليارات الدولارات

الدولة	حجم عمليات غسيل الأموال	الدولة	حجم عمليات غسيل الأموال	الدولة	حجم عمليات غسيل الأموال
استراليا	6190	ألمانيا ❖	24559	أسبانيا	6326
النمسا	2558	الهند	22104	السويد	6316
بلجيكا	6615	أيرلندا	0,539	سويسرا	2227
كندا ❖	23294	اليابان ❖	24209	بريطانيا❖	14204
الدنمارك	2959	إيطاليا ❖	51773	أمريكا❖	282784
فلندا	1585	النرويج	1710	روسيا الاتحادية	8370
فرنسا ❖	21587	إجمالي الأموال المغسولة :509.909 مليار دولار			

المصدر:ورقة عمل(دورة غسيل الأموال)،مقدمة من مؤسسة النقد العربي السعودي بالرياض2002/5/13ص8

يتضح من الجدول رقم(1) أن الدول الصناعية الكبري (أمريكا، إيطاليا، ألمانيا، اليابان، كندا، فرنسا، بريطانيا)،أكثرالدول في العالم نشاطاً في عمليات غسيل الأموال، حيث بلغ إجمالي الأموال المغسولة لديها في عام 1991م (442410) مليار دولار بنسبة مئوية (87٪)، ويظهر ذلك من خلال الجدول رقم (2)

جدول رقم (2) تفاصيل الأموال المغسولة في الدول الصناعية الكبرى

الدولة	الأموال المغسولة	النسبة ٪
الولايات المتحدة الأمريكية	283784 مليار دولار	٪64.15
إيطاليا	51773 مليار دولار	٪11.70
ألمانيا	24559 مليار دولار	٪5.55
اليابان	24209 مليار دولار	٪5.47
كندا	23294 مليار دولار	٪5.27
فرنسا	21587 مليار دولار	٪4.88
إنجلترا	14204 مليار دولار	٪3.21
الجملة	442410	٪100

المصدر: من بيانات الجدول رقم (1)

يتضح من الجدول رقم (2)، أن الولايات المتحدة الأمريكية، جاءت في صدارة الدول الصناعية الكبرى، من حيث نشاط عمليات غسيل الأموال، فقد بلغت نسبة الأموال المغسولة لديها(64,15٪) من إجمالي المبالغ المغسولة، بينما حلت بريطانيا في آخر العنقود من حيث نشاط عمليات غسيل الأموال فكانت نسبتها (3.21٪).

(ب) مراحل غسيل الاموال:

إن عملية غسيل الأموال كما ذكرنا سابقاً تهدف إلي إضفاء صفة الشرعية على أموال غير مشروعة وهي تتم بفنون ووسائل مختلفة، ولضمان نجاح العملية لابد من إيجاد حواجز أو فواصل تحول دون تتبع مصدرها، وبذلك تمر عملية غسيل الأموال بثلاث مراحل معقدة ومترابطة، نوجزها كما يلي :

مرحلة الإيداع أو التوظيف أو الإحلال (placement)

تعد المرحلة الأكثر تعقيداً لنجاح العملية، حيث تتطلب أن يكون الجهاز المصرفي أو المؤسسات المالية اللاعب الرئيس لبلورة العملية، وانسيابها، في الدورة الاقتصادية في خفاء. وهنا يتمكن الغاسلون من توظيف الأموال المحصلة من جرائم متعددة مثل (بيع المخدرات، الدعارة، إلخ...) وإدخالها مباشرة في حساباتهم البنكية، أو إيداعها في حسابات أشخاص آخرين في عدد من البنوك، بمساعدة شريك قد يكون

من كبار موظفي البنك، أو تكون الأموال المغسولة في شكل شيكات، أو بطاقات دفع، أوشهادات تأمين أو أسهم أو شيكات سياحية، وأيضاً من الوسائل التي يستخدمها الغاسلون شراء العقارات، أوالذهب، أوالتحف، النادرة . وتعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل غسيل الأموال حساسية مع الجهات الرقابية والأمنية وذلك بسبب التعامل المباشر مع العائدات المالية غير المشروعة (السيسي، 2003م: 46) .

مرحلة التغطية أو التمويه أو التعتيم: (layering)

في هذه المرحلة وبعد دخول الأموال القذرة في قنوات الجهاز المصرفي يقوم أصحاب الأموال المبيضة بفصل الأموال غير المشروعة عن مصدرها الحقيقي من خلال عدة عمليات مالية معقدة ومتتالية من التحويلات والصفقات المالية الشرعية داخلياً وخارجياً لمحو آثار الجريمة نهائياً، وتعتمد هذه المرحلة على أساليب عديدة لنقل الأموال الناجمة عن الأنشطة الإجرامية عبر البنوك والمؤسسات المالية، منها على سبيل المثال فتح حسابات عديدة بأسماء وهمية أو بأسماء شخصيات تعمل لحساب المستفيدين مثل المحامين والمحاسبين القانونيين والمستشارين الماليين، أو بأسماء أشخاص عاديين أو شركات وهمية(سفر، 2001م:36) وما يزيد الأمر تعقيداً في كثير من الأحيان أن يلجأ الغاسلون إلى تحويل الأموال إلي بنوك في بلاد تتبنى قواعد صارمة في سرية الحسابات البنكية مثل باكستان، وسوريا، وجزر كايمن، وبنما، وهي تسمى بالملاذات المصرفية الآمنة، حيث يسهل بها تأسيس الشركات الوهمية، كما توجد بها بعض الشركات التي تساعد في عمليات غسيل الأموال مثل: شركة (Swift) العالمية للاتصالات اللاسلكية التي تقوم بإجراء التحويلات البرقية للنقود حول العالم (عبد العظيم، 1997م: 35).

مرحلة التكامل أو الدمج:(Integration)

يتم في هذه المرحلة التي تمثل الحلقة الثالثة من الجريمة دمج الأموال غير المشروعة في الاقتصاد على مستواه الكلي أو الجزئي كأموال مشروعة ذات مصدر معلوم تبدو كأنها أموال قانونية سليمة ناجمة من أرباح مشروعة أو من أعمال تجارية متنوعة.

يطلق على هذه المرحلة عملية التجفيف "essorage"، وفيها يستخدم غاسلو الأموال عدة وسائل لإعادة تجميع الأموال وجعلها شرعية ونظيفة، من هذه الوسائل الشركات الوهمية التي تقوم بإعادة الأموال لأصحابها، أو من خلال مجموعة من شركات الوساطة المالية التي تقوم ببيع كميات من الأسهم والسندات الوهمية تحت مسميات وأوراق مالية ذات قيمة، أو يتم استعمال الأموال الموضوعة في شركات أجنبية بضمانات قروض محلية، ومن الممكن أن يقوم غاسلو الأموال بتنظيف أموالهم بدفع ضرائب عنها، ومن ثم يكون من الصعب على السلطات القانونية أن تدعي أن هذه الأموال آتية من أنشطة إجرامية (محمدين، 2001م: 52).

بنهاية هذه المرحلة تكون الأموال المغسولة قد بلغت مرحلة الأمان، وحينئذٍ يصعب، التفرقة بينها وبين الأموال المشروعة، وهنا يتاح للمجرمين استخدامها واستثمارها في جميع أنواع الأنشطة المتاحة في الدولة، بكل حرية وعلانية وأمام الأجهزة المختصة بمكافحة غسيل الأموال، لكونها خضعت لعدة عمليات إجرامية ليس من السهولة الكشف عن خيوطها .

ثانياً أساليب غسيل الأموال :

أسلوب التجزئة :

يكمن هذا الأسلوب في كيفية تقسيم عمليات الإيداع الكبيرة وتجزئتها إلى مبالغ صغيرة، توكل إلى عدد كبير من الأشخاص الموثوق بهم، لإيداعها في بنوك متعددة، أو إيداعها في بنك واحد على فترات متباينة، مع التركيزعلي إجراء عمليات إيداع متعددة خلال اليوم الواحد (عبد العظيم، 2000م:82).

أسلوب التضليل:

هذا الأسلوب مقصود منه مخالفة الواقع الحقيقي حيث يقوم غاسلو الأموال بإنشاء شركات "واجهات" مثل المشاريع السياحية أو الشركات التجارية الأخرى، وذلك بقصد تذويب إيرادات نشاطهم الحقيقي من المخدرات في هذه المشروعات

الوهمية، وبالتالي التستر على مصادر تلك الأموال وتضليل السلطات الأمنية ومسؤولي المصارف (عبد اللطيف، 2003م:22).

أسلوب التواطؤ:

يتمثل هذا الأسلوب في أن يجد الغاسل من يساعده من موظفي البنوك والمؤسسات المالية على تسهيل إيداعاته، دون تطبيق الإجراءات، والضوابط المنظمة للعمل المصرفي، أو يجد من يتواطأ معه من موظفي الجمارك، أو السلطات المالية مقابل عمولة (بابكر، 2003م:21).

أسلوب النقل (التهريب):

هذا الأسلوب قد يكون مادياً يلجأ إليه الغاسل لتهريب السلع النادرة أو المعادن الثمينة أو الأموال النقدية التي يصعب إيداعها في المواعين المصرفية بواسطة وسائل النقل التقليدية، سواء كانت جوية أو بحرية أو برية، أو يتم النقل عن طريق الوسائل الإلكترونية (التحويل الإلكتروني) ويعتبر هذا الأسلوب من أسرع وأخطر الأساليب التي تساعد في نجاح عمليات غسيل الأموال، نسبة لغموضه وعدم كشفه بسهولة، وبالتالي يمثل أمان ومرتكز لغاسلي الأموال (شمس الدين، 2001م:82).

أسلوب التشطير:

يستخدم هذا الأسلوب في المرحلة الثانية من مراحل غسيل الأموال، حيث يتمثل في تعدد التحويلات المالية المعقدة والمتكررة بين البنوك، وتحويل المال إلى شركات سياحية، أو سندات خزانة بغرض التهرب من التدقيق المالي وإبعاد الشبهات.

أسلوب الاقتراض:

في هذه الفرضية يقوم الغاسل باقتراض أمواله التي أودعها في مكان ما لشراء مشروع استثماري ذي طابع قانوني وشرعي، ويتم ذلك بضمان من قبل البنك المودع فيه أمواله، حيث يتم تسديد القروض على أقساط متساوية.

أسلوب الإخفاء:

القصد من وراء هذه الأسلوب إخفاء هوية المودع والمستفيد، من خلال استخدام بطاقات الدفع والإئتمان، حيث يودع الغاسل أمواله في مصرف، ويسحب من مصرف آخر، وذلك عن طريق شبكة الإنترنيت، وفقاً للخدمات المصرفية التي تقدمها البنوك

التجارية لعملائها الحقيقيين، أو عن طريق الخدمات التجارية والمالية التي تقدمها الشركات أو الوسطاء، أو الأماكن السياحية، وفي بعض الأحيان يتم ذلك من خلال شراء بنوك صغيرة (عبد الحميد، 2008م:13).

أسلوب خلط العملات الأجنبية:

اللاعب الرئيس في هذه الجزئية هم رجال الأعمال، حيث يقوم وسيط بإقناعهم باستيراد بضائع من الخارج يتم دفع قيمتها من العملات الأجنبية المتحصلة من المخدرات على سبيل المثال، واستلام مقابلها بالعملة الوطنية في البلد المستورد.

أسلوب ملكية الأدوات المالية:

يتم في هذا الأسلوب استخدام الأوراق المالية للحصول على كميات كبيرة من الأموال النظيفة بعد إجراء عمليات الغسيل لها بواسطة شركات الوساطة المالية التي تقوم بجذب أكبرعدد من العملاء مقابل تقديم خدمات لهم، أو مطالبتهم بتكاليف منخفضة نظير العمليات (الحضيري، 2003م :47).

ثالثاً مصادر الأموال المغسولة:

1- عمليات غسيل الأموال الناتجة عن تجارة المخدرات:

أشهر عمليات غسيل الأموال التي حدثت في العالم ناتجة عن تجارة المخدرات التي تعد من أسهل الجرائم، وأكثرها تنظيماً للحصول على مكاسب وأرباح طائلة، وقد أثبتت التحقيقات الفيدرالية الأميركية أن بنك الاعتماد والتجارة الدولي، وبنك ناسيونال دي باري الفرنسي يمثلان أرض خصبة لقبول الودائع المتحصلة من الأموال المشبوهة، وقد أشار تقرير صادر من مجلس الشيوخ الأميركي في عام 1992م إلى أن حجم عمليات غسيل الأموال تصل إلي مائة مليار دولار سنوياً، يتم تحويلها إلى أموال مشروعة (عبد المولي، 1420هـ:330).

وقد صدر تقرير أسترالي في عام 1997م يقدّم مشكلة غسيل الأموال في تحليل علمي مستنداً إلى احصاءات عالمية، يقدّر حجم الأموال المغسولة سنوياً في العالم بحوالي 2850 مليار دولار (جدول رقم 3).

جدول رقم (3): تقدير حجم الأموال المغسولة في عام 1997م

حجم الأموال المغسولة موزّعة على عشرين دولة يتمّ فيها عمليات الغسل			
الرقم	الدولة	المبالغ بملايين الدولارات سنوياً	النسبة للإجمالي
1	الولايات المتحدة	1320228	٪46.3
2	إيطاليا	150054	٪5.3
3	روسيا	147187	٪5.2
4	الصين	131360	٪4.6
5	ألمانيا	128266	٪4.5
6	فرنسا	124748	٪4.4
7	رومانيا	115585	٪4.1
8	كندا	82374	٪2.9
9	بريطانيا	68740	٪2.4
10	هونج كونج	62856	٪2.2
11	أسبانيا	56287	٪2
12	تايلند	32834	٪1.2
13	كوريا الجنوبية	21240	٪0.7
14	المكسيك	21119	٪0.7
15	النمسا	20231	٪0.7
16	بولندا	19714	٪0.7
17	الفلبين	18867	٪0.7
18	هولندا	183262	٪06
19	اليابان	16975	٪0.6
20	البرازيل	16786	٪0.76
جميع الدول		2850470	٪100

Proposed methodology for estimating money laundering p.8 Mr.Waker.

يلاحظ من الجدول رقم(3) أن قارة أمريكا الشمالية تحتل المركز الأول في عمليات غسيل الأموال، حيث وصل إجمالي المبلغ المغسول في كل، من أمريكا

وكندا والمكسيك إلي (1423721) مليار دولار، بنسبة مئوية بلغت (49.95٪). ثم يلي ذلك القارة الأوروبية، فقد بلغ مجمل الأموال المغسولة لديها (1014074) مليار دولار من الإجمالي السنوي، بنسبة مئوية بلغت (35.57٪).وهذا دليل علي أن الدول المتقدمة تمثل المصدر الرئيسي لعمليات غسيل الأموال في العالم .

الفساد الإداري:

يتمثل في الرشاوى ومنح التراخيص وترسية العطاءات في المشاريع المحلية مقابل صفقات مالية، وهذا النوع من الفساد منتشر في الدول النامية.

السرقة من المال العام أو الخاص:

ويتمثل ذلك في السطو على البنوك، ورجال الأعمال، والمحال التجارية الكبيرة، ويقوم بهذا الدور في الغالب السياسيون، وكبار الموظفين.

التهريب الضريبي:

وهذا يكمن في إخفاء الربح، وعدم الالتزام بسداد المبالغ المستحقة، وتهريب الأموال إلى خارج الدولة دون دفع الرسوم، أو الضرائب.

تجارة الرقيق الأبيض (تهريب النساء):

يقصد بهذا النوع من الفساد تهريب النساء بغرض الدعارة، لتحقيق مكاسب مادية كبيرة ، حيث تمارس هذه الظاهرة مافية الدعارة في أوربا الموحدة .

الاقتراض من البنوك دون ضمانات كافية:

في كثير من الأحيان يقوم المقترضون بتهريب أموالهم خارج الدولة، ويحدث ذلك نتيجة لسهولة وضعف الضمانات الكافية لسداد القروض، ويتم ذلك بمساعدة كبار الموظفين لدى البنوك مقابل دفع رشوة لهم.

المتاجرة في المواد المضرة بالبيئة:

وهذا يتعلق بدفن النفايات النووية وغيرها في مواقع محرمة لصالح الدول الصناعية الكبرى مقابل مبالغ طائلة تدفع للسياسيين ورؤساء الدول النامية.

رابعاً الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية لعملية غسيل الأموال :

(أ) الانعكاسات الاقتصادية:

إن لغسيل الأموال آثاراً سالبة على التنمية الاقتصادية، وعلى مناخ الاستثمار، وعلى السياسات النقدية، والمالية، وعلي الميزانية العامة، ويؤثر بشكل مباشر على استنزاف ثروات الأمم، مما يؤدي إلى ظهور نتائج اقتصادية واستثمارية تتصف بعدم الدقة والكفاءة المطلوبة نتيجة لتنامي الدخول غير المشروعة، والأعمال الإجرامية التي تتصف بالاقتصاد الخفي . وفيما يلي نلقي الضوء على الآثار الاقتصادية السالبة لهذه الظاهرة:

2- أثر عملية غسيل الأموال على توزيع الدخل القومي:

تعد الأموال التي يتم تصديرها وتهريبها خارج حدود الدولة بطرق ملتوية وغير مشروعة بقصد تبييضها، أو إعادة تدويرها ذات تأثير مباشر على توازن الدخل القومي، وتؤدي إلى إحداث تشوهات بالغة التعقيد في الدورة الاقتصادية، ومعدلات النمو، فهذه الأموال التي تتمثل في الأنشطة الهاربة من الضرائب، أو هي ناتجة عن الرشوة والعمولات، أو هي قروض من الجهاز المصرفي بدون ضمانات كافية، تعد جزءاً من الدخل القومي الرسمي في الدولة، وهذا بالتأكيد يؤدي إلى حصول بعض أفراد المجتمع، على دخول لم يستحقوها، مما يؤدي إلى إحداث خلل في توزيع العبء الضريبي،وعدم فعالية السياسات الاقتصادية، مما ينسحب سلباً على التخطيط القومي السليم لإعداد برامج التنمية الاقتصادية.

3- أثر غسيل الأموال على الاستثمار والادخار:

يظل الاستثمار، والادخار المحلي، في تناقص مستمر كلما كانت عمليات غسيل الأموال مسيطرة على اقتصاديات الدولة نتيجة لهروب رأس المال إلى الخارج، كما يؤدي غسيل الأموال العيني إلى اتجاه الأموال ناحية الاستهلاك الترفي دون حدوث زيادة مماثلة في الناتج المحلي الإجمالي، وهذا لا يخدم إلا قطاع ضيق من أفراد المجتمع (طاهر، 2002م:28).

تجدر الإشارة هنا إلى أن غسيل الأموال العيني يتم عادة عن طريق شراء الذهب، أو المضاربة في العقارات والأراضي، أو شراء التحف الفنية. وكما هو معلوم

فإن تدهور نمط توزيع الدخل القومي يؤثر سلباً على مستوى الاستهلاك الفردي، وعلى معدل الادخار المحلي، وأن الفساد بأنواعه المختلفة يعد مؤشرا لارتفاع الميل الحدي للادخار لدى بعض أفراد المجتمع الذين تربطهم صلة بغسيل الأموال .

وقد أوضح سرحان جاراشي أن الفترة من منتصف السبعينات إلى منتصف الثمانينات من القرن الماضي قد شهدت هروب حوالي 220 مليار دولار من 18 دولة مدينة إلى الخارج، بينما تشير تقديرات صندوق النقد الدولي إلى أن جملة الأموال المهربة من الدول النامية خلال الفترة (1975م- 1987م) تبلغ 300 مليار دولار تمثل ثلث الزيادة في حجم مديونية هذه الدول خلال نفس الفترة (السيسي، 1998م:76).

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من تنشيط للجهود الرامية إلى تعبئة الادخار المحلي الكامن، وهو ما أشارت إليه بعض الدراسات التي أوضحت أن كل دولار مقدم من الخارج أدى إلى نقص التراكم بحوالي نصف دولار بسبب الطابع الطفيلي لاقتصاديات الدول النامية وسرعة اندماجها في حركة رأس المال الدولي (حافظ، 1995م: 322).

4- أثر غسيل الأموال على الاستهلاك المحلي والتضخم:

تسهم عمليات غسيل الأموال في زيادة الكتلة النقدية والتوسع في الدخول دون أن يقابل ذلك زيادة في إنتاج السلع والخدمات، وهذا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار ونقص إيرادات الدولة من الضرائب والرسوم. كما تؤدي عمليات غسيل الأموال إلى وجود تيار استهلاكي يحدث ضغطاً على المصروف السلعي من جانب الفئات الاجتماعية التي يرتفع لديها الميل الحدي للاستهلاك، وهذا يؤدي إلى ارتفاع معدلات التضخم من جانب الطلب الكلي، ويصاحب ذلك تدهور في القوة الشرائية، ونقص في معدل الادخار ورأس المال المحلي، ينتج عن ذلك زيادة المديونية الخارجية لسد الفجوة التمويلية، علماً بأن هذه المديونية تسهم في زيادة حجم الطلب الكلي وبالتالي إمكانية حدوث ضغوط تضخمية (الحضيري، 2003م: 32).

أثر غسيل الأموال على العملة الوطنية:

يصاحب عمليات غسيل الأموال تأثيرات مباشرة على قيمة العملة الوطنية، ويظهر ذلك بوضوح من خلال زيادة الطلب على العملات الأجنبية لإجراء عمليات الإيداع والاستثمار في البنوك الأجنبية، وهذا يؤدي إلى ضعف العملة الوطنية مقابل العملات الأجنبية، وكذلك ينتج عن ذلك تدهور القوة الشرائية للنقود وإحداث خلل في القاعدة النقدية، وضعف سيطرة البنك المركزي والمؤسسات المالية المحلية على النقود السائلة المتدفقة من الخارج، وقد يحدث بسبب ذلك معالجات غير رشيدة في الأجل القصير لانتعاش الاقتصاد مثل: تعويم العملة الوطنية أمام العملات الأجنبية لجذب الاستثمارات الأجنبية، أو تشجيع وإغراء المواطنين خارج الحدود (المغتربين) لتحويل ما بحوزتهم من النقد الأجنبي إلى داخل الدولة (محمدين: 2001م87).

أثر غسيل الأموال على الأسعار المحلية وسعر الفائدة:

تؤدي عمليات غسيل الأموال إلى التذبذب المستمر في قيمة العملة الوطنية، كما أشرنا إلي ذلك سابقاً و ينتج عن ذلك ارتفاع الأسعار وزيادة سعر الفائدة، وتدهور الاحتياطات من النقد الأجنبي، وحينئذ يبرز دور المشاريع التي لها رؤوس أموال ناتجة عن غسيل الأموال في احتكار الأسعار أو إغراق السوق بالبضائع، وإحداث تشوهات في جهاز الثمن، والتسعير، وهذا يتنافى مع حرية التجارة (قشنوش، 1998م:71).

أثر غسيل الأموال على النشاط المصرفي:

تجدر الإشارة إلي أن حوالي (80٪) من الأموال المغسولة المتحصل عليها من المخدرات تمر عبر البنوك الأميركية، و(20٪) منها تتحرك بواسطة البنوك السويسرية والإيطالية، وأن عدد البنوك الأجنبية التي تقوم بعمليات غسيل الأموال وصل إلى ما بين 1000- 2000 بنك (عبد المولي، 1420هـ:330). وقد نتج عن ذلك ضعف سيطرة البنوك على السوق المالية، فضلاً عن أن الأموال المغسولة تشكل عبئاً كبيراً على مناخ الاستثمار، وتؤدي إلي ظهور منافسة غير متكافئة بين المستثمرالأجنبي والمستثمر الوطني، كما أن الرقابة المتشددة على أسعار الصرف تؤدي إلى ظهور أسواق مالية موازية ذات صلة بالاقتصاد الخفي (بابكر، 2003م: 28).

أثر غسيل الأموال على ميزان المدفوعات:

توجد علاقة طردية بين تزايد حجم عمليات غسيل الأموال ولجوء الدول إلى الاقتراض من الخارج، فنمو ظاهرة غسيل الأموال يؤدي إلى وجود عجز في ميزان المدفوعات، وهذا ينعكس سلباً على الاستثمارات المحلية والأجنبية، وعلى معدلات الإنتاجية، ويجعل الدولة تعتمد على الواردات بنسبة عالية.

وقد أثبتت إحدى الدراسات التي أعدت في الولايات المتحدة الأميركية أن غسيل الأموال يؤدي إلى انخفاض الإنتاجية بنسبة 27٪ في المتوسط، حيث ينمو القطاع الاقتصادي غير الرسمي بمعدل أسرع من معدل نمو اقتصاديات القطاع الرسمي (عبد الخالق، 1997م:81). كما أن هروب رؤوس الأموال إلى الخارج بهدف غسيلها يؤدي إلى زيادة حجم الواردات مما يحدث خللاً في الحساب الجاري لميزان المدفوعات، وهذا يؤدي إلى وجود تشوهات في الإنفاق الحكومي نتيجة لتبديد الموارد العامة الناتج عن ممارسات التهرب الضريبي.

أثر غسيل الأموال على قطاع السياحة:

تعد الاحتفالات والمهرجانات السياحية والتعاملات الإلكترونية، من أكثر الأساليب، استخداماً في عمليات غسيل الأموال، حيث يقوم غاسلو الأموال بتمويل الأنشطة السياحية بأموال يراد غسيلها، وبموجب ذلك يتحصل الغاسلون على إيرادات كبيرة، خاصة من حقوق الرعاية والامتياز والإعلانات. وحديثاً أصبحت شركات الطيران الخاصة، وشركات السياحة والسفر، من أفضل الوسائل الآمنة والفعّالة في جمع الأموال المشبوهة وإضفاء الشرعية عليها بإيداعها في القطاع المصرفي بكل يسر، وهذا يرجع إلي عدم وجود مراقبة وتدقيق لأعمال شركات السياحة، باعتبار أنها تساهم في التنمية، وتقدم خدمات تساعد في تطوير المجتمعات المحلية.

(ب) الانعكاسات الاجتماعية:

تؤدي ظاهرة غسيل الأموال إلى تراكم الأموال غير المشروعة لدى طبقة معينة من الناس، ينتج عن ذلك حدة التفاوت في توزيع الدخل بين أفراد المجتمع، وزيادة معدلات الجريمة محلياً ودولياً نظراً لاستخدام الأموال القذرة في تشجيع الجرائم التي

ترتبط بالفساد الأخلاقي، وجرائم القتل والنهب وتفاقم مشكلة البطالة، واختلال التوازن الاجتماعي، وانعدام القيم والروابط، وتفشي الممارسات غير المشروعة قانوناً كنوادي القمار، والملاهي الليلية، وممارسة الرشوة، وانتشار الدعارة، وزيادة حدة الفقر، وتدني مستوى المعيشة لعدد كبير من أفراد المجتمع،كما ينتج عن ذلك حدوث اضطرابات اجتماعية وسياسية، وزعزعة الأمن والاستقرار في المؤسسات المالية والدوائر الحكومية خصوصاً في الدول التي تقوى فيها عصابات المافيا، مثلما يحدث في بعض دول أميركا اللاتينية (حافظ، 1995م:42).

خامساً: الإجراءات والجهود الدولية لمكافحة غسيل الأموال:

اهتمت المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية بظاهرة غسيل الأموال، وقد أبرمت عدد من الاتفاقيات للحد من هذه الظاهرة، وفرضت آليات وتوجيهات على البنوك لتكثيف نشاطها المصرفي في الرقابة على الأموال المتدفقة إليها، وعلى الحوالات المحلية والدولية، وكشف الأشخاص المشتبه فيهم، وكذلك حث الدول الأعضاء على سن قوانين وتشريعات لمكافحة عمليات غسيل الأموال ومراقبتها وتتبع المجرمين.

فمن أهم المنظمات المهتمة بهذا الشأن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومن أبرز الدول الأعضاء المساندة في وقف عمليات غسيل الأموال على سبيل المثال الولايات المتحدة الأميركية، وألمانيا، وسويسرا، وفرنسا، ودول عربية منها لبنان، والأمارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية (Baker, 2002:235).

سوف نلقي الضوء في هذا المحور على الجهود الدولية والإقليمية في مكافحة غسيل الأموال، وسوف نتطرق علي سبيل المثال لا الحصر،لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية، اعتماداً على أنها الأساس الذي تبنى عليه الجهود الدولية، لمكافحة ظاهرة غسيل الأموال وسنتناول كذلك اتفاقية إستراسبورغ للدول الأوربية التي تنص على تجريم واستقصاء الأموال المتحصلة من جريمة غسيل الأموال، كما سنتطرق إلى إعلان بازل الذي يهدف إلى منع استخدام

المؤسسات المالية في أية نشاطات إجرامية، وأيضاً سنتعرض باختصار إلى بعض المؤسسات واللجان الأخرى التي أسهمت في الحد من الظاهرة، وأخيراً سنتطرق إلى جهود مؤسسات بيرتون وودز(البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) في مجابهة غسيل الأموال .

مبادئ لجنة بازل للرقابة المصرفية :

نص إعلان بازل للرقابة المصرفية في12ديسمبر عام1988م في مدينة بازل بسويسرا، على إلزام النظام المصرفي في الدول الأعضاء على ضرورة تبني سياسات رسمية فيما يختص بتحديد هوية العملاء، والاحتفاظ بالسجلات .

ويعد بيان بازل أول إجراء ذو طابع مالي لمكافحة غسيل الأموال، ومن أهم الأسباب التي أدت إلي صدوره ما يلي:

1. منع استخدام البنوك، والمؤسسات المالية، في أغراض غسيل الأموال، ويتم ذلك عبر التنسيق بين البنوك لكشف العمليات المشبوهة .
2. ارتكاب العصابات الإجرامية أنشطةً إجراميةً منظمةً، وتحقيق عائدات ضخمة يمكن استغلالها في جرائم جديدة .
3. تفعيل الدور الرقابي، والإشراف المصرفي لضمان الاستقرار المالي .
4. توخي الدقة والحذر عند فحص هوية العملاء .

ومن أهم مبادئ بيان بازل ما يلي :

- أعرف عميلك KNON YOUR CUSTOMER .
- التأكد من وجود آثار للعمليات المصرفية TRANCES MUST REMAIN .
- الاجتهاد الواجب DUE DILIGENCE .
- الامتثال للقوانين COMPLIANCE WITH LAWS .
- التعاون الفعال بين البنوك والشرطة ACTIVE CO-OPERATION BETWEEN BANKS AND THE POLICE.
- إجراء الرقابة الداخلية الملائمة ADEQUATE INTERNAL CONTROLPROCEDURES.

❖ البرامج التدريبية للموظفين TRAINING PROGRAMMERS .

وفي تطورٍ لاحقٍ وفي ذات السياق قامت لجنة بازل في عام 1990 بإصدار إجراءات أخرى لمكافحة ظاهرة غسيل الأموال، أهمها إزالة القيود الخاصة بسرية الحسابات لتمكين جهات الرقابة الوطنية من تبادل المعلومات حول الحسابات المشكوك في أمرها والتي ربما يكون لها علاقة بغسيل الأموال .

علي الرغم من الجهود الكبيرة التي قامت بها لجنة بازل للحد من عمليات غسيل الأموال، إلا أن هنالك بعض العيوب التي أحاطت بهذا الإعلان منها (السقيلي، 1997م50):

افتقاد الإعلان إلي القوة الإلزامية.

عدم إقرار جزاءات علي مخالفة قواعد الإعلان، حيث لم يتضمن الإعلان نصوص أو إشارة واضحة إلي الجزاء .

اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية لعام 1988م (فيينا) :

تعد الاتفاقية الدولية الأولي التي يعتمد عليها المجتمع الدولي في وضع الأسس لمحاربة غسيل الأموال ويطلق عليها اتفاقية فيينا، عدد أعضاؤها 185 دولة، وقد صادقت عليها 145 دولة، مع العلم أن أربعين دولة لم توقع عليها حتى الآن، وأن ثلاثين دولة فقط من الدول الموقعة على الاتفاقية تطبق إجراءات مكافحة غسيل الأموال(Francois, 1993: 137).

يجرم نص الاتفاقية التحويل أو الحيازة أو النقل أو الإخفاء لحقيقة الأموال المتحصلة من الاتجار غير المشروع في المخدرات، وملاحقة القائمين عليها قضائياً، ومصادرة الأموال المغسولة، وتبادل الخبرات الدولية للقضاء عليهم.

كما نصت الاتفاقية علي أن التجريم يشمل الأشخاص الذين لهم علم بالمصدر غير المشروع سواءً قد شاركوا في الجريمة أم لم يشاركوا بغض النظر عن الفائدة التي تعود عليهم ، كما شمل التجريم الأموال، سواء كانت نقدية، أم عينية، أم

متعلقة بوثائق تحدد ملكية الحقوق، أو التصرفات القانونية، أو الأفعال التي تسمح بتغير طبيعة المال . وبناءً علي ذلك فقد فرضت الاتفاقية علي الدول الأعضاء تجريم ظاهرة غسيل الأموال، وتبنى إجراءات صارمة للعقاب علي بعض الأفعال إذا تمت بطريقة عمدية (الفاعوري وآخرون، 2002م: 30).

مهما يكن فإن هذه الاتفاقية على الرغم من أنها أممية، نجدها قد اختصرت علي التقيّد بتجريم غسيل الأموال الناتجة عن جرائم الإتجار في المخدرات دون غيرها، بالإضافة إلى أنها اشترطت للتجريم أن يتم ارتكاب الفعل عمداً، وهذا مايصعب إثباتة في الدوائر القانونية والمحاسبية لضبابية عملية غسيل الأموال وتعقدها.

اللجنة الخاصة لمكافحة غسل الأموال (fatf) :

أنشئت هذه اللجنة باعتبارها جهازاً متخصصاً في مكافحة غسيل الأموال بواسطة حكومات الدول الصناعية السبع في اجتماع القمة الاقتصادية في عام 1989م، وتعرف هذه اللجنة باللغة العربية باسم (الفاتف)، وهي تعريب للاختصار الإنجليزي (FATF) وهو اختصار لـ (Financial Action Task; Force).

تضم اللجنة في عضويتها (31) دولة بالإضافة إلى ممثلين لبعض المنظمات الإقليمية والدولية بصفة مراقبين، من هذه المنظمات: بنوك التنمية الإقليمية، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومجموعة آسيا – الباسفيك (APG)، وفريق العمل المالي الكاريبي (CFATF)، ومجموعة شرق وجنوب إفريقيا (ESAAMLG)، ومجموعة أميركا الجنوبية، ولجنة المجلس الأوربي لمكافحة غسيل الأموال، والبنك الأوروبي للإنشاء والتنمية (EBRD) و بنك الدول الأمريكية للتنمية (IDB) و مجموعة "الأوفشور" للمشرفين علي العمل المصرفي (OGBS)، ومكتب الأمم المتحدة لمراقبة المخدرات ومنع الجريمة (UNODCCP)، ومنظمة الجمارك العالمية (WCO)، وصندوق النقد الدولي (IMF)، والمنظمة الدولية للجان الأوراق المالية (IOSCO).

من أهداف لجنة الفاتف نشر الوعي السياسي علي المستوي الوطني والعالمي بهدف محاربة جريمة غسيل الأموال، كما تراقب اللجنة مدي تقدم الدول في التصدي للظاهرة والحد من نموها.

وفي صياغ ذي صلةٍ فقد قدرت مجموعة العمل المالي حجم الأموال المغسولة في عام 1993م بحوالي 500 مليار دولار (طاهر، 2002م:112).

اتفاقية إستراسبورغ :

تم توقيع الاتفاقية في نوفمبر من عام 1990م من قبل الدول الأعضاء في المجلس الأوروبي، وقد بدأ العمل بها في سبتمبر 1993م . و تهدف الاتفاقية إلى تحقيق حزمة من الإجراءات منها :

الاستقصاء عن متحصلات الجريمة وضبطها ومصادرتها بعد البحث والتحري عن الأموال المغسولة .

التعاون بين الدول الأعضاء، في تعقب وضبط ومصادرة الأموال غير المشروعة، وذلك عن طريق تقنين الإجراءات التي تسمح بتبادل المستندات اللازمة لكشف عمليات غسيل الأموال . وفى سبيل ذلك فقد أجازت الاتفاقية تبادل الرقابة على الحسابات البنكية، وعلى المحادثات الهاتفية، والتحقيقات المعلوماتية .

خلق سياسات جنائية دولية لمواجهة الجريمة المنظمة عبر الحدود.

تحديث أساليب مكافحة جريمة غسيل الأموال .

حرمان عصابات الجريمة المنظمة من عائدات نشاطهم الإجرامي .

التوسع في نطاق التجريم لعمليات غسيل الأموال بحيث لا يختصر على الأموال المتأتية من تجارة المخدرات فقط، إنما يشمل جميع الأموال المتحصلة من جرائم جسيمة تدر أرباحاً تستدعي غسيلها لإخفاء مصدرها غير المشروع (بشير و إبراهيم، 2011م :91).

منظمة الدول الأميركية :

أصدرت منظمة الدول الأميركية نظماً ولوائح متعلقة بغسيل الأموال غير المشروعة المرتبطة بتهريب المخدرات في عام 1992م، واعتبرت عمليات غسيل الأموال جريمة يجب على المجتمع الدولي ملاحقتها (سفر، 2001م:102).

المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الإنتربول) :

تعد المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (International Criminal Police)،التي أنشئت في عام 1923م إحدي المنظمات الحكومية التي أوكل إليها المجتمع الدولي مهمة التنسيق والبحث والتقصي وتقديم الإرشادات في ميدان مكافحة الإجرام عموماً، وجريمة غسيل الأموال علي وجه الخصوص.

فقد أصدرت المنظمة قراراً في عام 1995م ينص على مطاردة غاسلي الأموال، ورصد تحركاتهم في الدول الأعضاء وتقديمهم للعدالة. ومن أهدافها ما يلي :

تأمين وتنمية التعاون المتبادل علي أوسع نطاق بين كافة سلطات الشرطة الجنائية، في إطار القوانين القائمة في مختلف البلدان.

إنشاء المؤسسات القادرة علي المساهمة الفعالة في الوقاية من جرائم القانون العام وتنميتها.(محمدين، 2005م90).

البنك الدولي وصندوق النقد الدولي :

قدمت منظمتا بريتون وودز نموذجاً حياً وجهوداً حسيسةً لتطوير ورفع كفاءة القطاع المالي والمصرفي في الدول الأعضاء ، من أجل المساهمة في الجهود الدولية لمكافحة غسيل الأموال، ويبرز ذلك من خلال تقديم المساعدات الفنية، والتدريب.

وقد أكد البنك الدولي في اجتماعه المنعقد في 2001/4/12م على ضرورة تطبيق الإجراءات والتدابير الفعالة لكشف عمليات غسيل الأموال في جميع القطاعات، المالية، والائتمانية، والتأمينية، والمصرفية، وأسواق المال، والأوراق المالية (الخريشة، 2009م:38).

تجارب الدول العربية في مكافحة غسيل الأموال:

تعد الدول العربية مسرحاً وأرضاً خصبة لعمليات غسيل الأموال، وهذا يرجع في الأصل إلي ضعف المراقبة والمتابعة لحركة غاسلي الأموال، وإلى عدم تفاعل كثير من المجتمعات المحلية مع الظاهرة، لأسباب متعددة، منها ضعف آليات المراقبة، فضلاً عن وجود بطالة وسط فئات المجتمع، خاصة الشباب، وكذلك انحسار برامج التنمية المتوازنة علي مستوى الاقتصاد الكلي .

وعلى الرغم من السلبيات آنفة الذكر، فقد بذلت حكومات الدول العربية جهوداً كبيرةً للحد من جريمة غسيل الأموال، وأقامت في سبيل ذلك عدداً من المؤتمرات والاتفاقيات للمعالجات والمتابعة كما يتضح ذلك من الجدول رقم4.

جدول رقم (4) الجهود المبذولة على المستوى العربي لمكافحة غسيل الأموال خلال الفترة من 1974- 2000م

الأعوام	الجهود المبذولة على المستوى العربي
1974م	المؤتمر الإقليمي السادس للمخدرات الذي عقد في الرياض.
1976م	المؤتمر العربي الدولي الثاني لمكافحة الإدمان على المسكرات والمخدرات المنعقد في بغداد.
1977م	المؤتمر العربي الدولي الثالث لمكافحة الإدمان على الكحول والمخدرات المنعقد في الخرطوم.
1986م	الاتفاقية الصادرة عن مجلس وزراء الداخلية العرب المعروفة باسم الاستراتيجية العربية لمكافحة الاستعمال غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية - جامعة الدول العربية.
1992م	المؤتمر العربي الخامس لرؤساء أجهزة مكافحة المخدرات لدراسة مشكلة غسيل الأموال جامعة نايف للعلوم الأمنية "الرياض".
1994م	انعقاد اجتماع اللجنة الفرعية المعنية بالاتجار غير المشروع بالعقاقير والمخدرات - الرياض.
1995م	المؤتمر العربي لرؤساء أجهزة مكافحة المخدرات الذي ناقش مسألة منع غسل الأموال- تونس.
1996م	مؤتمر التعاون الأمني لوزراء الداخلية العرب من أجل التنسيق لمنع الجريمة وتعقبها ومصادرة عوائدها المنعقد في الجزائر.
1999م	انعقاد الاجتماع التاسع لرؤساء الأجهزة المعنية بإنفاذ قوانين العقاقير المخدرة - المغرب.
2000م	المؤتمر الرابع عشر لرؤساء أجهزة مكافحة المخدرات الذي ناقش عائدات المخدرات المنعقد في تونس.

وفيما يلي نرد تجارب بعض الدول العربية في مكافحة غسيل الأموال :

تجربة جمهورية لبنان

تعد لبنان من أكثر الدول العربية عرضةً لجرائم غسل الأموال، ويرجع ذلك إلى نظامها الاقتصادي الحر، وحرية التجارة والتمويل، والسرية التامة لدى نظامها المصرفي، فلهذه الأسباب وغيرها، أصبحت لبنان في نظر المجتمع الدولي مسرحاً لجرائم غسيل الأموال، وقد تم إدراجها ضمن القائمة السوداء للدول غير المتعاونة مع المجتمع الدولي في مكافحة ظاهرة غسيل الأموال.

في تطور لاحق نتيجة لتفشي وإنتشار جريمة غسيل الأموال اتخذت لبنان إجراءات صارمة في الرقابة الذاتية، للحد من هذه الظاهرة، منها الانضمام إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية (فيينا) لعام 1988م، بموجب القانون رقم 426/ 1995م الصادر في 1995/5/15م، بشرط عدم الالتزام بالبند (2) من المادة (5) الذي يختص بتقديم السجلات البنكية، في إطار المساعدات القانونية المتبادلة، وبناءً على هذه الإجراءات تم رفع اسم لبنان من القائمة السوداء في عام 2002م. (كبيش، 2001م:33).

تجربة جمهورية مصر العربية

تشير دراسة أعدتها كلية التجارة بجامعة عين شمس إلي أن عمليات غسيل الأموال في مصر تمثل 68٪ من الناتج الإجمالي، و30٪ من الاقتصاد الخفي (عبد العظيم، 2000م:112) .

فتعد مصر هدفاً استراتيجياً لعصابات غسيل الأموال بسبب موقعها الجغرافي الواقع وسط أسواق المخدرات العالمية، وأماكن إنتاجها، ولمحاربة هذه الظاهرة فقد صدر قانون خاص لمكافحة غسيل الأموال في مصر بتاريخ 2002/5/20م بموجبه يتم تجريم غاسل الأموال، ومعاقبته بالسجن والغرامة، وقد طالب عدد من المسؤولين والاقتصاديين بضرورة الاستعجال في تطبيق هذا القانون، ويرجع ذلك إلي أن جريمة غسيل الأموال أصبحت في تزايد مستمر، حيث وصلت نسبة الزيادة إلى أكثر من 52٪ سنويا، ويتوقع أن يصل حجم الأموال المغسولة بحلول عام 2024م إلى حوالي 24 مليار جنيه مصري (طنطاوي، 2003م:27).

تجربة الأمارات العربية المتحدة

تعد دولة الأمارات العربية المتحدة من أكثر دول الخليج تعرضاً لجريمة غسيل الأموال نسبة لمعدلات النمو المرتفع في الجوانب المالية، والتجارية، والسياحية، خاصة في مدينة دبي التي أصبحت من المراكز الدولية للتجارة في الشرق الأوسط، إضافة الي ذلك فإن مدينة دبي تحتضن معظم البنوك والمؤسسات المالية العالمية الكبرى.

بذلت دولة الأمارات جهودًا واسعة، لمكافحة جرائم تهريب المخدرات من خلال القوانين والتشريعات الصارمة لمعاقبة مرتكبي جرائم غسيل الأموال، وتمشياً مع ذلك فقد انضمت دولة الأمارات إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية لعام 1988م (فيينا)، بموجب المرسوم الاتحادي رقم (55) في عام 1990م (قشقوش، 1998م:80)، وكذلك الانضمام إلى الجهود العربية والخليجية في مكافحة المخدرات، وغسيل الأموال، من خلال المصادقة على الاتفاقية العربية لعام 1989م المعروفة باسم الإستراتيجية العربية لمكافحة الاستعمال غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية. كما تضمن ذلك إصدار قانون مكافحة غسيل الأموال الصادر في عام 2001م، الذي ينص على فرض عقوبات قوية على مرتكبي جرائم غسيل الأموال (كبيش، 2001م:46).

تجارب الدول الأجنبية:

تجربة جمهورية سويسرا :

تعد جمهورية سويسرا من أكثر دول العالم شهرة في عمليات غسيل الأموال، وذلك لأنها من أكبر المراكز المالية العالمية التي تحافظ على السرية التامة لحسابات الأفراد إلا أن لها جهودًا مستمرة، في مكافحة عمليات غسيل الأموال منذ عام 1990م، حيث بدأت في تطبيق أحكام قانون العقوبات الذي يحد من انتشار الظاهرة، وقد أوكل تنفيذ القانون للجهاز المصرفي باعتباره من أكثر الأجهزة التنفيذية مراقبةً لحركة رؤوس الأموال والحسابات (السيسى، 2003م:65).

تمشياً مع ذلك فقد وضعت سويسرا قاعدة (أعرف عميلك) في عام 1992م، كاتفاقية تنص على توخي الحيطة والحذر عند فتح الحسابات المصرفية وقبول

الودائع، وعند استخراج الاعتمادات المستندية، وقد أبرمت هذه الاتفاقية بين البنوك السويسرية ومن أبرز بنودها:

التحقق من هوية كافة العملاء المتعاقدين مع البنك ويلزم تحديد الهوية في حالات المعاملات النقدية.

عدم تقديم مساعدة إيجابية في حالة نقل رأس المال أو التهرب من الضرائب.

الحصول علي إقرار كتابياً من العميل عند الإيداع في حالة الشك يوضح هوية الملاك المستفيدين من الأصول المودعة لدى البنك.

تجربة المملكة المتحدة :

تعد مدينة لندن من المراكز المالية الكبرى التي تشهد عمليات غسيل أموال متزايدة، مما يجعلها في صدارة المدن الأوربية التي تحتضن هذه الظاهرة، فيقدر ما يتم غسيله سنوياً ب 68,7 مليار دولار بما يعادل 2,4٪ من إجمال الأموال المغسولة في العالم .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك اهتمام مبكر بتجريم ظاهرة غسيل الأموال فقد شهد العام 1986م، صدور قانون جرائم الاتجار في المخدرات في بريطانيا، الذي ينص على مكافحة المكاسب الهائلة التي يحصل عليها غاسلي الأموال، فبموجب هذا القانون، يتم تجميد الأصول المكتسبة من هذه الجريمة، وتقديم مرتكبها إلى المحاكمة (عبد العظيم، 1997م:35).

إضافة إلى ذلك فإن المملكة المتحدة من الدول الملتزمة والمتعاونة مع الجهود الدولية لمحاربة غسيل الأموال، فقد صادقت على اتفاقية فيينا لعام 1988م، وطبقت جميع التوصيات المنبثقة من فريق العمل المالي، وتوجيهات الاتحاد الأوربي المتعلقة بمكافحة غسيل الأموال.

تجربة الولايات المتحدة الأميركية :

يبلغ حجم الأموال المغسولة في أميركا نحو 1320 مليار دولار سنوياً، ما يعادل 46,3% من إجمالي الأموال المغسولة في العالم(عبد الخالق، 1997م:37) . وللحد من هذه الظاهرة المتنامية، فقد أصدرت أميركا في عام 1986م، قانوناً ينص على تجريم عملية غسيل الأموال، وعقوبة السجن والغرامة للجناة، حيث يتضمن هذا القانون مادة تسمح بامتداد صلاحيتة خارج حدود الدولة ليطبق على أي شخص يثبت تورطه في ذلك،

وبموجب هذه المادة فقد تم إعتقال الجنرال نوريقا رئيس بنما السابق بحجة تعامله وترويجه للمخدرات، داخل الأراضي الأمريكية، وربما يكون ذلك لاعتقال مربوطاً بأمور سياسية، لها تأثير على الأمن القومي الأميركي في نظر الإدارة الأميركية. كما شرعت الولايات المتحدة قانونا آخر في عام 1988م يؤكد على أن عملية غسيل الأموال جريمة مستقلة يعاقب عليها القانون (عوض الله، 2003م42).

في عام 1990م أصدرت أمريكا قانوناً آخر ينص على توسيع دائرة التحريات فيما يخص الودائع البنكية التي يعتقد أن لها علاقة بعمليات غسيل الأموال، إضافة إلى انضمام أمريكا إلى جميع الاتفاقيات الدولية والإقليمية، التي تختص بعمليات غسيل الأموال، وعلي رأسها إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع في المخدرات، والمؤثرات العقلية لعام 1988م (فيينا)، ومساندة برامج مكافحة غسل الأموال، حيث قامت أمريكا بتأسيس شبكة لمكافحة الجرائم المالية يطلق عليها (Finsen) بوزارة الخزانة الأميركية كجزء من الاستراتيجيات الوطنية لمكافحة المخدرات ومن مهامها (بابكر، 2003م: 27) :

- وضع سياسات إشرافيه لكشف عمليات غسيل الأموال ومطاردة المجرمين.
- تقديم المعلومات التحليلية والاستخبارية للجهات المسؤولة عن مكافحة غسيل الأموال.
- الاستفادة من قانون السرية المصرفية الذي يلزم البنوك بضرورة إبلاغ السلطات الأمنية عن المعاملات المشكوك فيها، ومتابعة ورصد تحركات غاسلي الأموال.
- التعاون الدولي بين المؤسسات المالية، وتبادل المعلومات، وتقديم الدعم الفني واللوجستي للجهات المسئولة عن مكافحة غسيل الأموال.

النتائج :

توصلت الدراسة الي النتائج الآتية:

ثبات صحة الفرضيتين اللتين تنصان على أن لظاهرة تبيض الأموال آثاراً سالبةً على النواحي الاقتصادية والاجتماعية في الدول النامية والمتقدمة علي حد السواء إضافة إلى أن وضع تشريعات وضوابط وآليات مشتركة بين الدول سوف يؤدي إلى محاربة ظاهرة غسيل الأموال والحد منها، وهذا يتضح من الآتي:

وجود علاقة عكسية بين معدل الادخار المحلي وجريمة غسيل الأموال، و يرجع ذلك إلى ارتفاع معدل التهريب الذي يساهم في انحسار فرص الاستثمارات المحلية، وانتشار ظاهرة الفساد المالي والإداري و تفاوتات في الطبقات الاجتماعية، مما احدث تباين في القدرة الشرائية لدى المواطنين.

وجود عجز متواصل في الموازنة العامة للدول فضلاً عن تعطيل تنفيذ السياسات النقدية والمالية، مما كان له الأثر السالب في أداء الحكومة خاصةً في الجانب التنموي والاقتصادي، ولجوئها إلى الاستدانة من النظام المصرفي أو التمويل بالعجز، أو فرض ضرائب غير مباشرة، أو رفع سعر الفائدة لدى البنوك لسد العجز الحاصل في الإيرادات العامة، نتيجة لهروب رؤوس الأموال خارج الدول، أو لوجود نمط استهلاكي إنفاقي بذخي يزيد من معدل التضخم.

على الرغم من وجود حركة دائبة من المنظمات الدولية وحكومات الدول لمكافحة ظاهرة غسيل الأموال، نستطيع أن نقول، أن هذه الظاهرة تنمو يوماً بعد يوم، ولم يتم القضاء عليها، وهذا يرجع لأسباب منها عدم تجريم ظاهرة غسيل الأموال في تشريعات كثير من دول العالم، بل تعد في بعض الدول واحدة من إيجابيات الاقتصاد الخفي، فضلاً عن أنها أداة للحصول على الأموال والثروات لبعض السياسيين وكبار الموظفين و عدم كفاية التعاون الدولي في التصدي لظاهرة تبييض الأموال خصوصاً في دول العالم الثالث، فضلاً عن ذلك السرية التامة التي تنتهجها بعض المصارف بحجة الحفاظ على خصوصية العملاء و قد ساهم ذلك كثيراً في الحد من فعالية الرقابة والمتابعة.

و كذلك من النتائج التي توصلت اليها الدراسة أن التقنيات والأساليب التي يلجأ إليها غاسلو الأموال، لإضفاء الشرعية على أموالهم المزيفة وأفعالهم الاجرامية أصبحت ذات امكانيات عالية من الصعب حصرها في عدد معين من وسائل التكنولوجيا الحديثة.

التوصيات:

1. ضرورة المتابعة الدقيقة للسجل القانوني للشركات، ولعمليات المزادات والمناقصات، وعقود التوريد، والمقاولات محلياً ودولياً.

2. معاقبة السياسيين وكبار الموظفين في المصارف ونقاط الجمارك الذين يتواطؤون مع عصابات غسيل الأموال.
3. تنسيق الجهود الدولية والإقليمية من خلال وضع الإجراءات والتشريعات التي تضبط حركة غاسلي الأموال.
4. المراقبة والمتابعة الصارمة، لأسواق المال، ولعمليات التجارة الإلكترونية، التي تتم عن طريق أشخاص آخرين، سواء بموجب توكيلات، أم تفويضات، أم غير ذلك، والتعّرف علي المستفيد الحقيقي من هذه العمليات .
5. تعزيز وتطوير فعالية نظم مكافحة غسيل الأموال، والاستفادة من تبادل الخبرات، والاهتمام بالبرامج التدريبية، خاصةً لجهات إنفاذ القانون .

قائمة المراجع:

(أ)المراجع العربية:

- إبراهيم، طنطاوي (2003م)،**المواجهة التشريعية لغسيل الأموال في مصر**، دار النهضة العربية، القاهرة.
- بابكر، الشيخ، (2003م)، **غسيل الأموال، آليات المجتمع في التصدي لظاهرة غسيل الأموال**، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان .
- بشير،هشام و إبراهيم، عبد ربه إبراهيم (2011م)، **غسل الأموال بين النظرية والتطبيق** ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، الطبعة الأولى، القاهرة.
- حافظ، مجدي محب(1995م)، **جريمة التهريب الجمركي**، المجموعة المتحدة للطباعة، القاهرة
- الخريشة، أمجد سعود(2009م)، **جريمة غسيل الأموال، دراسة مقارنة** ، الدار الثقافية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، الأردن .
- الخضيري، محسن (2003م) ،**غسيل الأموال: الظاهرة، الأسباب، العلاج**، مجموعة النيل العربية، الطبعة الأولى، القاهرة .
- سفر، أحمد(2001م)، **المصارف وتبييض الأموال، تجارب عربية وأجنبية**، اتحاد المصارف العربية، بيروت .

- السقيلي، محمد صالح(1997م)،**المبادئ الأساسية للرقابة المصرفية الفعالة الصادرة عن لجنة بازل للرقابة "دراسة تطبيقية على سلطة النقد الفلسطينية**، غزة.
- السيسي، صلاح الدين حسن(2003م)، **غسيل الأموال الجريمة التي تهدد الاستقرار الاقتصادي**، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة .
- السيسي، صلاح الدين(1998م)، **غسيل الأموال، قضايا اقتصادية معاصرة**، مكتبة دار الآداب، الشارقة .
- شمس الدين،أشرف توفيق (2001م)، **تجريم غسيل الأموال في التشريعات المقارنة**، دار النهضة،القاهرة .
- طاهر، مصطفي(2002م)، **المواجهة التشريعية لظاهرة غسيل الأموال**،مطابع الشرطة للطباعة والنشر،القاهرة.
- طنطاوي، إبراهيم (2003م)،**المواجهة التشريعية لغسيل الأموال**،دارالنهضة العربية، الطبعة الأولي، القاهرة.
- عبد الحميد، عبد المطلب(2001م)، **العولمة واقتصاديات البنوك** ، الدار الجامعية .
- عبد الخالق،السيد أحمد(1997م)،**الآثار الاقتصادية والاجتماعية لغسيل الأموال**، دار النهضة العربية، القاهرة .
- عبد العظيم،حمدي(2000م)، "أساليب مواجهة غسل الأموال في ضوء توصيات فريق العمل المالي حول الظاهرة"، **مجلة كلية التدريب والتنمية**، العدد الرابع، (يناير).
- عبد العظيم،حمدي(1997م)، **غسيل الأموال في مصر والعالم**، الناشر المؤلف، الطبعة الأولى، القاهرة.
- عبد اللطيف، محمد(2003م)، "نحو إستراتيجية وطنية للسيطرة على غسيل الأموال"، أكاديمية الشرطة المصرية، **مجلة كلية التدريب والتنمية**، العدد الثامن، (يناير).

- عبد الملك، جمال الطيب(2002م)، **مكافحة غسيل الأموال**، نشرة التجارة والتنمية، القاهرة .
- عبد المولي، سيد شوربجي(1420هـ)، "عمليات غسل الأموال وانعكاساته على المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية"، **المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب**، المجلد 14.
- عوض الله، صفوت عبد السلام(2003م) **الآثار الاقتصادية لعمليات غسيل الأموال ودور البنوك في مكافحتها** ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- الفاعوري، أروي فايز وقطيشات، إيناس محمد(2002م)،**جريمة غسيل الأموال، المدلول العام والطبيعة القانونية، دراسة مقارنة**، دار وائل للطباعة والنشر، الطبعة الأولي عمان.
- قشقوش،هدي حامد(2002م)، **جريمة غسيل الأموال في نطاق التعامل الدولي**، دار النهضة العربية، القاهرة.
- كبيش، محمود(2001م)، **السياسات الجنائية في مواجهة غسيل الأموال** ، دار النهضة الحديثة ، القاهرة .
- محمدين، جلال وفاء (2001م)، **دور البنوك في مكافحة غسيل الأموال**،دار الجامعة الجديدة للنشر، الأسكندرية .
- نبيه، نسرين عبد الحميد(2008م)، **الاقتصاد الخفي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الطبعة الأولى .

(ب) المراجع الأجنبية :

- James C. Baker-. 2002. ***The Bank for International Settlements: Evolution & Evaluation***: Quorum Books Westport, CT-.
- Jean. Francois. Thorny. 1993: Blanchiment de Largent de Ia drogues' les internationaux de Iutte, revue, juridique et politique, ***independence et cooperation*** no2, avril, A out,.

الطاقة المتجددة

(مزاياها ،اهميتها ،استخداماتها ومعوقاتها)

جيهان عبد القادر محمد الهلالي

محاضر بقسم الاقتصاد والمصارف، جامعة وادي النيل.

المستخلص:

تناولت هذه الورقة أنواع ومزايا واستخدامات الطاقة المتجددة والمعوقات التي تواجه استخداماتها باعتبارها احد المصادر البديلة التي تلبي شروط ومواصفات طاقة المستقبل وهي معروفة منذ وجد الإنسان علي سطح الأرض وقد تم استخدامها كمصادر للطاقة علي مر العصور بدرجات متفاوتة وبطرق بدائية وقد تجدد الاهتمام بالطاقة المتجددة خلال السبعينات من القرن الماضي ، وكما هو معروف فان كل مصادر الطاقة المتجددة ماهي إلا صور مختلفة للطاقة الشمسية حولت بطرق طبيعية أو تقنية إلي طاقة يمكن استغلالها والاستفادة منها.

مقدمة:

يأتي الاهتمام بأنواع ومصادر الطاقة المتجددة في ظل تزايد القلق العالمي من ظاهرة الاحتباس الحراري الناتجة من العوادم الكربونية التي تنتج عن استخدام مصادر الطاقة التقليدية.

قد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن مصادر الطاقة التقليدية معرضة للنفاذ خلال العقود القادمة مما أدى إلى ضرورة التفكير في الطاقة المتجددة لما تتميز به من مزايا مثل كونها نظيفة وغير ملوثة للبيئة كما يمكن استغلالها في المناطق الريفية النائية. وفي هذا الورقة سوف نستعرض "بإذن الله" مصادر الطاقة المتجددة ومزاياها واستخداماتها والمعوقات التي تحول دون نشرها واستخدامها.

مفهوم الطاقة المتجددة:

يطلق مصطلح الطاقة المتجددة على مصادر الطاقة التي لها صفة التجدد والديمومة، أي أن مخزونها غير قابل للنفاد بحكم الاستغلال ونعني بها تلك الطاقة المولدة من مصدر طبيعي غير تقليدي، مستمر، لا ينضب، ويحتاج فقط لتحويله من طاقة طبيعية إلى أخرى يسهل استخدامها بواسطة تقنيات العصر مثل الشمس والهواء والمياه والكتلة الحيوية وسميت متجددة لأنها طاقة غير ناضبة وتتجدد بشكل دائم وتبقى احتياطاتها قائمة ولكن بشرط ألا يزيد معدل الاستغلال عن المعدل الطبيعي لتجدد الموارد(محروس محمد1982م: 175).

وباستغلال مصادر الطاقة المتجددة يمكننا الاستفادة من الطاقات غير المتجددة في الصناعات البتروكيميائية بدلاً من حرقها كوقود وهدرها، إذ بات النفط ومشتقاته يستخدم في تصنيع الأدوية والملابس والأجهزة وغيرها لذلك يمكن اعتبار هذين النوعين من الطاقة مكملين لبعضهما البعض في خدمة البشرية ومكافحة الفقر والجوع والعطش.

تاتي اهمية هذه الورقة من اهمية الطاقة المتجددة بانواعها (شمسية، رياح ، حيوية ، وغيرها) من الطاقات الطبيعية التي تعتبر الامل في توفير الطاقة في المستقبل كما لها دور كبير في تخفيف الاثار البيئية الناتجة عن الاستخدام المتزايد للوقود الاحفوري (الياس أبو جوده2012م).

مزايا وا ستخدامات ا لطاقة المتجددة:

للطاقة المتجددة بصفة عامة عدة مزايا وفوائد مباشرة وغير مباشرة منهامايلي:

1. الطاقة المتجددة لا تنضب .
2. تعطي طاقة نظيفة وخالية من النفايات بكافة انواعها .
3. تهدف اولا الي حماية الانسان .
4. المحافظة علي البيئة الطبيعية.

5. تحسين مستوي معيشة الانسان والحد من الفقر والمساهمة في الامن الغذائي.
6. تحافظ علي الطاقة غير المتجددة للاجيال القادمة.

وسنفصل فيمايلي المزايا التي يتميز بها كل مصدر من مصادر الطاقة المتجددة المختلفة فيمايلي:

مزايا الطاقة الشمسية :

تتميز الطاقة الشمسية بمواصفات وخصائص تجعلها الأفضل مقارنة بجميع أنواع الطاقات الأخرى منها:

1- انها طاقة مستدامة.
2- أنها طاقة هائلة يمكن استغلالها في أي مكان.
3- تشكل مصدراً مجانياً للوقود الذي لا ينضب.
4- أنها من أكثر مصادر الطاقة المعروفة وفرة .
5- اختلاف شدة الإشعاع الشمسي من مكان لآخر ومن زمان لآخر وذلك بحسب موقع المنطقة من خط الاستواء.
6- توفر عنصر السيليكون اللازم لاستخدام الطاقة الشمسية بكميات كبيرة في الأرض.
7- سهولة تحويل الطاقة الشمسية إلى معظم أشكال الطاقة الأخرى مما يجعلها متعددة أوجه الاستخدام(حسن البنا فتح 2008م، 35)
8- تتميز تكنولوجيا الطاقة الشمسية بسهولة تركيبها وتشغيلها وصيانتها، وكذلك إمكانية تصنيعها محلياً الأمر الذي يخلق سوقاً جديدة لصناعة وتركيب وصيانة وتشغيل هذه التكنولوجيا التي تزيد من فرص الاستثمار الجديد،مما يزيد بالتالي من النشاط الاقتصادي للمنتجين والمستخدمين على حد سواء.

الطاقة الشمسية منتج صامت لا يحدث ضجيجا في عملية الانتاج (Renewable energy dev.com2013)

استخدامات الطاقة الشمسية:

بشكل عام يمكن الإشارة إلى ان هناك تطبيقات عديدة للخلايا الشمسية منها تأمين الطاقة الكهربائية لقوارب الملاحة والبحوث البحرية، تغذية بعض الاحتياجات المنزلية كمضخة الماء واجهزة التلفزيون، إنارة المنازل، إضاءة الأرصفة على السواحل والمنشآت البحرية على الشواطئ وداخل البحار، وتستخدم في عملية التكييف والتبريد والتدفئة باستخدام مباشر لهذه الخلايا من الطاقة الحرارية المتولدة عنها وفي الاتصالات (الراديو ومستقبلان الراديو)، تشغيل طلمبات الري وماء الشرب، علامات الطرق السريعة والسكك الحديدية في الطرق الصحراوية وسنتناول بعض استخدامات الطاقة الشمسية الاخري فيمايلي:

1ـ الاستخدام في النشاط الزراعي:

يسعى القائمون بتنمية الزراعة وتطويرها إلى الاستفادة من الطاقة الشمسية بهدف زيادة معدل إنتاجية النباتات المزروعة. فبعض التقنيات التي تتمثل في تنظيم مواسم الزراعة بحسب أوقات العام وتعديل اتجاه صفوف النباتات المزروعة وتنظيم الارتفاعات بين الصفوف وخلط أصناف نباتية مختلفة يمكن أن تحسن من إنتاجية المحصول. كما يمكن استخدامها في إدارة ماكينات ضخ الماء وتجفيف المحاصيل وتفريخ الدجاج وتجفيف السماد العضوي للدجاج كما أنه تم استخدام الطاقة المتولدة بواسطة اللوحات الشمسية في عمل عصائر الفاكهة وفي البيوت المحمية .

2ـ تسخين المياه:

تستخدم نظم التسخين التي تعمل بالطاقة الشمسية ضوء الشمس في تسخين الماء، ففي المنخفضات الجغرافية التي تقع (تحت 40 درجة)، يمكن أن يتم توفير ما يتراوح بين 60٪- 70٪ من الماء الساخن المستخدم في المنازل بدرجة حرارة ترتفع 60 درجة مئوية بواسطة نظم التسخين التي تعمل بالطاقة الشمسية(سمير سعد2009م) .

3ـالتدفئة والتبريد والتهوية:

تحتل نظم التدفئة والتبريد والتكييف في الولايات المتحدة الأمريكية نسبة 30٪ من الطاقة المستخدمة في أماكن العمل وحوالي 50٪ من الطاقة المستخدمة في المباني السكنية.و يمكن استخدام تقنيات نظم التدفئة والتبريد والتهوية التي تعتمد على الطاقة الشمسية لتعويض قدر من هذه الطاقة (www.wikipedia.org).

4ـ تحلية المياه:

تعد تحلية المياه احدي الوسائل الميسرة للنهوض بمستوى المجتمعات والمناطق التي تشكو من ملوحة المياه المفرطة. ومن الجدير بالذكر أن أكثر من 2 مليون شخص في البلاد النامية يستخدمون عملية تطهير الماء باستخدام الطاقة الشمسية لمعالجة ماء الشرب العادية المستخدمة يومياً، وفي مجال تحلية المياه باستخدام المقطرات الشمسية (المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم، 2006م).

5ـ معالجة مياه الصرف الصحي:

حيث يتم استخدام الطاقة الشمسية أيضاً في إزالة السموم من الماء الملوث بواسطة التحلل الضوئي.

6 ـ استخدام الطاقة الشمسية في الطهو:

أدى استخدام الخشب للطاقة في المناطق القروية إلى انقراض مساحات كبيرة من الغابات، وقد أصبح هذا الموضوع مشكلة بيئية لا يستهان بها، وأصبح استخدام الطاقة الشمسية للطهي هو أحد الحلول المهمة لهذه المشكلة خصوصاً أن كلفتها قليلة والحصول عليها يسيراً جداً. ويعتمد الأساس العلمي للطباخ الشمسي (وهو عبارة عن جهاز يستخدم ضو الشمس في الطهو والتجفيف والبسترة) على الاستفادة من مبدأ الاحتباس الحراري الناجم عن سقوط الإشعاع الشمسي وانعكاسه داخل صندوق معزول من جميع جوانبه بعازل حراري جيد عدا الجانب الأعلى المواجه للشمس فيغطى بلوح من الزجاج، كما يتم طلاء أسطحه الداخلية بلون داكن غير لامع لكي يقوم بامتصاص أكبر قدر ممكن من الحرارة.. ويمكن التحكم إلى حد ما بدرجات الحرارة في الطباخات الشمسية، فعندما تريد الحصول على درجة حرارة أقل –

للمحافظة على سخونة الطعام فقط – فإنه يجب وضع الطباخ بشكل منحرف عن الإشعاع المباشر(المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم، 2006م).

7- توليد الطاقة الكهربائية بواسطة الخلايا الشمسية:

الخلية الشمسية هي عبارة عن مولد يقوم بتحويل ضوء الشمس الي طاقة كهربية بصورة مباشرة وتتكون عادة من السيليكون ،تجمع الخلايا الشمسية عن طريق التوصيل علي التوالي او علي التوازي لتكوين ما يعرف بلوح الخلايا الشمسية التي تأطر باطار من مادة الالمونيوم(هال هيلمان د.ت ، 117).

معظم تقنيات الخلايا الشمسية يتم تطبيقها في المناطق النائية حيث تبقي الخلايا الشمسية هي الأفضل استخداماً وذلك لسهولة نصبها وعدم حاجتها إلى صيانة مستمرة وعدم مساهمتها في تلوث البيئة (المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم، 2006م).

8 – استخدام الطاقة الشمسية في وسائل النقل:

لقد كان اختراع سيارة تعمل بالطاقة الشمسية من أهم الأهداف في مجال الهندسة منذ ثمانينيات القرن العشرين. ويقام مرتين سنويًا السباق العالمي للسيارات التي تعمل بالطاقة الشمسية، حيث تلتقي فرق من الجامعات والمؤسسات وتتنافس على قطع مسافة 3.021 كيلومتر (1.877 ميل) عبر أستراليا من "داروين" إلى أديلايد. وفي عام 1987، عندما تم تأسيس هذا السباق، كان متوسط سرعة السيارة الفائزة يبلغ 67 كيلومتر في الساعة (42 ميل في الساعة)، وفي عام 2007، زاد متوسط سرعة السيارة الفائزة إلى 90.87 كيلومتر في الساعة وهناك بعض السيارات التي تستخدم ألواح الطاقة الشمسية للحصول على المزيد من الطاقة، لتستخدمها على سبيل المثال لتكييف الهواء والحفاظ على جو معتدل داخل السيارة، مما يقلل من استهلاك الوقود.

وتم إنشاء أول قارب يعمل بالطاقة الشمسية في إنجلترا في عام 1975. وفي عام 1995، بدأت قوارب المسافرين التي تحتوي على اللوحات الفولتوضوئية في الظهور، والتي تُستخدم الآن بشكل شائع.أما في عام 1996، كان القارب "كينيتشي

هوري"هو أول قارب يعمل بالطاقة الشمسية يعبر المحيط الهادي، بينما كان القارب "صن 21 كاتماران"هو أول قارب يعمل بالطاقة الشمسية يعبر المحيط الأطلنطي في شتاء 2006- 2007.

في عام 1974، تعتبر "صن رايز 2"، وهي طائرة غير مزودة بطاقم عمل بشري، أول طائرة بالطاقة الشمسية تقوم برحلة طيران. وفي التاسع والعشرين من أبريل عام 1979، تعتبر "سولار رايزر" أول طائرة تقوم بأول رحلة باستخدام الطاقة الشمسية، مع التحكم فيها بشكل كامل ووجود طاقم عمل كامل ووصلت إلى ارتفاع (40 قدم). وفي عام 1980، كانت "ذي جوسمار بنجوين" أول طائرة تقوم برحلات سابقة من نوعها بواسطة طيار باستخدام الطاقة الفولتوضوئية فقط.

وفي عام 1990، قام "إيريك رايموند" بـ 21 رحلة من كاليفورنيا إلى كارولينا الشمالية باستخدام طائرة تعمل بالطاقة الشمسية وتُعد الطائرة "زيفاير"آخر الطائرات التي تعمل بالطاقة الشمسية والتي سجلت أرقامًا قياسية، ولقد قامت بتطويرها شركة "بي إيه إي" حيث طارت لمدة 54 ساعة في الجو في عام 2007. (ويكيبيديا ،الموسوعة الحرة) . أما بالنسبة للمنطاد الشمسي، فهو عبارة عن منطاد أسود مملوء بهواء عادي وعندما تشرق أشعة الشمس على المنطاد، يسخن الهواء الموجود داخله ويتمدد مما يؤدي إلى وجود قوة دافعة لأعلى، مثل المنطاد المملوء بالهواء الذي يتم تسخينه صناعيًا. وبعض المناطيد الشمسية تكون كبيرة بدرجة كافية تسمح بحمل الإنسان، ولكن يقتصر استخدامها على محلات الأدوات الترفيهية لأن نسبة مساحة سطحها إلى وزن الحمل الصافي تكون عالية نسبيًا.

أما السفن التي تعمل بالطاقة الشمسية، فإنها شكل من أشكال سفن الفضاء التي يتم دفعها باستخدام مرايا رقيقة للاستفادة من ضغط الطاقة المشعة الناتجة عن الشمس. وعلى العكس من الصواريخ، فإن السفن التي تعمل بالطاقة الشمسية لا تحتاج إمدادها بالوقود. وعلى الرغم من أن قوة الدفع لأعلى ضعيفة بالمقارنة بتلك التي

تخص الصواريخ، فإن السفينة تستمر في الصعود طوال فترة إشراق الشمس عليها ويمكن أن تحقق سرعات عالية في الفضاء .

معوقات استخدام الطاقة الشمسية:

على الرغم من المزايا التي يمكن أن تتوفر من استخدام الطاقة الشمسية، فإن هناك معوقات مصاحبة لذلك الاستخدام منها:

1. مشكلة سعة المساحات التي تحتاجها المنشآت اللازمة، فمثلاً لإنتاج 100 ميقاواط يجب أن يبني المعمل على مساحة تقدر بـ16 كم^2، وهذه المساحة لها قيمتها وخاصة في الدول الزراعية مثل أوروبا.
2. مشكلة بناء مشروع الطاقة الشمسية، فبالنسبة للبلدان النامية فإن الأمر يحتاج إلى وقت طويل للقيام بأبحاث جادة على المستوى المحلي من أجل الوصول إلى مستوى التقنية الذي يمكن من إقامة التجهيزات الضرورية اللازمة لبناء الطاقة الشمسية.
3. تفاوت شدة الإشعاع الشمسي من وقت لآخر في اليوم الواحد، كما تتغير وفقاً لتبدل الفصول وتقلبات المناخ في مناطق العالم المختلفة.
4. مشكلة تخزين الطاقة الشمسية فلابد من ضرورة اكتشاف الطرق الفنية الكفيلة بذلك بصورة فعالة مع ما يتبع ذلك من إنفاق المبالغ المرتفعة على الأبحاث والتجهيزات والمواد المطلوبة.
5. وجود الغبار ومحاولة تنظيف أجهزة الطاقة الشمسية (يحيي الفرحان وآخرون 2008، 178).
6. حدوث التآكل في اللواقط الشمسية.

مزايا واستخدامات طاقة الرياح ومعوقاتها:

اولا : مزايا طاقة الرياح:

1- إن توليد الكهرباء من طاقة الرياح يحافظ على البيئة مما يخفض من معدل تغير المناخ الناتج من انبعاث ثاني أكسيد الكربون كما أنها خالية من

الملوثات المرتبطة بالوقود الاحفوري والمصانع النووية فضلا عن أنها تمنع سقوط الأمطار الحمضية (http://www.greenDevce.org).

2- سرعة التركيب والانتشار حيث يمكن الانتهاء في غضون أسابيع من بناء مزرعة رياح مزودة برافعات كبيرة تعمل على تركيب أبراج التوربين والشفرات في أعلى قواعد من الاسمنت.

3- مصدر قابل للتجديد ،كما أن الريح تحرك التوربينات مجاناً ولذلك لا تتأثر بتقلبات أسعار الوقود الاحفوري.

4- لا تحتاج طاقة الرياح إلى الحفر والتنقيب لاستخراجها ونقلها إلى محطة توليد.

5- لا تحتاج توربينات الرياح إلى مصادر مياه كبعض المصادر التقليدية والمتجددة الاخري.

ثانيا:استخدامات طاقة الرياح :

لقد استخدمت طاقة الرياح منذ آلاف السنين في طحن الحبوب والري وبعض التطبيقات الميكانيكية الأخرى. كما أن هناك مؤشرات تفيد بأن طواحين الهواء استخدمت من قبل البابليين في الطرق، وفي الصين القديمة في الفترة ما بين 1700-2000 قبل الميلاد.

وانتشرت طواحين الهواء في أوروبا منذ القرن الثاني عشر فوصل عددها في عام 1750 إلى أكثر من 8000 طاحونة في هولندا وأكثر من 10 آلاف طاحونة في إنجلترا ولكن استخدام هذا المصدر من الطاقة تناقص بشكل كبير بعد اكتشاف الماكينة البخارية في نهاية القرن الثامن عشر، وقل استخدامه أكثر بعد اكتشاف النفط في القرن الماضي.

زاد الاهتمام بطاقة الرياح بعد ارتفاع أسعار النفط وظهور مشاكل بيئية ناتجة عن استخدام مصادر الطاقة التقليدية ، ووصلت تكنولوجيا تصنيع طواحين الهواء في عقد الثمانينات من القرن الماضي إلى درجة عالية من النضج بحيث يمكن حالياً تصنيع منظومات توليد الطاقة الكهربائية بكفاءة ممتازة وأسعار مناسبة.

ويرتبط اليوم مفهوم هذه الطاقة باستعمالها في توليد الكهرباء بواسطة طواحين الهواء ومحطات توليد تنشأ في مكان معين لتغذية المناطق المحتاجة عبر الأسلاك الكهربائية، وبالإمكان حسب تقديرات منظمة المقاييس العالمية توليد 20 ميقاواط من هذا المصدر على نطاق عالمي، وهو أضعاف قدرة الطاقة المائية (السيد شوقي السيد 2012،513).

ثالثا :معوقات استخدام طاقة الرياح:

يواجه استخدام هذه الطاقة عدة صعوبات ومعوقات منها(محروس محمد1982م: 59):

1- الرياح مثلها مثل باقي أنواع الطاقات المتجددة لا يمكن الاعتماد عليها بصفة مستديمة فأي بقعة في العالم قد تتعرض لرياح عاتية في بعض الأوقات وقد تتوقف عندها الرياح تماماً في أوقات أخرى، وللتغلب على مشكلة تذبذب الطاقة نتيجة لتغير سرعة الرياح، يجب أن يواكب برنامج انشاء محطات قوى تعمل بطاقة الدمج برنامجاً آخر لحفظ الطاقة، أما على صورة طاقة كهربية في بطاريات أو طاقة ميكانيكية تستخدم في رفع المياه إلى أعلى فوق جبل مثلاً، ثم إعادة استخدام هذه المياه في توليد الكهرباء عندما تضعف الرياح.

2- التكلفة المرتفعة لإنتاج الكهرباء والمقدرة بأربعة أضعاف تكاليف الكهرباء بواسطة الطاقة التقليدية (مخلفي أمينة 2011، 227).

3- الحاجة إلى مساحات واسعة، فعلى سبيل المثال يلزم 50 ألف طاحونة هوائية قطرها 56 متراً لإنتاج طاقة كهربائية تعادل مليون برميل من النفط الخام.

مزايا واستخدامات الطاقة المائية ومعوقاتها :

اولا: مزايا الطاقة المائية :

تتميز الطاقة الكهربائية المائية بعدد من المزايا منها (مخلفي أمينة 2011، 226):

1- لا تحدث تلوثاً للبيئة.

2- رأس المال المنفق يتمثل في بناء السد أو الخزان، وهذا يفيد في تنظيم الري، إلى جانب توليد الكهرباء.

3- كفاءة توليد الكهرباء من الطاقة المائية عالية تصل إلى 85٪ بينما في المحطات الحرارية لا يتعدي 40٪ ومن الخلايا الشمسية 15٪.

4- لا تحتاج إلى تكاليف عالية للصيانة.

5- التوربينات المائية سهلة التركيب والتشغيل.

6- رخيصة الثمن ومستدامة.

ثانيا:استخدامات الطاقة المائية :

يعود تاريخ الاعتماد على المياه كمصدر للطاقة إلى ما قبل اكتشاف الطاقة البخارية في القرن الثامن عشر، حيث استخدم الإنسان مياه الأنهار في تشغيل بعض النواعير التي كانت تستعمل لإدارة مطاحن الدقيق وآلات النسيج ونشر الأخشاب. أما اليوم وبعد أن دخل الإنسان عهد الكهرباء، بدأ استعمال المياه لتوليد الطاقة الكهربائية، كما شوهد في دول عديدة مثل النرويج والسويد وكندا والبرازيل ومصر والسودان. ومن أجل هذه الغاية تقام محطات توليد الطاقة على مساقط الأنهار وتبني السدود لتوفير كميات كبيرة من المياه تضمن تشغيل هذه المحطات بصورة دائمة. وتشير التوقعات المستقبلية لهذا المصدر من الطاقة إلى زيادة تقدر بخمسة أضعاف الطاقة الحالية بحلول عام 2020م (هاني عبيد209،2000).

وتقدر حصة الطاقة الكهرومائية بنسبة 19٪ من إنتاج الطاقة الكهربائية العالمي، وتعتبر عملية توليد الطاقة الكهرومائية عالية المردود حيث لا يقل مردودها عن 90٪، وتبلغ الطاقة الكامنة في مصادر الطاقة المائية في العالم (3) ملايين ميقاواط يوجد حوالي ربعها في أفريقيا و20٪ في أمريكا الجنوبية، و16٪ في جنوب شرق آسيا، 16٪ في الصين وروسيا، ويتوزع الباقي في أمريكا الشمالية وأوروبا ومناطق أخرى (محروس محمد1982م: 57).

ومن جانب آخر تبلغ الطاقة المستغلة من هذه المصادر حوالي 150 مليون ميقاواط أي ما يعادل 5٪ من الطاقة الاحتمالية الكلية.وتؤمن الأنهار حالياً بين 10٪- 12٪ من

الطاقة الكهرومائية المستخدمة في الولايات المتحدة أي ما يوازي 4٪ من الطلب الكلي على الطاقة. وتخضع كلفة إنتاج الكهرباء من المحطات الحديثة لعوامل عديدة، فالمحطة الكبيرة تحتاج إلى استثمارات تتراوح بين 500 – 2500 دولار للكيلو واط، أما المحطات الصغيرة فتتراوح بين 1000 – 6000 دولار للكيلو واط كما تواجه إنتاج الطاقة الكهرومائية مشكلات فنية واقتصادية تتعلق بالتخزين وإمكانية النقل لمسافة قد تزيد على 500 ميل من محطة التوليد، وكذا الكلفة العالية لإنشاء محطات الطاقة.

ثالثا:معوقات استخدام الطاقة المائية:

تتركز هذه المعوقات في ارتفاع التكلفة الرأسمالية لمشروعات الطاقة المائية مع قصور (أو غياب) آليات التمويل، فضلاً عن الاعتقاد الخاطئ بأن الاستثمار في مثل هذه المشروعات يمثل مخاطرة مالية علي الرغم من كونها طاقة تحافظ علي البيئة، كما أن بعض البنوك ومصادر التمويل قد لا تشجع القروض والاستثمارات في مجالات كهذه بالمقارنة بمشروعات الطاقة التقليدية، ويدعم ذلك أن الاستثمارات في هذه المجالات قد لا تكون ذات قيمة عينية واضحة، وقد لا تكون جاذبة من الناحية الاقتصادية إذا ما قورنت بفرص استثمارية أخرى.

كذلك من معوقات استخدام الطاقة المائية المعوقات الطبيعية المتعلقة بمجاري الانهار.

مزايا واستخدامات طاقة المد والجزر:

أولاً : مزايا طاقة المد والجزر:

تتميز طاقة المد والجزر بانها طاقة نظيفة وصديقة للبيئة بالاضافة الي انها طاقة دائمة ومتجددة كما انها طاقة رخيصة.

لاثانيا:استخدامات طاقة المد والجزر:

إن لاستخدام طاقة المد والجزر تاريخاً طويلاً، فقد استخدمت هذه الظاهرة في كل من إنجلترا وفرنسا في العصور الوسطي وذلك بنصب طواحين لطحن الذرة على بعض الأنهار(علي بدران 1995م). ومنذ عهد ليس بالبعيد عادت فكرة استخدام طاقة

المد والجزر على نطاق أوسع لتوليد الطاقة الكهربائية وذلك بنصب توربينات على حواجز كالسدود الصغيرة التي تبني في مصب مياه مناسب.

لقد قدر ان الماء الساقط او المتدفق بسرعة يمكن ان يمد الانسان بقدار يتراوح بين الثلث وثلاثة ارباع من مستلزماته الحالية من الطاقة ،ولو انه في الوقت الحالي يستخدم فقط حوالي 1٪- 2 ٪ من الطاقة الكلية المتاحة .اما اذا استعملت قوة المد والجزر في العالم فربما امدته هذه بنصف متطلباته وتمده الرياح بكل متطلباته بالاضافة الي ذلك فان قوة المد والجزر يمكن استغلالها لانتاج الكهرباء كما هو الحال في المحطات الايدروليكية التقليدية(هال هيلمان د.ت ، 135).

يمكن الاستفادة من الطاقة المتولدة من حركات المد والجزر في المياه كما يمكن الاستفادة من الفارق في درجات الحرارة بين الطبقتين العليا والسفلي من المياه والذي يصل إلى فرق 10 درجات مئوية (http://www.kenanaonline.com).

تستغل هذه التكنولوجيا حركة الكتل المائية التي تسببها جاذبية القمر مرتين باليوم، ومن أنسب مناطق استغلال هذه الطاقة هي الخلجان ومصبات الأنهار التي تحدث فيها حركات مد يزيد عن ثلاثة أمتار، ومثال على ذلك مصب نهر سيفرون في بريطانيا وخليج فوندي في كندا حيث يحدث أعلى ارتفاع للمد في العالم (16 متر).

وتشبه القاعدة الأساسية لتوليد الطاقة من حركة المد والجزر الطاقة المتولدة من الطاقة المائية،حيث يتم بناء سد عند مدخل الخليج الذي يتمتع بفرق كبير في منسوب الماء بين المد والجزر، وتوضع توربينات توليد الكهرباء عند بوابة هذا السد.

ففي فترة المد يرتفع منسوب الماء في المحيط أمام بوابات السد، فتفتح البوابات شيئاً فشيئاً ويدخل الماء من المنسوب المرتفع خارج الخليج إلى المنسوب المنخفض داخله، فيدير توربينات توليد الكهرباء وتغلق البوابات بعد ذلك (علي مهران 2010).

وعندما ينحسر المد وينخفض منسوب المياه في المحيط أمام السد، تفتح البوابات شيئاً فشيئاً فيندفع الماء من المنسوب المرتفع داخل الخليج إلى المنسوب المنخفض في

المحيط فيدير توربينات الكهرباء، بما فيه من طاقة وضع وقد تحولت إلى طاقة حركة.

تغلق البوابات بعد ذلك حتى يبدأ المد مرة أخرى بعد 12 ساعة فتعود الدورة من جديد. لذلك هناك أربعة دورات لتوليد الكهرباء، اثنتان أثناء المد ودخول الماء من المحيط إلى داخل الخليج واثنتان أثناء الجزر وخروج الماء من الخليج إلى المحيط.

مزايا واستخدامات طاقة الامواج ومعوقاتها:

اولا :مزايا استخدامات طاقة الامواج:

إن طاقة الأمواج تتميز بعدد كبير من المزايا منها:

1- تعتبر هذه الطاقة آمنة وليس لها أية مخاطر.

2- طاقة أمواج البحر أكبر بكثير من طاقة الرياح.

3- طاقة أمواج البحر ثابتة على مدار 24 ساعة وطيلة أيام السنة تقريباً، بينما طاقة الشمس يستفاد منها أثناء النهار، وطاقة الرياح يستفاد منها في فترات متقطعة.

4- الكهرباء الناتجة عن طاقة الأمواج أكثر ثباتاً.

ثانياً:استخدامات طاقة الامواج:

لقد راودت فكرة إمكانية استخلاص الطاقة من أمواج المحيط بعض المفكرين منذ عدة قرون. وعلى الرغم من تجدد هذه الأفكار منذ أكثر من مائة عام فإن التفكير الجدي باستغلال هذه الطاقة لم يدخل حيز التطبيق إلا بعد السبعينات من القرن الماضي.

ومن المناطق المناسبة لاستغلال هذه الطاقة هي المناطق التي تكون فيها الأمواج عالية ومصادر الطاقة التقليدية فيها مكلفة كالجزر النائية. فنصب مثل هذه المحطات في هذه المناطق يمكن أن يكون اقتصادياً في الوقت الحاضر.

ولابد من إجراء بعض التطويرات التقنية حتى يستطيع هذا المصدر أن يكون ملائماً من الناحية الفنية والاقتصادية.

تشخص الأمواج بطول موجتها وبارتفاع الموجة وبزمن الموجة. أما حجم الموجة التي تتولد بواسطة الرياح فإنه يعتمد على ثلاثة عوامل هي سرعة الرياح، زمنها والمسافة التي تقطعها عند تحويل طاقة الرياح إلى المحيط لتكوين الأمواج.

تحتوى الأمواج الكبيرة على طاقة أكبر لكل متر من طول القمة مقارنة بالموجات الصغيرة، ويتم حساب قدرة الأمواج بدلاً من محتوى طاقتها، وتحسب قدرة الأمواج بوحدة الكيلو واط/متر في محيط ساكن الأمواج على أنها مربع ارتفاع الموجة (بالمتر) مضروباً في زمنها بـ(الثانية).

لأجل الحصول على طاقة من أمواج البحر فإنه من الضروري استقبال الموجة بهيكل يمكنه مقاومة القوة المسلطة عليه من الأمواج. وإذا كان الهيكل مثبتاً في قاع البحر أو في الساحل فإن من الممكن أن يكون قسم منه متحركاً بالنسبة للهيكل الثابت، وبالتالي يقوم بتحويل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية.

كما يمكن استخدام الهياكل القائمة شريطة أن يكون هنالك إطار ثابت ليتسني للجزء الفعال من المنظومة الحركة نسبة إلى الهيكل الرئيسي. ويمكن الوصول إلى هذا الهدف بالاستفادة من القصور الذاتي أو بتكبير الهيكل بحيث يستطيع أن يتسع لعدة قمم من الموجات ويبقى ثابتاً بصورة معقولة في كافة حالات البحر.وقد أمكن توليد طاقة بنحو 10 كيلو واط في شمال المحيط الأطلسي في كل متر مربع من سطح الماء.

ثالثا:معوقات استخدام طاقة الامواج:

1. الحاجة إلى تطوير أجهزة تستخلص كمية أكبر من طاقة الأمواج الغير المنتظمة في مساحات مائية أكبر.
2. هناك تأرجح كبير في الطاقة الموجودة في الأمواج لذلك يجب على الأجهزة أن تتناسب مع هذا التأرجح وتعطي خرج بقمة مساوي عشرة أضعاف القيمة الدنيا أما الوضع الحالي فهو أربع أضعاف.

3. إن طاقة الأمواج متوفرة بسرعة بطيئة و قوة عالية ولكن أغلب المولدات المتواجدة في الأسواق تعتمد على سرعة عالية وتدفق ثابت.
4. يجب على هذه الأجهزة أن تتحمل العواصف والعوامل الجوية مثل التأكل بسبب المياه المالحة.
5. التمويل والاستثمار القليل في هذه التقنيات.
6. رفع مردود هذه الأجهزة. الأمواج تولد استطاعة مساوية إلى 2700 غيغا وات ويمكن استخلاص 500 غيغا وات فقط من هذه الطاقة بواسطة التجهيزات الحالية.

مزايا و استخدامات طاقة الحرارة الارضية الجوفية ومعوقاتها :

أولا: مزايا طاقة الحرارة الارضية الجوفية :

1. كونها طاقة متجددة، فهي من مصادر الطاقة التي لاتنفد على الأقل للأجيال القادمة.
2. كونها طاقة نظيفة غير مضرة بالبيئة، ولا تسبب أي تلوث سواء في استخراجها أو في تحويلها أو استعمالها.
3. توفرها بكميات كبيرة جدا وفي مساحات شاسعة ولأغلب بلدان العالم.
4. قلة تكاليف إنتاج الطاقة بعد التكاليف الأولية لإنتاج المحطة (والتي يمكن أن تكون باهظة).
5. المردود العالي للطاقة المستخرجة.

ثانياً:استخدامات طاقة الحرارة الارضية الجوفية :

يمكن الاستفادة من هذه الحرارة لادارة العنفات التي تقوم بتوليد الطاقة الكهربائية وما يتبقي من حرارة يستفاد منها في تدفئة المنازل القريبة من المنشات في حين يعود الماء البارد ثانية الي الطبقات الصخرية الحارة ، وتعد هده التقنية مصدرا حراريا نظيفا وذا امكانيات كبيرة ، لكن فرص توفرها تتوقف علي الموقع الجغرافي والامكانات المادية والتقنية العالية لاليات الحفر اللازمة للوصول الي مثل هذه الاعماق

، وتزداد هذه الحرارة مع زيادة العمق ،ويمكن استغلالها بالطرق المتوفرة بصورة اقتصادية (سمير سعد2009 ، 3).

وقد أجريت أول تجربة لتوليد الكهرباء عن طريق بخار جوف الأرض في ايطاليا عام 1904 بطاقة إنتاجية 280 كيلووات. كما توجد محطات توليد كهربائية تعمل بالحرارة الجوفية في المكسيك ، أيسلندا، نيوزيلندا ، اليابان، روسيا والولايات المتحدة (في شمال سان فرانسيسكو).

وعلي مستوي الدول العربية نجد مثل هذا المصدر في بعض الدول كجيبوتي ، الجزائر ، المغرب والسعودية وبصورة اقل في الأردن مصر،و السودان وتونس (مخلفي امينة، 227).

وتبقي زيادة مساهمة هذا المصدر في تلبية احتياجات الإنسان رهينا بالتطورات التكنولوجية وأعمال البحث والتنقيب التي ستجري مستقبلا.

وتستعمل هذه الطاقات بالإضافة إلي توليد الكهرباء في مجالات اخري كالتدفئة المركزية والاستخدامات الزراعية والصناعية والأغراض الطبية وتجفيف المحاصيل وفي صناعة الورق والنسيج ، وتستخدم الينابيع الساخنة في الجزائر لأغراض طبية وسياحية .ومعظم التدفئة المنزلية في اقاليم أيسلندا تتم بواسطة الطاقة الجيوحرارية، حيث تعتبر من ارخص الطاقات كما انها مجدية اقتصاديا.

وتستخدم هذه الطاقة ايضا في مجال الجيوفيزياء والكيمياء الحيوية والاكتشافات الجيولوجية ، ويتم استخدام الحرارة بشكل مباشر او يتم تحويلها الي أشكال أخري من الطاقة كالطاقة الكهربائية.

ثالثا:معوقات استخدام طاقة الحرارة الارضية الجوفية:

من اهم المعوقات التي تواجه هذا النوع من الطاقات والمصادر الاتي (هاني عبيد 2000م ،204):

1. خطورة التعامل مع الحرارة المتسربة بعنف الي سطح الأرض.

2. تاكل المعدات المستخدمة في الحفر للوصول الي مكان الحرارة، لاسيما إذا كانت الحرارة المتولدة في صورة بخار رطب او ماء .
3. قلة نسبة الطاقة المستفاد منها ، حيث ان نظام البئر الحراري الجوفي يمكن ان يستخرج 10٪ من الحرارة الموجودة في المستودع الجوفي الي سطح الأرض ثم تقوم المحطات الحرارية بالاستفادة من 10٪ من هذه الكمية مما يعني أن نسبة الاستخدام تصل إلي 1٪ فقط من الحرارة الجوفية في موقع معين .
4. مشكلات البحث والحفر حيث تستخدم طرق البحث وأدوات الحفر المستخدمة في البترول وصعوبة حفر آبار بأعماق سحيقة قد تصل إلى عمق 5 كيلومترات ووسط درجات حرارة مرتفعة وبأعداد كبيرة تتيح إنشاء محطة قوى متوسطة القدرة.
5. المشكلات العلمية المتعلقة بمدي المعرفة بمصادر الطاقة الجيوحرارية .
6. مشكلات التلوث وهي مشكلات التلوث الحراري وخروج الغازات غير القابلة للتكثيف مثل أول أكسيد الكربون وكبريتيد الهيدروجين وغازات أخري.

مزايا واستخدامات طاقة الكتلة الحيوية:

أولاً: مزايا طاقة الكتلة الحيوية:

1. توافر مصادر طاقة الكتلة الحية وإمكانية استخدامها بخاصة في مناطق التعمير واستصلاح الأراضي ولتنمية الاماكن والتجمعات النائية والبعيدة عن العمران، مما سيساعد على الاحتفاظ باحتياطيات المواد البترولية لفترة أطول ويحقق تواصل التنمية في الدول النامية .

2. وجود نخبة ممتازة من العلماء والخبراء والفنيين سواء في الدول العربية أو الدول الأجنبية المتقدمة مما يجعل من تطوير ونشر استخدام هذه الطاقة أمرا ممكناً ومرغوباً .
3. إمكانية إقامة المعامل ومراكز البحوث المتخصصة من خلال دعم ما هو متوافر في الجامعات من مراكز علمية بحثية، والعمل كذلك على إنشاء مراكز لتطبيقات هذه الطاقة .

ثانياً :استخدامات طاقة الكتلة الحيوية:

لقد ظلت الكتلة الحيوية المصدر الرئيسي لتجهيز الحرارة والضوء في مختلف بقاع العالم منذ قديم الزمان ، وقد حل محلها في نهاية القرن التاسع وقود الفحم والنفط في الدول الصناعية بينما ظل استخدامها واسعا في الدول النامية . وقد ادي النقص في الطاقة في عام 1973 وتنامي القلق البيئي إلي إعادة دراسة استخدام الكتلة الحيوية مرة أخري في كافة أنحاء العالم وبالذات في أوروبا ، فعلي سبيل المثال إن مواقد القش التي تستخدم لتوفير الماء الحار والهواء الحار والبخار متوفرة في كل الأسواق الأوروبية تقريبا.

تكمن اهمية الكتلة الحيوية في انها مصدر من مصادر الطاقة المتجددة كما أنها تشكل مانسبته 14٪ من احتياجات الطاقة في العالم ،(هاني عبيد 2000م ،204).

يعتبر استغلال الكتلة الحيوية ضرورة حتمية وذلك لكونها ملوثة للبيئة ويجب التخلص منها حفاظا علي البيئة ، ويمكن تحويلها إلي طاقة أو تدوير بعض منها لاستخدامها مرة أخري . بالإضافة إلي ما ورد أعلاه يمكن الاستفادة من المخلفات العضوية قبل معالجتها النهائية .

وان من أهم الصناعات او المواد التحويلية التي تنتج عند معالجة ما تبقي من الكتل الحيوية هو السماد العضوي الذي يعتبر عنصرا هاما للتربة والنبات اذ يحتوي علي الفسفور ، والنيتروجين، والبوتاسيوم، وهي عناصر غذائية هامة للنبات.

لقد استعملت هذه المخلفات في إنتاج الغاز الحيوي الذي يحتوي علي الميثان والبروبان اللذين يمكن استخدامهما في أغراض الإنارة والطبخ والتدفئة. وقد تم أيضا الاستفادة من بعض المخلفات الزراعية التي تحتوي علي نسبة عالية من الزيوت اذ تم تحويلها إلي زيت يشبه زيت الديزل ويمكن استخدامه مباشرة في مكائن الاحتراق الداخلي بكفاءة عالية دون الحاجة إلي إحداث أي تغيير او تعديل في هذه المحركات.

يمكن الاستفادة أيضا من بعض المنتجات النباتية بتحويلها الي كحول اذ تتخمر بعض المواد النشوية او السكرية الموجودة بهذه النباتات او المخلفات، وبطريقة خاصة يتم تحويلها الي كحول ايثيلي (ايثانول) أو يمكن معالجة هذه المخلفات بطريقة أخري بحيث تعطي خليطا من غازي الهيدروجين وأول أكسيد الكربون ، ويمكن تحويل هذا الخليط إلي كحول أخر يسمي الكحول الميثيلي المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم2006م، 126) .

ان طرق تحوبل الكتلة الحيوية لطاقة متعددة ومتنوعة منها :

1- طرق فيزيائية : مثل التجفيف والتكثيف وضغط الحجوم.
2- طرق كيميائية: مثل التخمير والتفاعلات اللاهوائية.
3- طرق حرارية: مثل الحرق أو الأكسدة .

وعمليات التحويل تؤدي في النهاية الي الحصول علي مواد صلبة او سائلة او غازية ، وهذه احدي أهم محاسن طاقة الكتلة الحيوية التي لا تتوفر في الطاقات الاخري حيث ينتج الوقود الحيوي (http://www.arab-eng.org).

مزايا واستخدامات طاقة الهيدروجين ومعوقاتها:

اولا مزايا طاقة الهيدروجين:

يتميز الهيدروجين كوقود بعدد من المزايا منها :

1. يحتوي علي كمية كبيرة من الطاقة في وحدة الوزن مقارنة مع المحروقات الاخري (تعادل ثلاثة أمثال القيمة الحرارية للبنزين).
2. يمكن نقله في شكل سائل أو غاز مما يجعله وقود مقبول (عبد الاله محمد الحسن 2010، 36).
3. يمكن خزنه في خزانات او صهاريج كبيرة .
4. الهيدروجين وقود متجدد ودائم .
5. الهيدروجين مثل الغاز الطبيعي لا رائحة له.
6. يكون الهيدروجين غازا خفيفا في درجة حرارة الغرفة كما يمكن ان يتاكسد مع الاكسجين في خلايا الوقود.
7. لا تنتج عن احتراق الهيدروجين أية انبعاثات لثاني أكسيد الكربون أو الكبريت في الجو.

ثانيا: استخدامات وقود الهيدروجين:

يمكن تصنيف استخدامات الوقود الهيدروجيني بشكل رئيسي ضمن الحقول الاربعة الرئيسية التالية:

1. وقود لوسائط النقل (سيارات ،طائرات) العاملة علي تقنية خلايا الوقود الهيدروجيني وتطبيقاتها الاوسع وصولا لاستخدامها مستقبلا في محطات التوليد الطاقة .
2. استخدامه كبطارية بسعات تتدرج من الصغيرة المستخدمة في الحواسيب الشخصية المحمولة وصولا الي بواخر نقل الهيدروجين التي تنقله من

محطات الطاقة المتجددة الي اماكن توليد الكهرباء البعيدة لحل مشاكل وتكاليف الشبكات الطويلة والضياعات الطاقية عبرها .

3. وقودا مولدا للطاقة الحرارية باحتراقه المباشر في المراجل في محطات الطاقة ،اضافة الي استخدامه كوقود دفعي في الصواريخ.
4. وقود عاملا في المفاعلات النووية ،ونخص بالذكر منها تقنية مفاعل (ITER) الذي يعمل علي مبدا توليد الطاقة علي سطح الشمس.

خلايا الوقود

تُصنع خلية الوقود المُبسطة من قطبين من الكربون مُحملين بقليل من فلز البلاتين الذي يعد عاملاً مساعداً في حمض الكبريتيك، وعند إمرار تيار من غاز الهيدروجين على أحد هذين القطبين، وإمرار تيار من غاز الأكسجين، أو من الهواء على القطب الثاني فان مثل هذه الخلية البسيطة تعطى فولتاً واحداً من التيار المستمر، ويمكن تجميع مثل هذه الخلايا على هيئة أعمدة كبيرة، يتكون كل منها من عشرات من هذه الخلايا للحصول على الجهد اللازم.

تمتاز خلايا الوقود بأنها لا يُنتج عن تشغيلها ضوضاء أو ضجيج مثل بقية محطات القوى الأخرى، ولذلك فانه يمكن إقامة محطات توليد الكهرباء التي تدار بخلايا الوقود في أي مكان في وسط المدن وفي المناطق الآهلة بالسكان، مما يوفر قدراً كبيراً من التكاليف عند توزيع الطاقة الكهربائية الناتجة منها.

ويمكن استخدام وحدات مجمعة صغيرة من هذه الخلايا لتوفير الطاقة في بعض المباني الكبيرة، أو في بعض المتاجر الضخمة، التي قد تحتاج من 25 - 200 كيلووات من الكهرباء، ويقدر الباحثون في هذا المجال، أن كفاءة توليد الكهرباء من هذه الخلايا ستصل مستقبلا إلى نحو 80٪.

ويمكن استخدام خلايا الوقود في حافلات النقل فبالرغم من أن ثقلها لا يؤهلها للاستخدام في السيارات الصغيرة فإنها مناسبة جدا للحافلات الكبيرة والشاحنات . ومن المشاكل التي تواجه توسيع استخدام خلايا الوقود ارتفاع سعرها الأولي ، وتجري أبحاث كثيرة في دول مختلفة من العالم لتقليل سعرها. وقد تم نصب محطتين تجريبيتين في هذا المجال احدهما بسعة 4.5 MW في مدينة طوكيو وأخري بسعة 4.8 MW في مدينة نيويورك (المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم 2006، 267).

ثالثا: معوقات استخدام طاقة الهيدروجين:

على الرغم من قيام شركات صناعة السيارات بتصنيع النموذج الأولي لسيارات تعمل بخلايا الوقود، إلا أن آلية عملها وتصنيعها ما زالت مكلفة، ولا تزال هناك عقود قبل الوصول إلى نموذج أقل تكلفة وأكثر أماناً وموثوقية . فالمعوقات التقنية التي تواجه هندسة المركبات عملية ذات خلايا وقود ما زالت تحول دون الانتقال السريع إلى سيارات تعمل بالوقود الهيدروجيني. وتتلخص المعوقات التقنية في الاتي:

1. لا بد من وجود تقانة آمنة وفعالة لتخزين الهيدروجين على متن السيارة، وكذلك توفير مدى كاف للقيادة نحو300 ميل، ويجب على تقانة تخزين مقبولة أن تتحمل العمل لمدة تكفي لقطع مسافة لا تقل عن 150 ألف ميل. وينبغي أن تعمل في درجات حرارة تتراوح ما بين 40 و45 درجة ، كما يجب أن تكون عملية الإمداد بالوقود سهلة وتتم في أقل من خمس دقائق. وهناك مقاربات متعددة لتخزين الهيدروجين، منها طرق تخزين كسائل وكغاز مضغوط وفي الحالة الصلبة، وجميع هذه المحاولات واعدة ولكنها جميعاً تواجه تحديات.

2. نقل الهيدروجين: من غير الممكن نقل الهيدروجين عبر الأنابيب لمسافات طويلة في الوقت الحاضر على الأقل، كما هو الحال بالنسبة للنفط والغاز.
3. البنى التحتية: تحتاج المركبات التي ستطرح مستقبلاً إلى محطات تزويد بالوقود الهيدروجيني وهو من غير الممكن في المدى القريب، فإقامة المحطات يحتاج إلى توافر أعداد كبيرة من هذه الآليات العاملة بوقود الخلايا، فكلفة هذه البنية ضخمة وتحتاج مثل هذه الخطوة إلى توفير دعم قوي من القادة المحليين والوطنيين في القطاعين العام والخاص، كما سيستلزم اعتماد الهيدروجين كوقود أولي للسيارات والشاحنات دعماً من الحكومات للأبحاث وللعروض التجريبية اللازمة لإثبات جدوى البنية التحتية وهو إن تم سيشجع المستثمرين في الإنفاق على إنشاء البنى التحتية اللازمة فهم على استعداد دائم لانتهاز الفرص الجديدة وخاصة تلك التي تحقق أرباحاً ضخمة.
4. ارتفاع كلفة السيارة التي تعمل بالوقود الهيدروجيني مقارنةً بمحرك الاحتراق الداخلي، فالأولى يصل ثمنها إلى 100 ألف دولار مقارنةً ب 4 آلاف دولار للثانية.
5. الكلفة المرتفعة: تعتبر كلفة إنتاج الوقود الهيدروجيني أحد معوقات التحول نحو مجتمع هيدروجيني، ويقدر الباحثون كلفة الكيلوغرام الواحد من الهيدروجين وفقاً لحجم المخزون وطرق الإنتاج والتوزيع ما بين أربع وستة أضعاف تكلفة الجالون الواحد من الغازولين أو وقود الديزل .

الخاتمة:

إن السودان أحد الدول الواعدة لإقامة مشروعات الطاقات المتجددة خاصة الطاقة الشمسية وطاقة الرياح فلها مستقبل استثماري مبشر في السودان إذا تم الإعلان لها بغرض التعريف بهذه التقنية الجديدة وتوفير أنظمتها في الأسواق وجعلها في متناول اليد

مثل السلع الأخرى. وقد أثبتت نتائج التطبيقات التي قام بها معهد أبحاث الطاقة نجاح أنظمتها في عدد من ولايات السودان كما ساهمت في رفع المستوى المعيشي لسكان المناطق الريفية التي تنعدم فيها مصادر الطاقة.

من المزايا التي تجعل السودان مكاناً مناسباً لنجاح التطبيقات واستخدام الطاقة الشمسية خاصة هي انخفاض الكثافة السكانية في السودان وبعد المسافة بين التجمعات السكانية الصغيرة في الريف وبين المدن الكبيرة مما يجعل استخدام الطاقة الشمسية أكثر ميزة في مقابلة احتياجات الريف من الطاقة وهذا يساعد في جعل التطبيقات الشمسية تنافس اقتصادياً المصادر التقليدية التي يكلف نقلها لتلك الأماكن كثيراً من الجهد والمال.علاوة علي موقع السودان الجغرافي الذي يتيح له الاستفادة من كثير من الطاقات المتجددة لتعامد الشمس علي أراضيه كلها مرتين في العام وسطوع الشمس وصفاء سمائه خاصة في شماله.

النتائج:

1. تسهم الطاقة المتجددة في خلق فرص صناعات جديدة واستثمارات يمكن أن تشكل إضافة مع النفط في التخفيف من عبء الاعتماد عليه ذلك أن الاعتماد على النفط في التنمية الاقتصادية في كافة قطاعات الاقتصاد أدى إلى ارتفاع حرارة الأرض نتيجة لتركز الغازات السامة الناتجة من الصناعات وعوادم السيارات.
2. يحتاج مشروع الطاقات المتجددة إلى رأس مال وقدرات فنية وعلمية وإدارة كفئة وزيادة فرص الاستثمار وخلق جهة اعتبارية للاهتمام بأمر الطاقات المتجددة وتطوير استخداماتها مع التأكيد على الدور الرائد لمعهد أبحاث الطاقة وبحث كيفية تنمية تلك الموارد.
3. لا بد للسودان أن يستفيد من تجارب الدول الرائدة في هذا المجال من أجل

تطوير تقانات الطاقة المتجددة وقد أثبتت التجارب نجاح الصين والهند في مجال استخدام طاقة الكتلة الحيوية بالإضافة لتجربة سوريا في استخدام الطاقة المائية.

التوصيات:

1. التركيز على تنمية قطاع الطاقات المتجددة بهدف المحافظة على البيئة والتقليل من خطر الاحترار العالمي الناتج من استغلال الطاقة التقليدية.
2. تطوير التعليم الفني والتقني وترقية الأداء عن طريق نشر كليات ومعاهد متخصصة في مجالات الطاقات المتجددة لتوفير الكادر الفني والتقني المدرب.
3. فتح المجال للاستثمار الأجنبي والاستفادة من تجارب الدول السابقة في هذا المجال.
4. تشجيع رأس المال المحلي للدخول في الصناعات الاقتصادية لاستقرار الهيكل الاقتصادي بغية انتاج أجهزة الطاقة المتجددة محلياً وتوفير فرص عمالة جديدة.
5. تشجيع المصارف لتقديم قروض طويلة الأمد لنشر تقنيات الطاقة المتجددة لكل جهة ترغب في الاستفادة منها للاقتناء أو الاستثمار.
6. السماح باستيراد المواد الأولية والأجهزة والمعدات المعملية بدون رسوم الضرائب والجمارك.
7. عمل برامج إعلامية وتثقيفية تهدف إلى توعية المواطنين المستفيدين والمستثمرين بأهمية الطاقة المتجددة في المحافظة على البيئة وتشجيعهم على استخدام منتجات الطاقة المتجددة.

المراجع:

أولاً: الكتب:

1. عبد الإله محمد الحسن عبد السلام، مصادر وتقنيات الطاقة الجديدة والمتجددة، جمهورية السودان، جامعة الجزيرة، 2010م.
2. محروس محمد، مدخل إلى اقتصاديات الموارد، دار الجامعات المصرية، القاهرة، 1982م.
3. هاني عبيد، الإنسان والبيئة ومنظومات الطاقة والبيئة والسكان، دار الشروق، عمان 2000م.
4. هال هيلمان، الطاقة في عالم المستقبل، ترجمة علي عبد الجليل راضي، مكتبة النهضة المصرية،بدون تاريخ.

ثانيا: اوراق العمل:

5. اقتصاديات الطاقة الشمسية في المملكة العربية السعودية، مركز الدراسات والبحوث – غرفة الشرقية ، بدون تاريخ.
6. المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم ،حقيبة تعليمية تدريبية في مجال الطاقات المتجددة، سلسلة الحقائب التعليمية التدريبية في مجال الطاقات المتجددة، المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم، تونس، 2006م.
7. علي بدران، الطاقة المتجددة (الشمس والرياح والماء)، الأسبوع العلمي الأردني الثالث، عمان، 26 أبريل – 2 مايو، 1995م.

ثالثا: المجلات العلمية:

8. مجلة فقيه للبحث والتطوير، العدد الرابع،عمان، ديسمبر 2008م.
9. مجلة الدفاع الوطني، لبنان، اغسطس2012.
10. مجلة الباحث،عدد6/2008 وعدد 9 /2011 .

المواقع الالكترونية:

11. علي مهران، الطاقة المتجددة.. صديقة للبيئة، مقال في الانترنت. نشر بتاريخ 25 يوليو، 2010م.

13.سمير سعد، الطاقات المتجددة وضرورة استخدامها، مقال في الانترنت بتاريخ 2009/7/29م.

14-http://www.arab-eng.org/

15-hhttp://www.kenanaonline.com

16-wwww..ar.wikibooks.org

17-http://www.greenDevce.org

18-Renewabledev.com

The Rock Art of Wadi al-Jifr in Eastern Oman: an Abstract of Human Activities and Identity

Nasser Said Al-Jahwari & Ali Tigani ElMahi

Introduction :

Progress in rock art studies confirms that this ancient art holds useful information about prehistoric people, their organization, tools, animals and activities. Worldwide, the general complexity of rock art has resulted in various proposals and approaches to comprehend and agree upon the meanings of rock senses. Likewise, rock art has always been difficult to investigate and comprehend. Nevertheless, it remains to be a useful source of information, since it offers a different quality of information when compared with unearthed archaeological material.

In Oman, rock art is categorically one of the richest and most fascinating corpuses of human heritage in the Arabian Peninsula. Yet, this source of information remains unstudied in sizeable areas of Oman. Furthermore, few studies have addressed this prehistoric source of information. These attempts were made by Clarke (1975a-b); Preston (1976); Jäckli (1980); al-Shahri (1991, 1994) and ElMahi (2000, 2001, 2002, 2010a-b).

This article presents the results of examining Wadi al-Jifr's rock drawings. These rock drawings were encountered during field investigations in 2010 at Ja'alan Bani Bu Hassan in the Southern Sharqiyah Governorate of Oman (Fig. 1). During this survey, a number of archaeological remains (cf. al-Jahwari 2011) were recorded, including numerous rock drawings, which are the subject of this paper. In dealing with these rock drawings it is necessary to contemplate the various aspects of why prehistoric people picked, engraved and painted rock scenes. Although this question remains an unanswered completely, it seems to impel the present inquiry of Wadi al-Jifr 's rock scenes. Therefore, the purpose and the impetus that motivated conducting such drawings prompted this investigation. It is an attempt to understand why the inhabitants of Wadi al-Jifr made their rock drawings along the wadi.

Upon examination, Wadi al-Jifr 's rock drawings seem to present no snap shots of extended activities (cf. El Mahi 2000, 2001, 2002). In fact, they seem to present abstracts. These abstracts are to express a thought or an idea apart from any human activity. Consequently, the rock scenes of Wadi al-Jifr are regarded as abstracts to fulfil specific objectives.

The paper regards these rock scenes as abstracts of mental conceptions of ideas to serve a meaning and a purpose. And all of these conceptions are indeed a reflection of identity and confirmation of activities. However, it would be useful to touch briefly on the geography and the setting of Wadi al-Jifr before we proceed with this attempt.

Wadi al-Jifr :

Wadi al-Jifr is located (N 2448426.427; E 743532.335) in the north-eastern part of Ja'alan Bani Bu Hasan in the Southern Sharqiyah Governorate of Oman (Fig. 1). The area is part of the Ja'alan region that is located on the southern edge of the Oman Mountains, 50km south of Sur. It is divided into five main physiographic zones (Roger et al. 1991: 7) in which the mountainous area of Ja'alan, particularly Jabel Ja'alan, Jabel Khamis and Jebel Qahwan (Fig. 2)., is cut and crossed by several wadis that are filled with gabbros stones, limestone boulders and conglomerate covered with alluvial gravels and silt. The water run-off of almost all of these wadis is dry most of the time but during season of rainfall they are sometimes fed by rapid floods. Moreover, these wadis consist of a number of thorny trees, shrubs and grasses.

Jebel Qahwan, the area where Wadi al-Jifr is located, is characterized by its natural resources (e.g. flora, fauna, minerals). In terms of fauna, a number of wild animals exist in this mountainous area, including gazelle, Arabian ibex (Tahar), fox, birds and others. Jebel Qahwan, together with Wadi As'Sareen and Jabal Nakhal, is the home to one of the three main populations of the Arabian Tahrs in Oman (Kamoonpuri 2011). This natural diversity in this area has led the government of Oman to currently plan and develop Jebel Qahwan to be a natural reserve for Arabian Tahr, gazelles, leopards and birds (Kamoonpuri 2010).

Wadi al-Jifr (Fig. 2) is part of the well-known mountainous area in Ja'alan, that is Jebel Qahwan which is at the same time is part of Jebel Ja'alan mountain. After rainfall, water in this wadi comes from the main watersheds of Jebel Qahwan and runs through a number of wadi tributaries until it reaches one point where afterwards runs in one main wadi channel towards south. The wadi consists of different geological formations such as rocky and gravel hills, ancient terraces and wadi banks, ridges and wadi channels; all of which are filled with boulders and rocks of different sizes.

Currently Wadi al-Jifr is not inhabited. The survey of the wadi revealed several settlement remains built of stone foundations and perishable materials (wood, cloths, etc.), and rock shelters that were used as temporal places by goat herds who perhaps used the area for grazing.

Modern Islamic pottery like porcelain, celadon and Bahla Ware were found in Wadi al-Jifr. It indicates that it has been inhabited until recent times when its inhabitants shifted to the centre of Ja'alan town. These nomadic goat herds still use the wadi as a grazing land for its animals, and make use of rock shelters

The geographical terrains "wadi" means a valley. Wadi al-Jifr is a stretch of low land lying between hills and mountains and seasonally rain water flow through it (Pl. 1). It drains northwards. Water is also trapped in different locations in the course of the wadi. Hence, it is marked by short annual grass and dwarf shrubs. Therefore, these conditions are characterized by seasonal and perennial vegetation. This includes also low sub-shrub and grass cover (Pl. 2). The present ecological conditions of the wadi can be described as reasonably favourable for most of the year.

The Survey:

In 2010, our survey in Wadi al-Jifr recorded all archaeological remains, including the rock drawings. Sixty-three rocks with drawings were mapped and documented.. All rocks with depicted figures were recorded and their contents were fully described, photographed and drawn. Each rock consists of drawing(s) was marked and given unique code (e.g. W.J 1. R1), then its content was described and photographed. All rocks were plotted on a satellite image using GPS coordinates that were taken to each rock. This image shows their distribution along the wadi banks and density (Fig. 3). Other archaeological remains in the Wadi were also fully documented in order to define their relationship to the rock drawings (Fig. 4).

In order to organize the data related to the rock drawings and to facilitate their analysis and interpretation, a database was created using Microsoft Access 2007, and it includes all related data. The database facilitated making quantified analysis of the total number and percentage of the depicted figures, which will be presented when interpreting the archaeological evidence later in this paper.

The 2010 survey yielded a number of archaeological remains, including the 63 rock drawings that extend along the wadi banks, mainly the northern and north-eastern bank (Fig. 3). It also yielded stone foundations of possible settlement remains that were either totally built of stone or perishable materials. They indicate settlement activity along the wadi banks, particularly at the beginning of the wadi. Other remains included rock shelters that were modified by adding exterior stone walls in front of their entrance and they were used either for short stay or for keeping animals. The

majority of these archaeological remains are located on the northern and north-eastern banks of the wadi due to the fact that these banks are a flat gravel terrace with rocks suitable for picking figures. Furthermore, Hafit burial cairns were noted on the rocky hills surrounding the wadi, particularly those located close by the wadi entrance in the southern part, as well as some Islamic tombs on top of a rocky hill in the northern part of the wadi.

Wadi al-Jifr rock scenes:

All drawings of Wadi al-Jifr were executed by picking. The geology of the area must have helped considerably in implementing these drawings on limestone rocks. The rock drawings were executed on boulders of various size and shapes. Their geology is examined by Osman Abdulkalig (*pers. comm.* 2012) of the Geology Department, Sultan Qaboos University, who identifies them as limestone. Furthermore, these boulders were transported by high velocity of water from the wadi's upstream. Again, water has shaped these boulders and gave them their present smooth surface. The boulders are presently resting on alluvial deposits. It is clear that these boulders were transported long time before they were drawn on them.

Given the quality of these boulders and their solid smooth surface, drawing proved to be easy by picking. Again, examining the geology of the area it seems these boulders were the only possible surface to make these drawing. The boulders are found all the way along Wadi al-Jifr .

The terrains in which these drawings have been depicted extend from the entrance of the Wadi to the highest points of Jabal Qahwan in Southern Sharqiyah Governorate (Figs. 1 & 2). The rock drawings include human figures with tools and others without tools, hand and foot prints, domesticates, and unidentified symbols (Fig. 5). All these rock drawings have been documented and studied. Furthermore, it is noticeable that these drawings are concentrated on the entrance of the wadi. Towards the inner and higher parts of the wadi, the drawings become less in number. Again, upstream there is no concentration of drawings on boulders (Fig. 3).

Wadi al-Jifr 's rock drawings contain various presentations. All rock drawings are recorded in Table (1). Close examination of Table (1) casts light on the contents of Wadi al-Jifr 's rock drawings. Classification of the drawings resulted in the items presented in the different drawings, which are illustrated in Table (2). It is worth mentioning that the Arabic inscription found in Site no. W.J.7.R4 is of recent origin.

Table (2) illustrates the exclusive high frequency of the human hand and foot (Pl. 3). The figure of a horse and camel riders (Pl. 4) follow in

portrayal. This is equally followed by human figures and animals (Pl. 4). All of these images are completely isolated from each other and do not comprise or indicate part of activity.

In addition, (Table 3) shows the statistical frequency of the animals depicted on the rock boulders of Wadi al-Jifr. The table is self-explanatory. The horse is the most dominant animal, followed by camel.

Discussion:

Other than the rock drawings, archaeological remains in Wadi al-Jifr consist of stone foundations of some constructions. They are distributed along the northern and north-eastern banks of the Wadi in close proximity of the rock drawings at the Wadi entrance in the south. These remains did not yield any datable evidence with the exception of few pottery sherds of the Late Islamic period (AD 1300-1800) such as Julfar and Bahla wares, and Modern times (AD 1800-present) such as porcelain and celadon. On the other hand, Hafit burial cairns (end of fourth-early third millennium BC) mentioned earlier are not close to the rock drawings; they are on top of some rocky hills surrounding Wadi al-Jifr . Thus, it is difficult to give a precise dating for the occupation in the Wadi. Nonetheless, the rock scenes of the camel and horse can possibly be relative chronological indications. This will be discussed later.

It seems logical that no group of people will make any drawings in an area which they are not related or attached to it. Usually man executes such portrayals only in places where it serves a specific purpose. Whatever purpose these delineations fulfil, it has to be in a location of interest and bond. For this reason, the inhabitants of Wadi al-Jifr must have made these rock drawings along the Wadi to serve a purpose and for a good reason, especially that their drawings are concentrated on the single entrance of the Wadi. The ancient artist in Wadi al-Jifr must have had a reason behind picking individual depictions (abstracts) to fulfil a certain purpose or an idea. It would be far-fetch to assume that the Wadi al-Jifr artist had no intentions behind his/her activities. So what is behind these rock scenes? Before any attempt to answer this question we need to look at the rock drawings or “abstracts” as illustrated in Tables 1 and 2.

It is evident that the portrayal of a human foot and hand in addition to scenes of a man mounting a horse are the most dominate depictions in the Wadi al-Jifr assemblage (cf. Table 2). The depictions of the human hand and foot are very common in prehistoric rock art. Archaeological investigations have reported these items from a wide geographical range including Arabia (cf. Wright 1985; Hawkins 1987; Kabawi et al. 1990; Jung

1993; Gunn 2007; Achrati 2003, 2008; Khan 2008). The works of Achrati (2003, 2008) have elaborately addressed the hand and foot in rock art. He discussed the symbolism of the human foot and hand drawings lengthily in their religious and artistic practices. Moreover, he explored their implication in the rock art of Arabia and north Africa analogically in association with ethnographical data.

Achrati (2003: 472) believes that the rock drawings of the hand in north Africa and Arabia are not related to ancient fecundity and magic. He illustrates the correlation and the link between the nomadic societies' cultural wisdom and the depicted images of the hand. The hand among these societies is a significant tribal symbol.

As for the foot, the word "foot – *rijl*" is related to "man- *rajul*". Similar connotation is also reported in some areas in the African continent such as the Afroasiatic languages (cf. Achrati 2003: 483). M. al-Mahrooqi of the Arabic Department at Sultan Qaboos University (*pers. comm.* 2012) confirms that the two words in Arabic (Man - *rajul* and foot - *rijl*) are of one origin. Again, in Africa, namely in Chad and the western Africa, the same two words are derived from one linguistic root (cf. Cohen1994: 333; Orel & Stolbova 1995: 2113; Achrati 2008: 23-33).

When hand and foot drawings are subjected to quantitative analysis, it clearly indicates its high presence and communication (foot 43% and hand 21%). The prevailing concentration of these two items is obvious. This high prevalence consequentially indicates the nature and significance of these drawings. They are merely abstract symbols, which have a definite meaning for Wadi al-Jifr inhabitants. It is equally possible that these abstracts are significant tribal symbols known to all other groups in the area.

On the other hand, figures of humans and horse riders are represented by 5% and 13% of the drawings. These are also believed to be abstract symbols since they are not part of any human activities. Indeed, these rock scenes do not portray any sort of activities, except riders on horses or camels. In fact, the majority of the rock drawings do not present any "snap shots" of any extended activity in time and place.

Men on horses or camels are represented by 13% of rock delineations, while drawings hand and foot constitute 64%. This majority can possibly be termed abstract symbols. Consequently, the high frequency and communication of these drawings, its concentration on the wadi's entrance and its spread all the way upstream must have had served a significant purpose.

So, what is the purpose of these abstract symbols? And why did the artist pick them on distinguished boulders along the wadi? It is difficult to answer these questions with confidence; however, we can agree that there must have been a purpose for these drawing. These drawings being abstracts must have served a purpose, and their location, concentration and position must have served a purpose.

To understand the purpose of these abstracts and their function, we need to examine the date of Wadi al-Jifr rock drawings and ecological potential of the wadi. The date of Wadi al-Jifr assemblage is not known. However, its relative chronology can be attempted through a representation of certain domesticates on the rock limestone boulders. Among the most indicative images is the horse. Up to the present, the earliest archaeological evidence of the horse goes back to c.400 BC, which is known as the Late Iron Age or Early Samad Period (cf. Yule & Weisgerber 1988: 33-40; Potts 1990: 270; Yule 2001a: Grave S2020, pls. 240:7, 557:d, 534: 1-2, 556, 557: c; Yule 2001b: fig.16). Again, on the other hand, Macdonald (1996: 73) points out that horse breeding and use were possibly taking place in Arabia around the second half of the first century BC. Accordingly, the rock drawings of Wadi al-Jifr can possibly be dated to the period extended between the late Iron Age and early Islamic phase in Oman.

It is important to point out at this stage the characteristics of the climatic conditions in eastern Oman during that time. It was characterized by conditions similar to the present. The flora of eastern Oman was dominated by *Prosopis cineraria* during a late phase of the Holocene and this is an evident indication of arid climatic conditions (cf. Leizine et al. 2002: 229). Additional investigations by Van Campo (1983) and Sirocko et al. (1993) confirm the same possibility of arid climatic conditions during the late Holocene.

In such climatic conditions, the inhabitants of Wadi al-Jifr must have depended on pastoralism. The Wadi being a watercourse it must have been also rich in vegetation especially after rainy seasons. In these conditions, traditional pastoral societies move away from such a location in the rainy seasons to exploit other places. By summer and as pasture is exhausted, they return to the same wadi. The role of such a wadi and its pasture are extremely significant in their resource scheduling. In fact they practice transhumant seasonal movement (cf. ElMahi 2011). Most probably the inhabitants of Wadi al-Jifr followed a similar transhumant seasonal movement between the wadi and the extended plains of eastern Oman.

Again, the seasonality of pasture compelled pastoral societies in Arabia to mark grazing areas under tribal territory.

In such arid environment, Wadi al-Jifr with its natural resources (water, pasture and game) must have been a significantly rewarding territory. Equally, such a wadi must have been an attractive potential resource for other pastoral groups in the area. Therefore, the wadi must be guarded and protected against other pastoral groups. It is obvious that the concentrations of the abstract symbols picked on big boulders in the entrance of the wadi are deliberately made to mark this wadi within the tribal territoriality. The high frequency of human hand and foot is to announce the identity of the wadi's owners.

No surprise pastoral societies in Arabia are known to mark their animals. In fact, they mark the key animal (camels) which constitutes their capital and means of survival in harsh environments. Equally, the images of men riding horses exhibit the strength and the ability of the owners of the wadi. No doubt, the horse was a dear animal and not owned by everybody. It is a symbol of richness, strength and power. The abstract symbols were to declare Wadi al-Jifr a tribal territory owned by a mighty tribal group. This tradition of making a grazing area stand out is known and honoured by pastoral groups in Arabia (cf. Al-Rashid 1984; Al-Samhudi 1995; ElMahi 2011).

Finally, it seems that Wadi al-Jifr rock art in essence is an assemblage of abstract symbols depicted in a precise location of the wadi to serve a specific purpose related to the tribal resources and territoriality. To achieve this objective, utilitarian images that stress suggestive connotations over beauty or any other considerations were depicted. The rock drawings of Wadi al-Jifr were meant to project ownership, tribal pastoral activities and interest, and tribal identity.

References:

Abdulkalig, O. 2102. Personal communication. Geology Department Sultan Qaboos University, Oman.

Achrati, A. 2003. Hand and Foot Symbolisms. From Rock Art to the Qur'an. *Arabica* 50(4): 463-500.

2008. Handprints, Footprints and the Imprints of Evolution. *Rock Art Research* 25(1): 23-33.

Al-Jahwari, N. S. 2011. The Bronze Age in the Western Part of Ja'alan Region, Sultanate of Oman. *Adumatu 24: 7-22*

Al-Mahrooqi, M. 2012. Personal Communication. Arabic Department at Sultan Qaboos University

Al-Rashid, S. A. 1984. *Al-Raband*. College of Arts, King Suad University: KSA.

Al-Samhudi, Nur Al-Din Alib & Al-Miseri, A. 1995. *Wafa Al-wafa bi Akhbar dar Al-mustafa*. (ed.) M. M. Abd al-Hamid, 4 vols. 1st. edition, Cairo.

Al-Shahri, A. A. 1991. Recent Epigraphic Discoveries in Dhofar. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 21: 173-191.

1994. *Dhofar- Ancient Inscription and Rock Art* (in Arabic). Salalah.

Clarke, C. 1975a. Rock Art in the Oman Mountains. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 5: 13-19.

..........1975b. The Rock Art of Oman. *Journal of Oman Studies* 1: 113-122.

Cohen, D. 1994. *Dictionaire des Racines Semitiques ou att Esteesdans les Languessemitiques*. Louvain-la-Neuve: Peeters.

ElMahi, A.T. 2000. The Ibex Hunt in the Rock Art of Oman. *New Arabian Studies* 5: 33-46.

……2001. The Ostrich in the Rock Art of Oman. *Adumatu* 3: 15-26.

……. 2002. The Spiny Tailed Lizard: A Constituent of the Occasional Diet of Inland Traditional Societies in Oman. *Proceedings of the Seminar of Arabian Studies* 32: 31-46.

2010a. Cultural Symbols in the Rock Arts of Oman and Africa: comparison and interpretation. *Journal of Oman Studies* 16: 43-58 (in Arabic)

2010b. Camel Hunting Drawings in al-Faw Village, Kingdom Saudi Arabia: a second thought. *Adumatu* 22: 7-20 (in Arabic)

2011. *Traditional Goat Management in Dhofar the Desert, Oman*. Academic Publication, Sultan Qaboos University: Muscat, Sultanate of Oman.

Hawkins, D. F. 1987. Primitive Rock Carving in Qatar. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 17: 53-61.

Jäckli, R. 1980. *Rock Art in Oman: An Introductory Presentation (Circulated Report)*. Zug, Switzerland.

Jung, M. 1993. A Map of Southern Yemeni Rock Art with Notes on Some of the Subjects Depicted. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 24: 135-154.

Kabawi, A., Khan, M. & Zahrani, A. 1990. Preliminary Report on the Fifth Season of Comprehensive Rock Art and Epigraphic Survey of the Kingdom of Saudi Arabia. *Atlal* 13: 35-40.

Kamoonpuri, H. 2010. Oman Boasts Unparalleled Gains in Wildlife Conservation. Available in: http://main.omanobserver.om/node/30736; Sun, 21 November 2010 (accessed: 2-4-2013). Oman establishment for press and publishing

Kamoonpuri, H. 2011. A Broad Overview of Sultanate's Environmental Protection Strategy. Available in: http://main.omanobserver.om/node/38576; Sat, 29 January 2011(accessed: 2-4-2013). Oman establishment for press and publishing

Khan, M. 2008. Symbolism in the Rock Art of Saudi Arabia: Hand and Footprints. Rock Art Research. *The Journal of the Australian Rock Art Research Association (AURA)* 25(1): 13-22.

Leizine, A., Saliege, J., Mathieu, R., Tagliatela, T., Méry, S., Charpentier, V. & Cleuziou, S. 2002. Mangroves of Oman during the Late Holocene: Climatic Implications and Impact on Human Societies.*Vegetation History and Archaeobotany* 11: 221-232.

MacDonald, M.C.A. 1996. Hunting, Fighting and Raiding: The Horse, In D. Alexander ed.) *Furusiyya.* Riyadh, KSA.

Orel, V. E. & Stolbova, O. V. 1995. *Hamito-Semitic Etymological Dictionary: Materials for a Reconstruction*. Leiden: E.J. Brill.

Potts, D. T. 1990. *The Arabian Gulf in Antiquity: From Alexander the Great to the Coming Islam, 2.* Clarendon Press: Oxford: UK.

Preston, K. 1976. An Introduction to the Anthropomorphic Content of the Rock Art of Jebel Akhdar. *Journal of Oman Studies* 2: 17-38.

Roger, J., Bechennec, F., Janjou, D., Le Metour, J., Wyns, R. & Beurrier, M. 1991 Geological Map of Ja'alan (Sheet NF 40-8 E, Scale: 1:100,000), Muscat: Oman

Sirocko, F., Sarnthein, M., Erlenkeuser, H., Lange, H., Arnold, M. & Duplessy, J-C. 1993. Century-Scale Events in Monsoonal Climate over the past 24000 Years. *Nature* 364: 322-324.

Van Campo, E. 1983. Paleoclimatologyie des Bordures de la Mer d'Arabie depuis 150000 ans. Analyse Palynologique at Stratigraphic Isotopique, Unpublished PhD dissertation, University of Montpellier.

Wright, B. 1985. The significance of hand motif variations in the stencilled art of the Australian Aborigines. With RAR Comments by P. Faulstich, D. R. Moore, R. G. Kimber, W. J. J. Van Russen, P. J. Trezise & W. Davis. *Rock Art Research* 2: 3-18.

Yule, P. & Weisgerber, G. 1988. *Excavation of the Pre-Islamic Cemeteries: Preliminary Report 1988.* Bochum: Germany: Selbstverlag des Deutschen Bergbau-Museums,
Yule, P. 2001a. *Die Gräberfelder in Samad al-Shān (Sultanat Oman): Materialien zu einer Kulturgeschichte. Orient-Archäologie, 4, Tafeln.* Rahden: Deutsches Archäologisches Institut Orient-Abteilung: Verlag Marie Leidorf GmbH.
2001b. Recently Discovered Bronze Bowls from ‘Amlah, al Zahirah Province and the Late Pre-Islamic Cultures of Oman. *Baghdader Mitteilungen* 32: 255-287.
Authors' Address:
Nasser Said Al-Jahwari & Ali Tijani ElMahi
Department of Archaeology, College of Arts, Sultan Qaboos University, P.O.Box 32, P.C. 123, Khoud, Muscat, Oman; email: jahwari@squ.edu.om or elmahi@squ.edu.om
Plates**:**

Plate. 1 Wadi al-Jifr geology.

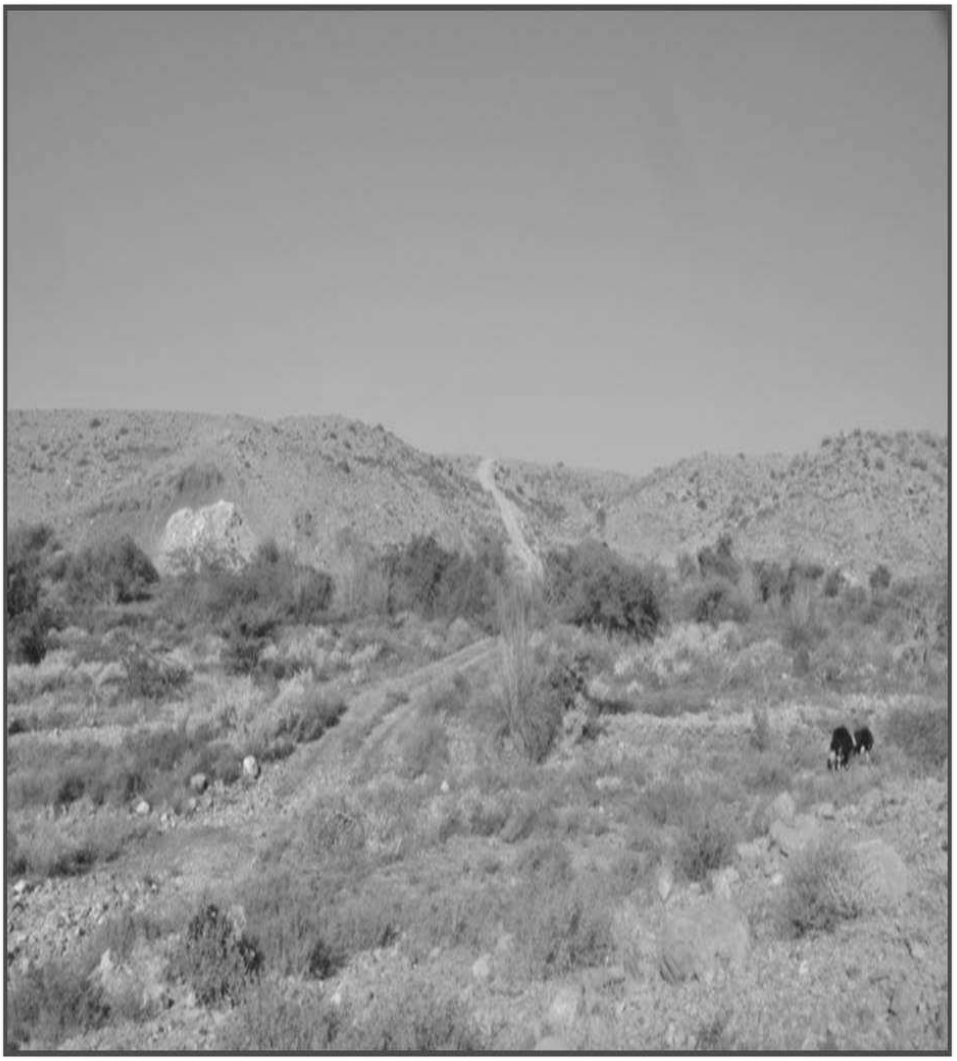

Plate. 2 Wadi al-Jifr vegetation.

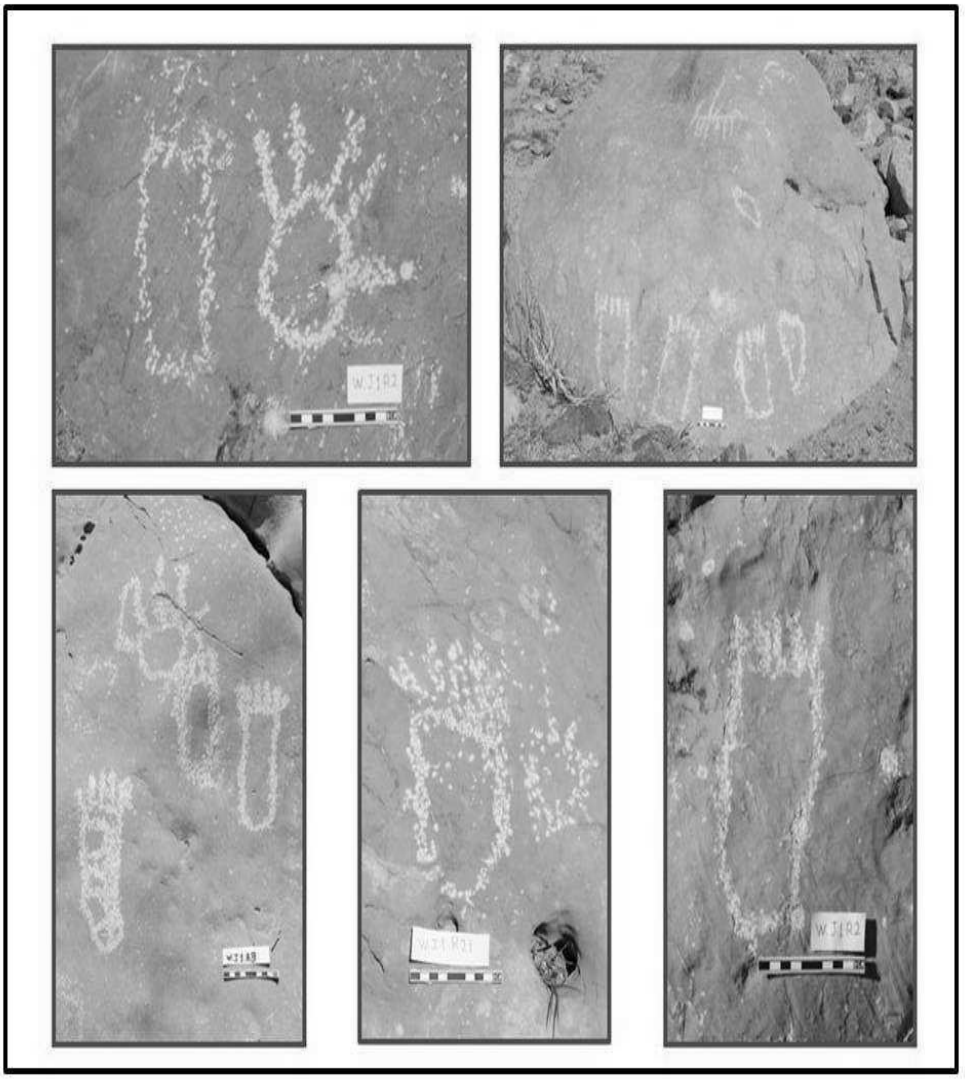

Plate. 3 hands and foot picked in limestone boulders in Wadi al-Jifr.

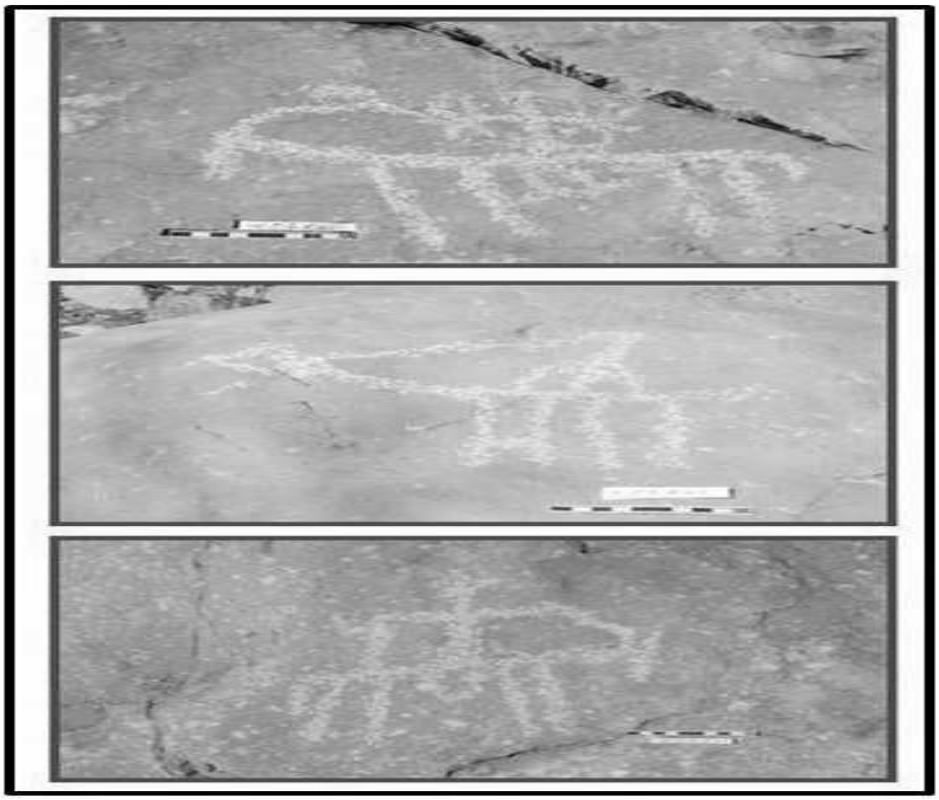

Plate. 4 figures of human riding horses and camels from Wadi al-Jifr.

Figures:

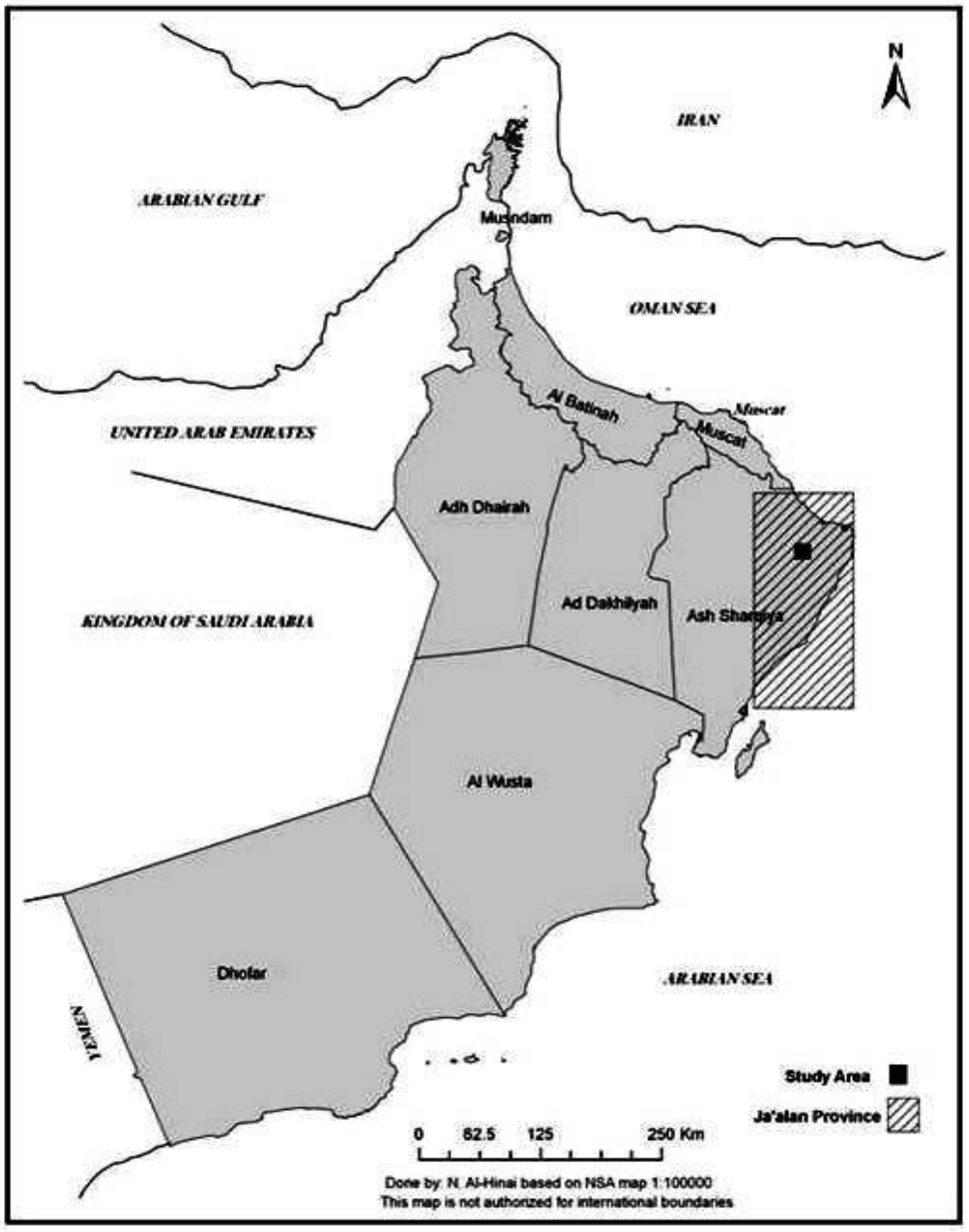

Fig.1 map shows the location of Wadi al-Jifr in the Southern al-Sharqiyah Governorate, Oman.

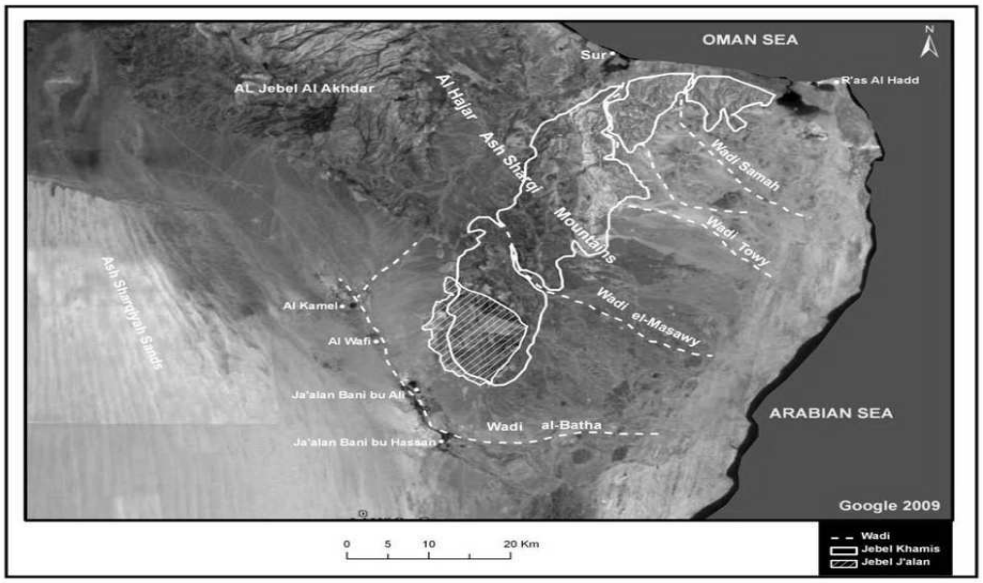

Fig. 2 Google image shows the geology of Ja'alan, the study area.

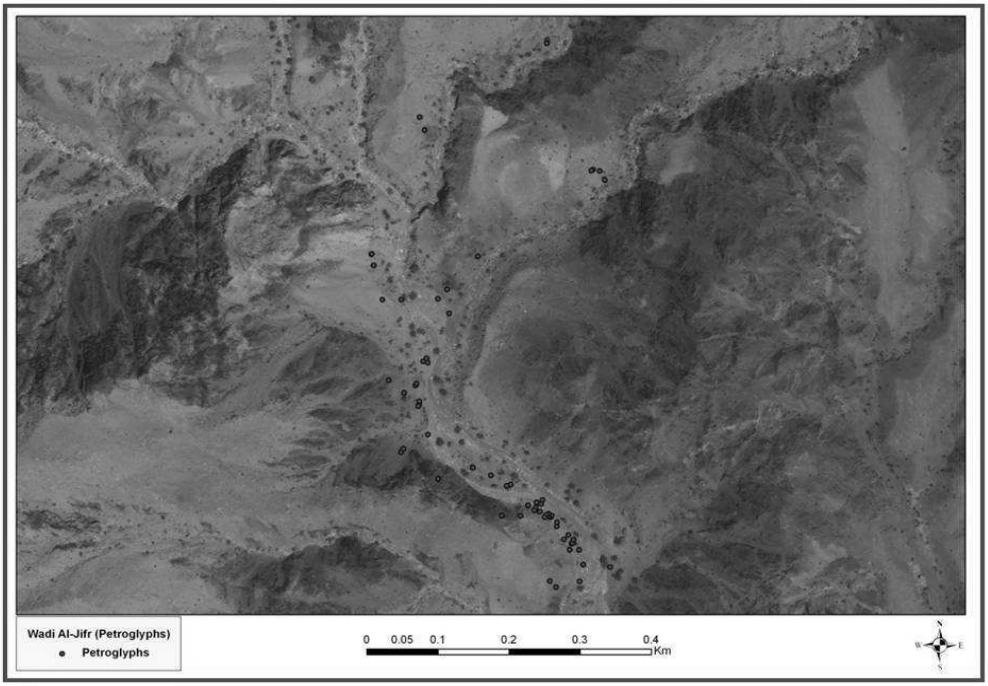

Fig. 3 Google image shows the distribution of Wadi al-Jifr Rock Arts.

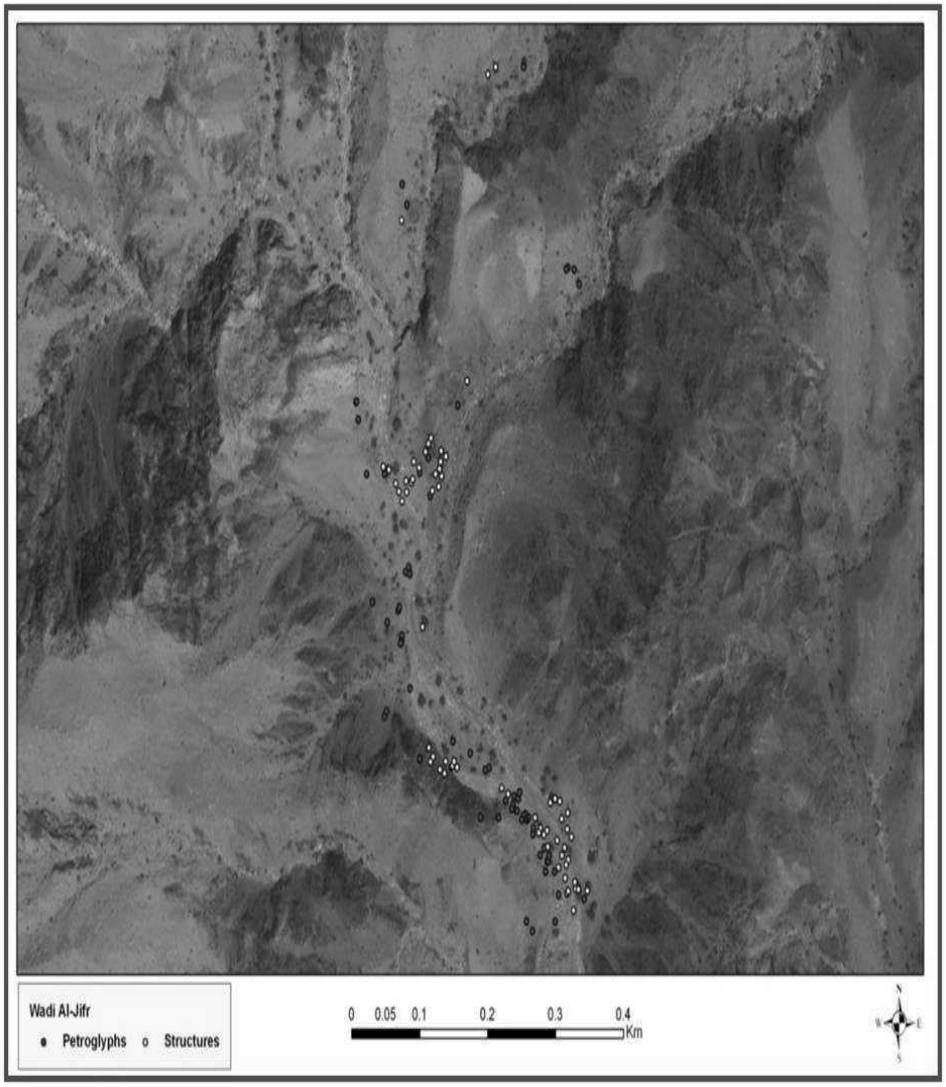

Fig. 4 Google image shows the distribution of Wadi al-Jifr Rock Arts and other associated structural remains.

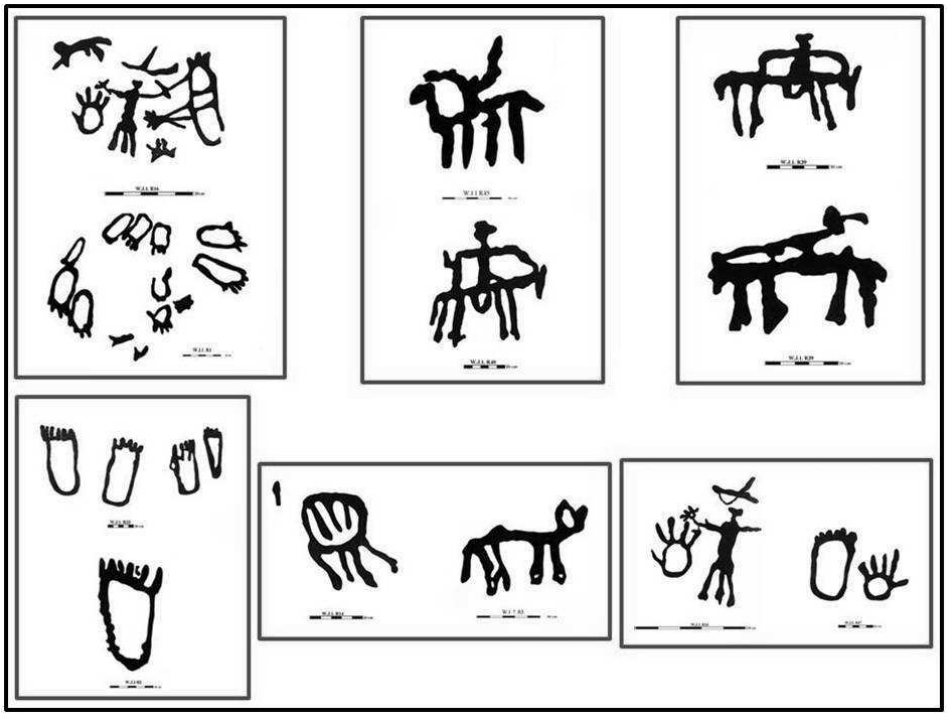

Fig. 5 different figures depicted in the rock arts of Wadi al-Jifr.

Tables:

Table 1 shows the content of all recorded rock drawings in Wadi al-Jifr

Rock Art No	Description	Rock Art No	Description
W.J 1. R1	9 feet, 4 hands	W.J. 1. R33	2 hands, others: lines, circles, traps?
W.J. 1.R2	9 feet, 2 hands, 3 humans: 2 with weapons, 2 others	W.J. 1. R34	1 hand
W.J.1.R3	1 human riding horse	W.J. 1. R35	5 feet, 6 hands
W.J. 1. R4	2 humans riding horses	W.J. 1. R36	3 humans riding horses?
W.J. 1. R5	1 foot, 3 hands	W.J. 1. R37	5 feet, 1 hand
W.J.1. R6	9 feet	W.J. 1. R38	4 humans: 2 ridings horses?
W.J. 1. R7	1 foot	W.J 1.	1 hand, 1 human riding horse

Rock Art No	Description	Rock Art No	Description
		R39	
W.J. 1. R8	1 hand	W.J. 1. R40	1 human riding horse
W.J. 1. R9	3 hands	W.J. 1. R41	5 feet, 18 hands, 1 animal? 6 others
W.J. 1. R10	1 human	W.J. 1.R42	3 humans
W.J. 1. R11	2 feet	W.J. 1.R43	1 hand
W.J. 1. R12	1 human riding a horse	W.J. 1. R44	1 hand?
W.J. 1. R13	1 foot, 1 hand	W.J. 1. R45	1 human riding a horse or a camel?
W.J. 1. R14	2 humans with weapons or traps? 1 hand, 3 others	W.J. 1. R46	Others?
W.J. 1. R15	Others?	W.J. 1. R47	1 human riding a camel?
W.J. 1. R16	1 hand, 2 humans, two horses or ibexes? 2 others?	W.J. 2. R3	5 feet, 3 hands, 2 others?
W.J. 1. R17	1 foot, 1 human riding a horse	W.J. 2. R4	1 foot
W.J. 1. R18	1 foot, 1 human riding a horse	W.J. 2. R2	3 feet, 3 humans riding camels? 1 human riding a horse, 1 horse
W.J. 1.R19	6 feet, 2 hands, 1 other?	W.J. 2.R1	9 feet, 2 hands, 1 human riding a horse
W.J. 1. R20	1 foot, 2 others?	W.J.2. R5	3 feet
W.J. 1. R21	3 feet, 3 hands, 1 human riding a horse, 2 others?	W.J. 2. R6	11 feet
W.J. 1. R22	2 feet	W.J. 2. R7	1 foot, 2 humans
W.J. 1. R23	5 feet, 1 human riding a horse, 2 others?	W.J. 2. R8	1 foot, one animal (dog or ibex?)

Rock Art No	Description	Rock Art No	Description
W.J. 1. R24	2 feet, 2 humans riding horses, 1 other: trap?	W.J.3. R1	1 foot
W.J. 1. R25	2 feet, 1 other: trap?	W.J. 3.R2	2 feet
W.J. 1. R26	2 feet, 2 others	W.J. 5. R1	Others?
W.J. 1. R27	1 foot, 1 hand, 3 others: traps or sun radiations?	W.J. 6. R1	2 hands, 1 human
W.J. 1. R28	9 feet	W.J. 7. R1	1 human riding a horse
W.J. 1.R29	1 foot	W.J. 7. R2	2 others?
W.J. 1.R30	1 hand	W.J. 7. R3	1 animal: dog or ibex?
W.J. 1. R31	2 feet, 1 human riding a horse	W.J. 7. R4	1 human riding a horse, Arabic inscription
W.J. 1. R32	2 humans riding horses or camels?		

Table 2 shows the total number and percentage of depicted figures

Type	No	%
Foot	125	43
Hand	61	21
Human	13	5
Human riding horse	38	13
Human riding horse/camel?	3	1
Human riding camel?	4	1
Human with weapon	4	1
Animal	5	2
Other	38	13
Total	**291**	**100**

Table 3 presents the total number and percentage of depicted animal figures

Animal	No	%
Horse	41	79
Camel?	5	9
Ibex?	3	6
Dog?	2	4
Other	1	2
Total	**52**	100

Guidelines for Authors

Human studies journal is a half-year publication representing articles in the field of social sciences and humanities aiming to pursue research and form a meeting for ground exchange of opinions. The Journal welcomes articles, books, reviews and scientific reports.

* Submitted manuscripts should be written in Arabic, English or French, in the range of 7500 words (ca.25 pages). Typed in an A4 size paper along with a CD or 3.5 disk.
* The manuscripts should not have been published previously and should not be published elsewhere, in full or in part, without a written permission from the chief editor.
* References should be cited according to the Harvard University style of citation (the American style) (the surname year, p.), that's in case of references written in non-Arabic languages, or even in case of the classical /medieval Arab authors, such as Al-Tabari. The names of modern Arab authors should be written in its treble form, as (Amira Alaa El-Din Salih 2008, p.109).
* The bibliography should be arranged at the end of the text in the following order, in case of non-Arab authors and classical/medieval Arab writers: family name, the first two names year of publication, title of the book or article, (in case of book, name and place of publisher. In case of article journal serial number and article pages number). In case of modern Arab authors, the name should be written in its treble form.
* Submitted manuscripts would be evaluated by specialists in the field. If accepted, articles can be subjected to minor modifications.
* Each author is entitled to obtain 3 copies of the journal in which his/her article is published.
* The views expressed in the papers are the sole responsibility of the authors.

* Manuscripts will not be returned to their authors.
* Corresponding address : P.O.box:58 Karima, Sudan.

e-mail : magazinearts@yahoo.com
Fax : 0249231822954
Tel : 0249231820098

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة